جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربية

المكان ودلالاته عند شعراء قريش الى سنة (132هـ)

أطروحة تقدّم بها الطالب

نعمان جاسم علي

إلى مجلس كلية التربية للعلوم الإنسانية في جامعة كربلاء وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه فلسفة في اللغة العربية وآدابها / أدب

بإشراف

الأستاذ المساعد الدكتور

علي ذياب مهدي

1446هـ 2024م

﴿ لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ﴾

صدق الله العليّ العظيم

{ سورة قريش }

إقرار المشرف العلمي

أشهد أنَّ إعداد هذه الأطروحة الموسومة(**المكانُ ودلالاتُهُ عِندَ شُعراءِ قريش إلى سنة 132هـ)** التي قدمها الطالب **(نعمان جرو علي)** جرى تحت إشرافي في قسم اللغة العربية – كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة كربلاء بمراحلها كافّة، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها / أدب ، وبناءً على ذلك أرشحها للمناقشة.

الإمضاء:

المشرف : أ .م. د . علي ذياب محيي

التاريخ : ٢ / ٦ / 2024م

بناءً على التوصيات المتوافرة أرشح هذه الأطروحة للمناقشة

الإمضاء:

الاسم : أ . د . ليث قابل الوائلي

رئيس قسم اللغة العربية

التاريخ : ٢ / ٦ / 2024م

(قرار لجنة المناقشة)

نشهدُ نحن أعضاء لجنةِ المناقشة ، أنّنا أطّلعنا على هذه الأطروحة الموسومة بـ (المكانُ ودلالاته عِندَ شعراء قريش إلى سنة 132هـ) التي قدّمها الطالب (نعمان جرو علي نصار) وقد ناقشناه في محتوياتها وفي ماله علاقة بها ، ونرى أنَّها جديرة بنيلِ شهادة الدكتوراه في اللُّغة العربية وآدابها ، بتقدير (جيد جداً عالٍ)

الإمضاء:

الاسم : أ.د. حسن حبيب عزر الكريطي

(رئيسًا)

التاريخ : ٦ / ٥ / 2024

الإمضاء:

الاسم : أ.د. محمد حسين عبد الله

(عضوًا)

التاريخ : / / 2024

الإمضاء:

الاسم : أ. د. انصاف سلمان علوان

(عضوًا)

التاريخ : / / 2024

الإمضاء:

الاسم : أ.م.د. علي كريم حميدي

(عضوًا)

التاريخ : / / 2024

الإمضاء:

الاسم : أ.م. د. نابلس صلال هيول

(عضوًا)

التاريخ : / / 2024

الإمضاء:

الاسم : أ.م.د. علي ذياب محيي

(عضوًا ومشرفًا)

التاريخ : / / 2024

صادق مجلس كليّةِ التربية للعلوم الإنسانية / جامعة كربلاء على قرار اللجنة.

الإمضاء:

أ.م.د. صلاح مجيد كاظم

عميد كلية التربية للعلوم الإنسانية

التاريخ ١٤ / ٦ / 2024

الإهداء

- إلى والدي ووالدتي (رحمهما الله)

- إلى عمتي الحبيبة التي تركت أثراً كبيراً في قلبي (رحمها الله)

- إلى من أنارت طريقي بدعائها زوجتي العزيزة..

- إلى ابتسامتي في الحياة : أحمد ، إسراء..

لا يسعني إلاّ أَن أَتقدّم بجزيل الشكر إلى الأستاذ المساعد الدكتور المشرف (علي ذياب محيي) على كل ما أسداه لي من النصح والإرشاد والتوجيه ، داعياً الله (عزَّ وجل) أن يَمُدَّ في عمرِهِ ويمنَّ عليه بالصحة والعافية .

- فشكري الخالص وتقديري إلى مجلس كلية التربية بجامعة كربلاء ممثلاً بعميدها الأستاذ المساعد الدكتور صلاح مجيد كاظم وإلى مجلس قسم اللغة العربية ممثلاً بشخصية رئيس القسم الأستاذ الدكتور ليث قابل الوائلي الامتنان الخالص ولهم مني تحية الأبن البار.

- وأتقدّم بالشكر الجزيل أيضاً إلى أساتيذ قسم اللغة العربية في جامعة كربلاء جميعاً وأخصُّ منهم الأستاذ المساعد الدكتور خير الله مهدي جاسم ، والمدرس الدكتور حيدر صاحب كاظم على كل ما تفضَّلوا به من مساعدة لإتمام هذه الأطروحة ، ولا يفوتني أن أشكر منتسبي المكتبة العباسية والمكتبة الحسينية ، والعاملين في المكتبة المركزية جزاهم الله عني خير الجزاء.

- وأما من كان الشكر أقل ما يقال له ، فهو مسك الختام أستاذي الأول ، الأستاذ عزيز كاظم النايف .

المحتويـــات

الموضـــوع	رقم الصفحة
المقدمة	2 – 1
التمهيد: حركة الشعر في بطون قريش	15 – 4
أوّلاً : منازل قريش	4
ثانياً : توزيع الشعر بحسب بطون قريش :	10
القسم الأول : بطون كثيرة الشعر و(إكثارهم متفاوت) :	11
القسم الثاني : بطون قليلة الشعر و(قلتها متفاوته):	13
الفصل الأول : قداسة المكان ودلالاته	59– 17
توطئة	17
المبحث الأول : دلالات السيادة والحِمَى	18
أوّلاً: قداسة المكان ودلالاته	18
ثانياً : قداسة المكان وحمايته	22
المبحث الثاني : قداسة البيوت ودلالاتها	27
– قداسة بيوت الشرف والكرم	27
المبحث الثالث : قداسة المكان الديني والاجتماعي	39
أوّلاً : قداسة المكان من خلال القسم	39
ثانياً : قداسة المكان من خلال الاستعاذة	45

ثالثاً : قداسة المكان (الجوار والأقارب)	52
الفصل الثاني : أنماط المكان في الشعر القرشي	88 – 61
المبحث الأول : المكان المعنوي	61
المبحث الثاني : المكان المفتوح (المطلق)	74
المبحث الثالث : المكان المغلق (المحدود)	79
الفصل الثالث : رمزية المكان	125 – 90
توطئة :	90
المبحث الأول : رمزية الطلل	90
المبحث الثاني : رمزية المرأة	102
المبحث الثالث : رمزية الحيوان	110
الفصل الرابع : موقف الشاعر القرشي من المكان	150 – 127
المبحث الأول: المكان الملاذ	127
المبحث الثاني : أنسنة المكان	132
المبحث الثالث : الغربة والاغتراب	138
الخاتمة ونتائج البحث	155 - 152
ملحق بأسماء الشعراء	169 - 157
روافد البحث	196 – 171
ملخص انكليزي	A

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله على ما أنعم ، وله الشكر على ما ألهم ، والثناء بما قدّم ، من عموم نعم ابتدأها ، وسبوغ آلاء أسداها ، وتمام منن أولاها ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين .

وبعد:

فإنّ الأدب العربي بشكل عام ، يُمثل ذخيرة الأمة وتراثها الأصيل ضم بين طياته من مكنون العلم ، وخزين المعرفة ما يمثل مصدراً مهماً من مصادر الأمة وتراثها . ومن خلال البحث المتواصل عن جزئية المكان ودلالاته عند شعراء قريش تبيّنَ لي أنها لم تنل عناية الباحثين الأكاديميين واهتمامهم بها ، ومن هنا كان هدف البحث فيها وتطبيق منهجاً وصفياً تحليلياً على شعر شعراء قريش، وبيان دلالات المكان في شعرهم ، وعلى الرغم من وجود دراسات عدة في هذا الجانب منها شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (دراسة) د. فاروق الخطيب و شعر قريش في الجاهلية : د. مختار الغوث، وشعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (دراسة موضوعية فنية): محمد ساري عبد رشيد ، وغيرها. إلا أنّ دلالة المكان لم تفرد لها هذه الدراسات جزءاً في عملها ، لذلك هممت العزم على دراسته ، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون في أربعة فصول يتقدمها تمهيد وتتلوها خاتمة:

جاء التمهيد بعنوان : حركة الشعر في بطون قريش ، وقد جاء على محورين : تناول المحور الأول منازل قريش ،أما المحور الثاني : فتناول توزيع الشعر بحسب بطون قريش ، وقسم على بطون كثيرة الشعر وبطون قليلة الشعر .

أما الفصل الأول : فقد تناولَ قداسة المكان ودلالاته ، فكان موضوع البحث الأول دلالات السيادة والحِمى ،أما المبحث الثاني فقد تناول قداسة البيوت ودلالاتها ، وتكفل المبحث الثالث قداسة المكان الديني والاجتماعي .

ثم الفصل الثاني : تناول (أنماط المكان في الشعر القرشي) ومدى احتوائه لحركية الحدث ، وقد قسم على ثلاثة مباحث بحسب احتمالية وقوعه:

1-المكان المعنوي 2- المكان المفتوح (المطلق) 3- المكان المغلق (المحدد)

أما الفصل الثالث : فقد انصبت الدراسة فيه على رمزية المكان ، لذا انقسم هذا الفصل على ثلاثة مباحث :

دار المبحث الأول حول رمزية الطلل ، والمبحث الثاني رمزية المرأة ، والمبحث الثالث ، رمزية الحيوان .

وأخيراً الفصل الرابع : الذي جاء بعنوان (موقف الشاعر القرشي من المكان) ابتدأ بتوطئة أوضحت الصلة والترابط بين العنصرين وقسمته على ثلاثة مباحث :

فقد جاء المبحث الأول : لدراسة (المكان الملاذ)، والمبحث الثاني:(أنسنة المكان) وأما المبحث الثالث: (الغربة والأغتراب) وبيان تأثير ذلك على نفسية الشاعر.

وانتهت الدراسة بخاتمة أجملنا فيها النتائج التي توصل إليها البحث ، ومن ثم ملحق تضّمن أسماء الشعراء الذين ورد ذكرهم في البحث ، وثبت للمصادر والمراجع

وفي الختام أسال الله تعالى أن أكون قد وفقت في إنجاز هذه الأطروحة ، ربما أهملتُ جوانبَ قَصُرَ عن إيضاحها باعُنا وجَفَّ عن إيرادِها مدادُنا و وتلك سمةُ النفس البشريةِ ، فنشدان الكمالِ غايةٌ لا تُدرك ، لذلك اقتصَرنا على ما أعاننَا اللهُ على فَهمهِ وتحليلهِ ، والحمد لله رب العالمين .

التمهيد: حركة الشعر في بطون قريش

أولاً : منازل قريش :

احتلت قريش أهمية كبيرة في الأخبار والروايات التاريخية سواء قبل الإسلام ام بعده ، لوجودها في مكة وما تحتله من أهمية في نفوس العرب[1] لوجود بيت الله الحرام الذي أصبح محج العرب ، وكانت هي سادنة الكعبة ، أما في الإسلام لارتباطها بنبيِّ الرحمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، ولعلّ قريشاً لا تعرف في الجاهلية دار مقامة غير مكة وضواحيها ((إلا ما يشير إليه النسّابون من أن بعض بطونها استوطنت أقاليم أخرى خارج الحجاز، وانتمت إلى قبائلها، حتى نسي أصلها، أو كاد؛ كبنانة وعائذة، وسكنوا في بني شيبان، وبني جشم بن الحارث بن لؤي، وسكنوا في هزان من ربيعة، وبني ناجية، وسكنوا في عمان، وبني عوف بن لؤي وسكنوا في غطفان)) [2] .

ومن الجدير بالذكر أنَّ قريشاً انقسمت على قسمين كبيرين في عهد قصي : قريش الأباطح والظواهر ، ((وقسم ثالث من قريش ظلوا بداة جفاة ، وهم حرس قوافلهم الذين كان يتخذونهم من الأعراب))[3] فهم ليس بأبطحية ولا ظاهرية .

---

(1) روي عن ابن مسعود أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قُريش الجُؤجُؤ والعرب الجناحان ، والجُؤجُؤ لا ينهض إلا بالجناخين)) ، العقد الفريد : شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي: 323 ، الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة : محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِّلمساني المعروف بالبُرِّي (ت بعد 645هـ) :ج2 /129 .

(2) الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى : د. مختار الغوث : 23 .

(3) مقدمة القصيدة في الشعر الجاهلي : د. حسين عطوان:37 .

إنَّ قُـرَيش الأبـاطح ويُقـال قـريش البِطَـاحِ[1] وهـم بقيـة بطـون قـريش الصـريحة الَّـذين دخلـوا مـع قصـي أَبَـاطِحَ مَكَّـةَ وسـكنوا فيهـا((إلاّ محـارب بـن فهـر والحـارث بـن فهـر وتـيم الأردم بـن غالـب ومعيص بـن عـامر بـن لـؤي فهـؤلاء يـدعون الظـواهر فأقـاموا بظـواهر مكـة))[2] ، وقُـرَيشُ الظَّـواهِرِ الّـذين لـم يهبطـوا مـع قصـي إلـى الأبـاطح بـلَ نزِلـوا مَـا حَـوْلَ مَكَّـةَ إلا ((رهـط أبـي عبيـدة بـن الجـراح ، نزلـوا الأبطـح فهـم مـع المطيَّبـين))[3]، وأشـار إلـى المطيبـين الـبلاذري(ت 279هـ) فهـم ((بنـو عبـد منـاف، وأسـد بـن عبـد العـزى، وزهـرة، وتـيم بـن مـرة، والحـارث بـن فهـر))[4] ، فـأمكن بـذلك التأكيـد علـى أن قـريش البطـاح والظـواهر بمـا جسَّـده الشـاعر ذكـوان[5] مـولى عمـر بـن الخطـاب للضـحاك بـن قـيس

(1) قريش البطاح مشتقة من البطح أي البسط والبطحاء هو الوادي ، وقريش البطحاء الذين ينزلون الشعب بين أخشبي مكة : ينظر: لسان العرب : ابن منظور:ج2/ 413 ، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي ، (ت 832 هـ): ج1/ 306

(2) المنمق في أخبار قريش : محمد بن حبيب البغدادي (ت859 هـ) : 31 – 32 ، ينظر: في هامش (المقتضب من كتاب جمهرة النسب) : ياقوت الحموي (626هـ) : 25.

(3) المنمق في أخبار قريش: محمد بن حبيب البغدادي (ت859 هـ) : 32 ، ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس : محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي : ج6/ 315 ، منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم : علي بن تاج الدين السنجاري (ت 1125هـ): ج1/366.

(4) جمل من أنساب الأشراف : أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري: ج11 /54 .

(5) ذكوان ((كان عبداً لمالك الدار مولى عثمان بن عفان. فعتق ذكوان، وعظم شأنه، وولي بعض أطراف الشام في زمن معاوية. وكان شاعراً خطيباً... قال أبو عبيدة : ذكوان أول من فرق بين قريش البطاح، وبين قريش الظواهر. فقريش البطاح قبائل كعب بن لؤي، وقريش الظواهر بنو محارب والحارث ابني فهر، وبنو الأدرم بن غالب بن فهر، وعامة بني عامر)) : ينظر : المذاكرة في القاب الشعراء: مجد الدين النشابي الكاتب (ت657هـ) : 55 .

الفهري[1] وكان قصيراً وعندما ((ضربه الجلاد بسوط فجعل يتطاول لئلا يصيب السوط خاصرته فقال ذكوان :

تطاولَ لي الضّحّاكُ حتّى رددتّهُ إلَى نسب فِي قومهِ متقاصرِ

فَلَو شَهِدتْني مِنْ قُرَيشٍ عِصَابةٌ قُرَيشِ البِطَاحِ لَا قُريشِ الظَّواهرِ)) [2]

إنَّ أهمية هذا التقسيم تكمن في تمثيله يُمثل الإطار الذي يُعبر عن منازل قريش وتحركاتهم في داخل مكة وخارجها ، ولكليهما أثر فاعل في تركيب قبيلة قريش وسكنهم ،لذا حينما ((حَازَتْ خُزَاعَةُ أَمْرَ مَكَّةَ وَصَارُوا أَهْلَهَا، جَاءَهُمْ بَنُو إِسْمَاعِيلَ، وَقَدْ كَانُوا اعْتَزَلُوا حَرْبَ جُرْهُمٍ وَخُزَاعَةَ، فَلَمْ يَدْخُلُوا فِي ذَلِكَ، فَسَأَلُوهُمُ السُّكْنَى مَعَهُمْ وحَوْلَهُمْ، فَأَذِنُوا لَهُمْ))[3] ، وعلى وفق هذا الطرح المُتقدِّم فإنّ بني إسماعيل هنا في هذا النص هم(قريش) ، وكانوا بيوتات مُتفرقين في قومهم ، بعضهم نزل الشعب (شِعب مكة) أي بين أخشبي مكة، وبعضهم ظل يعيش خارج الشعب [4] .

---

(1) الضحاك بن قيس الفهري(ت65هـ) سيّد بني فهر وأحد الولاة الشجعان شهد صفين مع معاوية : ينظر : الاعلام : للزركلي:3/ 309 .

(2) جمل من أنساب الأشراف (ت 279هـ) :ج11/ 53 ، ينظر : الطبقات الكبرى لابن سعد : ج1/ 55 ، تاج العروس من جواهر القاموس : الزَّبيدي : ج6/ 315 .

(3) أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار : الأزرقي (ت 250) : ج1/ 96 .

(4) ينظر: السيرة النبوية لإبن هشام :عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت 213هـ): ج1/ 108 ، معجم البلدان : ياقوت الحموي (ت 626هـ) : ج1/ 444

ولعلّ اعتماد قصي بن كلاب على هذا التقسيم بين الأباطح والظواهر ((جاء بما لاحظه وشاهده في بلاد الشام ايام حياته الأولى[1] ولمس ما كان عليه أهل المدن من سكن في البيوت واستقرارهم فيها وتقدمهم الحضاري وحياتهم المتميزة عن حياة أهل البادية الذين يفدون الى الحواضر للامتيار والاتجار معهم فأراد أنْ يكون له ولبنيه من بعده مثل ذلك فنزل أبطح مكة وتمسك به وبنى الدور وانزل معه من قومه ما يعزّز ويدعم أمر ابنائه من بعده ويشد من أزرهم ويجعل منهم عصبة قوية تحافظ على ما احرزه لهم من سيادة في مكة وإنْ من أنزلهم معه هم أقرب البطون من قريش اليه))[2] .

---

(1) فَبَيْنَا قُصَيٌّ بْنُ كِلَابٍ فِي أَرْضِ قُضَاعَةَ، لَا يَنْتَمِي إِلَّا إِلَى رَبِيعَةَ بْنِ حَرَامٍ ، إِذْ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَجُلٍ مِنْ قُضَاعَةَ شَيْءٌ، وَقُصَيٌّ قَدْ بَلَغَ، فَقَالَ لَهُ الْقُضَاعِيُّ : أَلَا تَلْحَقُ بِنَسَبِكَ وَقَوْمِكَ، فَإِنَّكَ لَسْتَ مِنَّا. فَرَجَعَ قُصَيٌّ إِلَى أُمِّهِ، وَقَدْ وَجَدَ فِي نَفْسِهِ مِمَّا قَالَ لَهُ الْقُضَاعِيُّ، فَسَأَلَهَا عَمَّا قَالَ لَهُ، فَقَالَتْ :وَاللَّهِ أَنْتَ يَا بُنَيَّ خَيْرٌ مِنْهُ وَأَكْرَمُ، أَنْتَ ابْنُ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ، وَقَوْمُكَ عِنْدَ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَمَا حَوْلَهُ. فَأَجْمَعَ قُصَيٌّ لِلْخُرُوجِ إِلَى قَوْمِهِ وَاللِّحَاقِ بِهِمْ، وَكَرِهَ الْغُرْبَةَ فِي أَرْضِ قُضَاعَةَ، فَقَالَتْ لَهُ أُمُّهُ : يَا بُنَيَّ، لَا تَعْجَلْ بِالْخُرُوجِ حَتَّى يَدْخُلَ عَلَيْكَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، فَتَخْرُجَ فِي حَاجِّ الْعَرَبِ؛ فَإِنِّي أَخْشَى عَلَيْكَ. فَأَقَامَ قُصَيٌّ حَتَّى دَخَلَ الشَّهْرُ الْحَرَامُ، وَخَرَجَ فِي حَاجِّ قُضَاعَةَ حَتَّى قَدِمَ مَكَّةَ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْحَجِّ أَقَامَ بِهَا)) : الطبقات الكبير: محمد بن سعد بن منيع الزهري (ت 230 هـ): ج1/ 48، أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : الأزرقي (ت250 هـ): 170.

(2) قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام : د. خضير عباس الجميلي : 34 .

وبـذلك فـإنَّ الفضـل يرجـع ((لجمـع قـريش ، وجعلهـا قبيلـة عزيـزة الجانـب ، عظيمـة الشـأن الـى ذلـك الرجـل العظـيم قُصـي[1] ، فقـد جمـع قريشـاً مـن متفرقـات مواضـعهم مـن شـبه الجزيـرة العـرب ، واسـتعان بمـن أطاعـه مـن أحيـاء العـرب ، علـى حـرب خُزاعـة ، واجلائهـم عـن البيـت ، وتسـليمه الـى قصـي ، فكـان بيـنهم قتـال كثيـر ودمـاء غزيـرة ، ثـم تـداعوا الـى التحكـيم ، فحكـم بـأن قصـياً أولـى بالبيـت مـن خزاعـة ، فـولي البيـت ، وجمـع قومـه مـن منـازلهم الـى مكـة ، وتملـك علـى قومـه ، وأهـل مكـة))[2] ، وقـد اسـتمر الحـال علـى مـا هـو عليـه حتـى بعـد وفـاة قصـي

---

(1) اختلفـت الروايـات فـي تسـمية هـذا الرجـل، بعضـها يشـير إلـى أن قصـياً لـيس أسـمه الحقيقـي ، وإنمـا أسـمه الحقيقـي زيـد كالأصـبهاني فـي معرفـة الصـحابة: ج1، 76 ، وابـن عسـاكر فـي تـاريخ دمشـق : ج50/3 ، وبعضـهم مـن يـرى أن اسـمه الحقيقـي قصـي ، وجـاءت هـذه التسـمية ((لبعـد داره عـن دار قومـه)) كمـا فـي تـاريخ الطبـري (تـاريخ الرسـل والملـوك) : ج2/ 255 ، والاطـلاع أكثـر علـى هـذه القصـة ينظـر : الـروض الأنـف للسـهيلي :ج84/1، وبهـذا فـإن معظـم أصـحاب القصـة يـرون أن قصـياً ولـد ونشـأ بعيـداً عنهـا مـع أن قـريش تقـع علـى الطريـق التجـاري الواصـل للشـام ، ومـرد هـذا الاخـتلاف هـو أن قصـياً نشـأ فـي بـلاد أمـه العذريـة القضـاعية ولا بـد أن منـازل بـلاد بنـي عـذرة حينـذاك لـم تكـن بعيـدة عـن الحجـاز، فهـم أبنـاء عـم جهينـة القضـاعيين ، ومنـازلهم كانـت تصـل الـى ذي خُشـب ، والـدليل علـى ذلـك أن قصـياً خـرج مـع ركـب حجـاج قضـاعة ممـا يـدلنا علـى أن هنـاك روابـط وثيقـة تـربطهم مـع قـريش التـي انتسـب إليـه قصـي وفـروع قضـاعة . وبهـذا يمكـن لنـا الحـق أن نقـول لا معنـى للقـول بـأن قصـي سـمي بهـذه التسـمية نتيجـة تقصـيه وتربـى بعيـداً عـن أهلـه ، وإنمـا ولـد ونشـأ فـي المنـازل التـي وصـل إليهـا فـرع كنانـة ينظـر : تـاريخ قـريش: د. حسـين مُـؤنس :92 – 96 .

(2) معجـم قبائـل العـرب القديمـة والحديثـة : عمـر رضـا كحالـة : ج3/ 948 ، ينظـر : تـاريخ ابـن خلـدون (العِبَـر وديـوان المبتـدأ والخبـر فـي تـاريخ العـرب والبربـر ومـن عاصـرهم مـن ذوي الشأن الأكبر): عبد الرحمن بن خلدون (ت808 هـ): ج400/2 .

ولـم تظهـر عليـه أي انقسـامات إلاّ بعـد أن ((ظهـر التنـافس بـين أبنائـه فأنقسـم بطـن بنـي قصـي الـى عـدة أفخـاذ ، وبـذلك زادت تفرعـات قـريش فظهـر بنـو عبـد منـاف بـن قصـي ، وبنـو عبـد الـدار بـن قصـي ، وبنـو عبـد العـزى بـن قصـي، وبنـي عبد بن قصي))[1] .

وبعـد ظهـور الإسـلام ونـزول القـرآن الكـريم ازدادت الانقسـامات بـين آل قصـي وتعـددت منـازلهم [2] وعـن ذلـك قـال أبـن الكلبـي ((تسـمية قـريش مـن انتهـى إليـه الشـرف مـن قـريش فـي الجاهليـة فوصـله بالإسـلام ، عشـرة رهـط مـن عشـرة ابطـن وهـم : هاشـم وأميـة ونوفـل وعبـد الـدار وأسـد وتـيم وعـدي وجمـح وسـهم)) [3] وقـد ((اعتـرف الجميـع بتميّـز فـرع هاشـم بـن عبـد منـاف علـى بقيـة البطـون فـي الفكـر والقـيم والشـجاعة ، وكانـت قبائـل العـرب والملـوك يحترمـونهم احتراماً خاصـاً فحسـدهم زعمـاء قـريش وتحـالفوا ضـدّهم مـن زمـن هاشـم وعبـد المطلـب))[4] ، ولا سـيّما بنـي أميـة إذ قيـل للإمـام علـي ابـن أبـي طالـب (عليـه السـلام))(أخبرنـا عـنكم وعـن بنـي أميـة : فقـال بنـي أميـة أنكـر وأمكـر وأفجـر ، ونحـن أصـبح وأنصـح وأسمح))[5] .

(1) قبيلة فريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام : د. خضير عباس الجميلي : 54.

(2) ينظر : تاريخ المدينة المنورة : ابن أبي شبه (ت262هـ) : 229 – 269) .

(3) العقد الفريد : ابن عبد ربة الأندلسي (ت 328هـ): ج313/3 .

(4) صراع قريش مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : علي الكوراني العاملي : 9 .

(5) العقد الفريد : ابن عبد ربة الأندلسي (ت 328هـ) : ج3 / 315 .

ثانياً: توزيع الشعر بحسب بطون قريش :

لقد حظيت قريش بمكانتها الأدبية بين العرب فضلاً عن مكانتها السياسية والاجتماعية والتجارية ، وقد زعموا أهل الأخبار ((أنّ العرب كانت تقر لقريش بالتقدم في كل شيء عليها إلا في الشعر ، فإنها كانت لا تقر لها به ، حتى كان عمر بن أبي ربيعة فأقرت لها الشعراء بالشعر أيضاً ولم تنازعها ، وذكر أن قريشاً كانت أقل شعراً في الجاهلية ... ولا نجد من الشعراء البارزين من أصحاب المعلقات شاعراً واحداً من قريش ... كذلك لا نجد من بين شعراء الطبقات المتقدمة من فحول الشعراء الذين قدمهم علماء الشعر على غيرهم شاعراً هو من أهل مكة)) [1] وليس معنى هذا أنّ شعراءهم جميعاً غير بارعين وإنما كان هناك من شعرائهم من يشهد لهم أصحاب الطبقات بالبراعة ، إذ نجد ابن سلام الجمحي يؤكد ذلك ، يقول ((وبمكة شعراء فأبرعهم شعرًا ، عبد الله بن الزِّبَعْرَى بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وَأَبُو طَالب بن عبد الْمطلب شَاعِر ، وَالزُّبَيْر بن عبد الْمطلب شَاعِر، وَأَبُو سُفْيَان بن الْحَارِث شَاعِر، ومسافر بن أَبى عَمْرو بن أُميَّة شَاعِر، وَضِرَار بن الْخطاب الفهرى شَاعِر، وَأَبُو عزة الجمحى شَاعِر واسْمه عَمْرو بن عبد الله ، وَعبد الله بن حذافة السهمى الممزق، وهبيرة بن أَبى وهب بن عَامر بن عَائِذ بن عمرَان بن مَخْزُوم))[2] ، لذا ((ينقسم القرشيون – بحسب الباقي من شعرهم – ثلاثة أقسام : بطون مكثرة من الشعر ، وبطونٌ مقلة ، وبطون لا شعر لها ، ويدخل في البطون التي لا شعر لها... تلك التي لا يعرف لها من الشعر إلا القطعة والنتفة ونحوهما كبني تيم بن الأدرم، وبني عبد الدار)) [3] .

---

(1) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام : د. جواد علي : ج9/ 694 – 695 .

(2) طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي(ت231هـ) : ج1/ 233– 235 .

(3) الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى: د. مختار الغوث : ج1/ 175 .

القسم الأول : بطون كثيرة الشعر و(إكثارهم متفاوت) :

وهي التي لها شعر كثير ولكن إكثارهم متفاوت ، وهي أربعة بطون((بنو مخزوم ، وبنو أمية ، وبنو هاشم ، وبنو أسد))[1] .

1-البطن الأولى المكثرة للشعر : بنو مخزوم : منهم في الجاهلية والاسلام هبيرة بن أبي وهب ((وَكَانَ هُبَيْرَة بن أَبى وهب شَاعِرًا من رجال قُرَيْش الْمَعْدُودين وَكَانَ شَدِيد الْعَدَاوَة لله وَلِرَسُولِهِ فأخمله الله ودحقه ... وَله شعر كثير وَحَدِيث)) [2] ، وفي العصر الأموي كان المهاجر بن أبي أمية ، وخالد بن المهاجر بن خالد بن الوليد [3] ، وعمر بن أبي ربيعة، والحارث بن خالد، وأخوه عبد الرحمن، وعمر هم أكثر قريش شعراً.

2-البطن الثانية المكثرة للشعر : بنو أمية : منهم في الجاهلية : العاص بن أمية ، والحارث بن أمية الأصغر[4] وسعيد من العاص: وفي صدر الإسلام أبو سفيان بن حرب [5] وفي عصر بني أمية : استحوذ بنو أمية على كثير من الشعر القرشي : منهم : معاوية بن أبي سفيان ، ويزيد بن أبي معاوية [6] وأبو قطيفة [7] وغيرهم كثير.

---

(1) الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى: د. مختار الغوث : ج1/ 175 :ج1/ 177.

(2) طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي: (ت 231هـ) : ج1/ 257 .

(3) ينظر : نسب قريش : لأبي عبد الله بن مصعب الزبيري (ت236هـ): 327 – 328 .

(4) ينظر : جمل من انساب الاشرف : البلاذري : :ج9/ 383

(5) ينظر: نسب قريش: لأبي عبد الله بن مصعب الزبيري (ت236هـ): 127 .

(6) ينظر : ديوان معاوية بن أبي سفيان : جمع وتحقيق وشرح : د. فاروق اسليم بن أحمد ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1996م ، وشعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : جمعه وحققه صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت لبنان ، ط1 ،1982م.

(7) ينظر : تاريخ المدينة المنورة لأبن شبة : 294 – 298 .

3-البطن الثالثة المكثرة للشعر: بنو هاشم: من بني هاشم في الجاهلية بنو عبد المطلب [1] وفي صدر الإسلام كانت فيهم ثلة من الشعراء منهم : أبو سفيان بن الحارث ، ((وروي عن حسان أنَّه قال : ما قاذفني من قريش أشعر منه)) [2] ، ومسافر بن أبي عمرو ، والزبير بن عبد المطلب [3] ، وعلي بن أبي أبي طالب(عليه السلام). وفي العصر الأموي الفضل بن العباس اللهبي، وهو شاعر متمكن [4] .

4-البطن الرابعة المكثرة للشعر: بنو أسد بن عبد العزى ((ويختلف بنو أسد عن سائر البطون شيئاً ؛ فليس فيهم شاعر مُبَرِّزٌ يبلغ منزلة الشعراء الكبار من تلك البطون ، إلا أنهم فاقوا بطون قريش كلها في كمية الباقي من شعرهم في العصر العباسي ... أما العصر الإسلامي فلم يكن فيهم سوى شاعر واحد رويت له قطعة واحدة ، هو الأسود بن المطلب وأبنه هبار يقال إنه شاعر، ولكن لم يصلنا شيء من شعره))[5] ومن شعرائهم الجاهليين : ((خويلد بن أسد بن عبد العزى)) [6] ، ومن شعرائهم في العصر الأموي عبد الله بن الزبير ، وجعفر بن الزبير [7] .

---

(1) العمدة في محاسن الشعر وآدابه : ابن رشيق القيرواني الأزدي (ت 463 هـ) : ج37/1 ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب: ابن سعيد الأندلسي: 334 ، المستطرف في كل فن مستطرف(ت852هـ): الأبشيهي (ت 852هـ):407 .

(2) التبيين في أنساب القرشيين: موفق الدين أبي محمد بن قُدامه المقدسي (620هـ) : 84 .

(3) ينظر : شعر قريش في الجاهلية: د. مختار الغوث : 164 .

(4) ينظر : المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم:41.

(5) الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى : د. مختار الغوث :ج1 177.

(6) معجم البلدان : ياقوت الحموي : ج4/ 479 .

(7) ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: ابن رشيق القيرواني(ت 456هـ) ج1: 38 .

القسم الثاني : بطون قليلة الشعر و(قلتها متفاوتة):

هي التي لها شعر لكنه قليل وفيها شعراء لكنهم قلة ، وتتفاوت هذه البطون في الإقلال : بنو نوفل بن عبد مناف مثلاً ليس لهم شعر، ولا شاعر غير عمارة بن الوليد وابنه الأسود بن عمارة [1]

1- البطن الأولى المقلة للشعر : شعر بني سهم: منهم الشاعر الجاهلي نبيه بن الحجاج السهمي [2] وفي العصر الإسلامي : ((عبد الله بن الزبعرى وعمرو بن العاص وعبد الله بن الحارث وكلهم في عصر الإسلام ، وكثير بن كثير السهمي في العصر الأموي . بيد أن شعر عبد الله لم يبق منه إلا النزر اليسير، ولم يُروَ من شعر عبد الله بن الحارث إلا قطعة واحدة أما عمر بن العاص فكان مقلاً)) [3] .

2- البطن الثانية المقلة للشعر : شعر بني جمح في الجاهلية : منهم عثمان بن مضعون [4] ، وفي العصر الإسلامي أبو عزة الجمحي[5] ، وفي عصر بني أمية : أبو دهبل الجمحي .

---

(1) ينظر: معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384 هـ):246

(2) ينظر : جمل من أنساب الأشراف: البَلَاذُري (ت 279هـ) :ج2/ 281 .

(3) الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى : د. مختار الغوث :ج176/1 ، ينظر : نسب قريش: لأبي عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت263هـ) : 407 .

(4) ينظر : معجم الشعراء : ياقوت الحموي:254 .

(5) طبقات فحول الشعراء :ج253/1 ،((وَكَانَ أَبُو عزة شَاعِرًا وَكَانَ مملقا ذَا عِيَال فَأسر يَوْم بدر كَافِرًا فَقَالَ يَا رَسُول الله إنى ذُو عِيَال وحاجة قد عرفتها فَامْنُنْ عليَّ صلى الله عَلَيْك، فَقَالَ على أَن لَا تعين عليّ يُرِيد شعره قَالَ نعم، فعاهده وَأَطْلقهُ فَقَالَ:

أَلا أبلغا عَنى النبي مُحَمَّدًا بأنك حق والمليك حميد))

3- البطن الثالثة المقلة للشعر : بنو عامر بن لؤي بن غالب : منهم مكرز بن حفص الشاعر الجاهلي [1] ((غير أن قلة شعر هذه البطون الثلاثة تعوضها مكانة شعرائها الثلاثة في الشعر القرشي : عبد الله بن الزبعرى، وأبي دهبل، وابن قيس الرقيات))[2] .

4- البطن الرابعة المقلة للشعر : بنو عبد مناف ، ففي الجاهلية الزبير بن عبد المطلب ، وأبو طالب ليس لهم شعر، ولا شاعر غير عمارة بن الوليد وابنه الأسود بن عمارة [3].

5- البطن الخامسة المقلة للشعر : من بني زهرة في الجاهلية ((وهب بن الحارث بن زهرة وكان شاعراً))[4] وفي العصر الإسلامي سعد بن أبي وقاص [5] أما في العصر الأموي ليس فيها شاعر سوى أبي بكر بن عبد الرحمن الزهري ، وهو مقل ، وما بقي من شعره قليل ، ومع شعره قطع قليلة وقصيرة لرجال من بني زهرة ليسوا بشعراء[6] .

6- البطن السادسة المقلة للشعر: شعر بني فهر ومنهم شعلة الفهري [7] وفي العصر الإسلامي الشاعر ضرار بن الخطاب الفهري وقد عدّه ابن سلام الجمحي من الشعراء البارعين في مكة [8] .

---

(1) ينظر : شعر قريش في الجاهلية : د. مختار الغوث : 205 .

(2) الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى: د. مختار الغوث : 177 .

(3) ينظر: معجم الشعراء : للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384 هـ) :246 .

(4) شعر قريش في الجاهلية : د. مختار الغوث : 204 .

(5) ينظر : الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى: د. مختار الغوث : 553.

(6) ينظر : المصدر نفسه :175 .

(7) ينظر: جمل من أنساب الأشراف: البَلَاذُري (ت 279هـ) : ج1 / 84 .

(8) ينظر : طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي : ج1/ 233

7- البطن السابعة المقلة للشعر : بنو تيم في الجاهلي : ومنهم عبد الله بن جدعان[1] و في العصر الإسلامي : ومنهم أبو بكر الصديق ، وعبد الله بن أبي بكر ، وفي عصر بني أمية : عبد الرحمن بن أبي بكر وكان شاعراً غزلاً في الجاهلية أحبّ ليلى بنت الجودي الغسّانية ، وتزوجها بعد فتح مكة [2].

8- البطن الثامنة المقلة للشعر بني عدي بن كعب بن لؤي بن غالب : ومنهم الشاعر زيد بن عمرو بن نفيل الشاعر[3] وحذافة بن غانم [4] المثلّم بن حذافة بن غانم الشاعر[5] .

.

وقد شهدت بطون قريش من النصوص الشعرية التي عبرت عن واقع قريش وتأريخهم بكل صدق وجدية ، ومن أهم تلك النصوص تجسيداً لدلالات المكان وما جرى عليها من أحداث هي النصوص الشعرية لبطون قريش التي ستكون محط الدراسة بما يحتويه شعرهم من أماكن ودلالات .

---

(1) ينظر: نسب قريش: لأبي عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت263هـ) : 292.

(2) ينظر : المصدر نفسه (ت263هـ) : 276 -277 .

(3) ينظر : المصدر نفسه (ت263هـ) : 364

(4) ينظر : الاشتقاق : لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد : (ت321هـ) :140 .

(5) ينظر: معجم الشعراء : للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384 هـ) :387.

الفصل الأوّل : قداسة المكان ودلالاته

توطئة :

يُعدّ المكان أحد العناصر والمقومات الرئيسة والمهمة في العمل الأدبي؛ لِمَا يحمله من دلالات ورموز فكرية وأبعادٍ وإيحاءاتٍ تُسهم في عملية وانتاج فلسفة المكان على نحو يتجاوز مفهومه الهندسي الحقيقي على الأرض [1] .

من هذا المنطلق كان حضور هذه الدلالات والإيحاءات والرموز والسمات المكانية ولاسيّما الشعرية ذا تغطية واسعة، فالمتفحص في الشعر العربي بصورة عامة والشعر القرشي بشكل مخصوص يلحظ مقدار ارتباط الشاعر ببيئته وتأثره بها، لذا كان المكان فيما يخص الشاعر أرضاً خصبة لما يجول في خاطره وإحساسه، يرسم في الوقت نفسه اسقاطاته الاجتماعية والنفسية التي تحمل في طياتها معالم ودلالات متنوعة مما يفضي إلى إحساسٍ بالمواطنة واحساسٍ آخر بالزمن [2] .

تختلف نظرة الشاعر إلى المكان باختلاف الحالة النفسية التي يمرّ بها فَجُلُّ ما يرد في الشعر هي أماكن ذات مرجعيات تاريخية وأبعادٍ روحية عميقة سواء كانت في الحرب أم في السِّلم بما يثبت تميّز الشاعر وإحساسه بما لا يحس به غيره ، لذا تظهر أهمية دراسة الفاظ المكان في رصد الظلال التاريخي للشعر ، وبيان رؤية الشعراء تلك الأماكن وما جرى عليها من أحداث ووقائع عِبر التأريخ .

---

(1) ينظر : دلالة المكان في الشعر الجاهلي: د. عمار بن لقريش ، أ. معمري فواز : جامعة محمد بوضياف : 86 .

(2) ينظر : إشكالية المكان في النص الأدبي (دراسة أدبية) : ياسين النصير : 5 .

المبحث الأول : دلالات السيادة والحِمَى:

اولاً : قداسة المكان وسيادته :

لقد مثلت السيادة مكانة مهمة في حياة العرب، ويقترن وجودها بوجود الشخصيات المهمة في المجتمع ، إذ كونت عموداً فقرياً تعتمد عليه القبائل ، والسيادة من الأمور المعروفة تاريخياً عن حياتهم ، ولا سيّما بيت الله الحرام ، إذ تكمن الرغبة في سيادتهِ بوصفها من متطلبات العقائد الدينية وهذا مما لا يختلف عليه اثنان.

وقد يربط الشاعر جُلّ ما في الأرض تحت سلطة القبيلة بلا منازع ، والاستحواذ عليها مما يدفعهم الى التعبير عن مشاعرهم وافكارهم المخصوصة وإظهار الفخر والشرف والمجد ، بوصفها جزءًا رئيساً من تطلعات الأمة أو الوطن ، لذا فإنّ الشعراء يرون الأرض مصدراً للإلهام ورمزاً للهوية الوطنية والانتماء وقد ((كانت الرغبة في السيادة عليها بوصفها جزءاً من الوطن المكاني في واقع بيئي فرض على أحياء كثيرة منهم التفرق والانتشار على أرض الجزيرة ثم اختيار ما شاء لها من الأماكن في ذلك الوطن الكبير))[1] وغالباً ما كان الإنسان يستذكر حالة الزهو التي تركت فضاءً يُنبّئ متلقيه بحالة من الفخر والعزّ مكثفة في انفعال شعري متصاعد ، فكثيرٌ من الشعراء قد أثرت بهم طبيعة المكان تأثيراً واضحاً في شعرهم ، وقد شغلت مكة المكرمة الحيز الأكبر في الشعر القرشي ؛لأنها تضم أقدس رقعة على الأرض ، وهو بيت الله الحرام ، فعظمها الشعراء ايما تعظيم ، ورابطوا فيها ، ومن ذلك ما جسَّده حُذَيْفَة بْنُ غَانِمٍ (ت11هـ) فَضْل قُصَيّ عَلَى قُرَيْشٍ، وَفَضْل وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمْ إذ يقول [2] : { من الطّويل }

---

(1) المكان في الشعر العربي قبل الإسلام: حيدر لازم مطلك ، (رسالة ماجستير) : 99.

(2) السيرة النبوية لإبن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 213 هـ): ج1: 175-176 .

قُصَـــيٌّ الَّـــذِي عَـــادَى كِنَانَـــةَ كُلَّهَـــا وَرَابَـــطَ بَيْـــتَ اللَّـــهِ فِـــي الْعُسْـــرِ وَالْيُسْـــرِ

مَتَـــى مَـــا تُلَاقِـــي مِـــنْهُمْ الـــدَّهْرَ نَاشِـــئًا جِـــــدْهُ بِإِجْرِيَّـــــا أَوَائِلِـــــهِ يَجْـــــرَى

....

هُـــمْ مَلَئُـــوا الْبَطْحَـــاءَ مَجْـــدًا وَعِـــزَّةً إِذَا اُسْـــتُبِقَ الْخَيْـــرَاتُ فِـــي سَـــالِفِ الْعَصْـــرِ

وقد تتجلى صفة تقديس المكان عندما جعل الشاعر من مرابطة بيت الله مكاناً مقدساً ليؤكد ما يريد الاخبار به ، ولعلّ السمة الواضحة هنا هي الكثافة في ايراد فضائل عبد الْمُطَّلِبِ بْنَ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ وفضائله، ذَاكراً فَضْلَهُ وَفَضْلَ قُصَيٍّ عَلَى قُرَيْشٍ، وَفَضْلَ وَلَدِهِ مِنْ بَعْدِهِ عَلَيْهِمْ، وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلُ على ثقة الشاعر حُذَيْفَةُ بْنُ غَانِمٍ المطلقة بشخصيات هؤلاء وإيمانه الكامل باستمرار سيادتهم على الناس ساعياً الى بيان مجدهم وعزتهم ومقدار تأثير ذلك في المتلقي .

وفي موضع آخر نجد الشاعر ضرار بن الخطاب الفهري (ت13هـ) يعتمد في أدائه الشعري لهذه الدلالة عن طريق دار ممدوحيه قائلاً [1] : { من البسيط }

لِهَاشِـــمٍ وزُهيـــرٍ فـــرعُ مَكرَمَـــةٍ بِحيـــثُ لاحـــت نُجُـــومُ الفـــرعِ والأســـدِ

مُجـــاور البيـــتِ ذي الأركـــانِ بيتُهمـــا مـــا دُونَـــه فـــي جِـــوارِ البيـــت مِـــن أحـــدِ

إذ يصف الشاعر دقائق مُفصلة عن دار أسد بن عبد العُزى[2] وهو فرع مكرمة الشامخة التي لا ينالها الآخرون ،فهو بيت ذو مكرمة عظيمة تطال السماء رفعة وضياء ، ولا سيّما إنّ هذا البناء بتفصيلاته يحكي صنائع ممدوحيه الذي أفضى إلى جمال أفعالهما على بيتهما الذي كان جنب بيت الله الحرام ، وفي ذلك دلالة على أنّ ذلك المكان (بيتهما) يمنح الشخصية شعوراً مؤثراً ،

(1) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري : 57

(2) ينظر : جمهرة نسب قريش واخبارها : الزبير بن بكار : 441 .

نتيجة قيمة المكان في داخلها ، لذلك أصبح كل شيء في المكان جميلاً أمام عيون الشخصية .

وفي موضع شعري آخر يعمد الشاعر الفضل بن العباس اللهبي (ت96هـ) إلى استدعاء سيادة أهل البيت (عليهم السلام) المتمثلة بحوض النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) الى جانب حوض زمزم لما لها من دلالات الكرم والمنزلة الرفيعة بما يتوافق وغرضه ، ومن ذلك قوله [1] : { من الكامل }

حَوْضُ النَّبِيِّ وحَوْضُنَا مِنْ زَمْزَمٍ ظَمِيَ امْرُؤٌ لَمْ يُرْوِهِ حَوْضَانا

فَإِذَا رَأَيْتَ شَرِيبَنا ومُقَامَه مِنْ حَوضِنَا فَشَرِيبنُا أَرْوَانا

مُتَمَكِّنَا يَقُضي ويَنْفُذُ أَمْرُه حَتَّى يَكُونَ كَأَنه أَسْقَانَا

علِمَت قُريشٌ أنَّنا أعيانُهم مَن قامَ يمدحُ قَومَه استثنانا

أراد الشاعر في النص الشعري بيان منزلة أهل البيت (عليهم السلام) وعلوّ مكانتهم من خلال بعض الأماكن التي تركت أثراً نفسياً وصل إلى حد التقديس ، فذكر تلك الأماكن ينشط العوامل الروحية في نفس الانسان حتى صار حوض النبي وحوض زمزم من الروحيات ، لذلك ربط الشاعر ما بين امتلاك سيادة المحبّة في قلوب المؤمنين التي أعطاهم إيّاها الله (عزَّ وجل) وكرمهم بتلك الأماكن و الحلم والسماحة والفصاحة والشجاعة والمحبَّة في قلوب المؤمنين .

وكذلك إنّ موقع الشاعر وقربه منهم يحدد مقدار قدرته على الوصف الجغرافي لسيادة أهل البيت (عليهم السلام) للمكان ، فاختيار المكان له أهمية

(1) ديوان الفضل بن العباس اللهبي : 40 – 41 .

كبيرة في بناء الشخصية ، والذي يُلحظ ايضاً استعمال الشاعر الفعل المضارع تارة والماضي تارة أخرى للدلالة على أنَّ هذه الكرامة والسيادة والفضائل قديمة ومازالت إلى الآن ، لاتصالهم برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

ومما ورد نخلُص إلى القول إلى أنَّ الشاعر القُرَشي يظل مؤكداً سيادة قومه واتباع الاخرين لهم جاعلاً الأماكن برهاناً فاعلاً على اظهار سيادتهم ، فهو يرى بعض الخصوم يحسدونهم على ما هم عليه من السيادة والرفعة ، وبعد هذا يضيف الى صورة الفخر صورة أخرى موضحة فكرة مائزة لقومه على الآخرين في جميع الجوانب، بما في ذلك المكان الذي يعيشون فيه ،مستعيناً بتوظيف المكان على إتمام الصورة حين يجعل بيوت الآخرين تبعاً لبيوت قومه، ليصبح المكان هكذا دليلاً قاطعًا على تفوق قومه على غيرهم وفخرهم بذلك.

ثانياً : قداسة المكان وحمايته :

للحمى قيمة اجتماعية عليا جسدها الأدباء والشعراء معاً في العمل الأدبي ، وذاك لأنَّه من العناصر الرئيسة والمهمة في حياة الفرد والقبيلة؛ إذ أفضت إلى واقعهم وأضحت جزءاً من أخلاقياتهم سواء أكان بالحماية على الأرض أم المعتقد أم الشخصية المقدسة ، فهم يسعون جاهدين للحفاظ على تلك الحماية والسيادة، إذ تعدّ هذه العوامل الأصل في استقرارهم واستمرارهم .

والمؤكد تاريخياً لسيد القبيلة أو شيخها حق الحماية والسيادة ((كانت تحتاج الى صفات كثيرة في السيد ، يطمئن إليها أفراد القبيلة ، وزمام أمرهم إليه . فلا بد من أن يكون ألمعياً فطناً حكيماً، حليماً خطيباً كريماً ، هيناً ليناً ، أما واجباته فكثيرة ، فهو الذي يعقد الأحلاف والصلح مع القبائل الأخرى ، ويقود قومه في حروبهم ، ويقوم بالحملات والديات ، ويناقش أمور القبيلة الداخلية والخارجية مع أبنائها وأشرافها))[1] ، ومما يؤكد ذلك حينما أذن قصي لقريش أن يبنوا في الحرم ((وقال لهم إنكم إن سكنتم حول البيت هابتكم العرب ولم تستحل قتالكم ، فقالوا : رأينا تبع لرأيك، وانت سيدنا)) [2] وكذلك هاشم حينما جمع قريشاً قال لهم ((أنتم حرم الله وأشراف ولد آدم ، والناس تبع لكم ، قالوا نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف)) [3] ، وهذا يعني أنَّ الحماية والعزّ ليست مفاهيم نظرية فقط، بل تفضي إلى واقعٍ ملموسٍ في حياة الناس ، وهذا الواقع يعزّز

---

(1) مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي : د. حسين عطوان : 34 .

(2) منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم : علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاني (ت1125هـ) :368 .

(3) أسواق العرب في الجاهلية والإسلام : سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت 1417هـ) : 150 ، ينظر بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الالوسي : ج1/ 376 – 377

الشعور بالانتماء للقبيلة والثقة بها ويثبت الركن الذي يستند إليه الأفراد والقبائل لتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم في الحياة.

إنّ السيادة والرئاسة في المجتمع القرشي ليست متاحة لكل فرد ، فلها طرائق وسلوك معين ، ولهذا نجد افراداً أو بيوتاً معينة اشتهرت بهذه الصفات، ومثالها قبيلة كنانة [1] حينما أتى ملك حمير في جيش اليمن لينقل حجر الكعبة من مكة إلى اليمن ويجعل حج الناس ببلاده، قاتلته كنانة ومن انضم إليها من مضر وغيرهم على نحو ما نجده في رثاء فهر بن مالك بن النضر لقيس بن غالب بن فهر بن كنانة، إذ يقول [2] :{ من البسيط }

وكان نجداً جواد الكفِّ ذا ثقة يَوم الصبيب وبين المأزق التبربِ

حامى عن الجارِ والمولى بنجدتهِ وقد يُحامي عن المولى أخو الحسبِ

وبهذا المفهوم يتحول الحِمى إلى بيت الله (عز وجلّ) الى موطن روحي يحمل المُثل العليا ، فالشاعر لم يكن همّه الحرب من أجل الثأر لقيس بن غالب فحسب، بل كان في جانب مهم منه اظهار ذلك الجود وحمايته الجار ، وقد يكون طرف هذا الحمى ظاهرة معلومة وواضحة على نحو ما يكشف ذلك قول أبي طالب(عليه السلام) (ت10هـ) قصيدة طويلة يصف فيها حمايته حينما أوى إليه بنو هاشم في الشِّعب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لمَّا تحالفت عليهم قريش قائلاً [3] : { من الطّويل }

---

(1) ينظر : القصة كاملة : موسوعة القبائل العربية – بحوث ميدانية وتاريخية : محمد سليمان: ج10 /559 .

(2) معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت384 هـ):318.

(3) ديوان أبي طالب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : 63 – 64 .

وَأَحْضَرْتُ عِنْدَ الْبَيْتِ رَهْطِي وَإِخْوَتِي وَأَمْسَكْتُ مِنْ أَثْوَابِهِ بِالْوَصَائِلِ
قِيَامًا مَعًا مُسْتَقْبِلِينَ رِتَاجَهُ لُدًى حَيْثُ يَقْضِي نُسكَهُ كُلُّ نَافِلِ
وَحَيْثُ يُنِيخُ الْأَشْعَرُونَ رِكَابَهُمْ بِمُفْضَى السُّيُولِ مِنْ إِسَافٍ وَنَائِلِ
مُوَسَّمَةُ الْأَعْضَادِ أَوْ قَصَرَاتُهَا مُخَيَّسَةٌ بَيْنَ السَّدِيسِ وَبَازِلِ
تَرَى الْوَدْعَ فِيهَا وَالرُّخَامَ وَزِينَةً بِأَعْنَاقِهَا مَعْقُودَةٌ كَالْعَثَاكِلِ [1]

لا يمكن لأي أحد أنْ ينكر ما لقريش من عداوة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ولهذا الدين الجديد ولما كان لهذا الدين من تسفيه أحلامهم وتبديد مخططاتهم، لكن أبا طالب(عليه السلام) لم يترك رسول الله في تلك الظروف حين عزمت قريش على عداوة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ، إذ أحضر رهطه وأخوته عند بيت الله (مكة المكرمة) وتمسك بأستار الكعبة (الوصائل)[2] التي هي منبعٌ الألفة ، وبذلك تكون شدِّة الموقف الذي هُم فيه بعد هذا التحالف في تضادٍ للواقع الطبيعي ، فمَن يستطيع أنْ يحمي هذا الدين بعد أنْ حفّت به حبال المنيَّة ، إلا أنّ المكان والموقف قد يصبحان مغايرين لوضعه الحقيقي الوقتي عندما يُسيطر عليه بعد أن صبر لهم نفسه على وفق إحساس فكري وعقدي نابع من قناعة كاملة بحدث معيّن [3] لما لهذا البيت من قدسية مخصوصة ، ولا سيّما ما يجري عليه من مناسك الحج والطواف وغيرها من المناسك وهو ما أسهب الشاعر بذكرها مُفصلاً القولِ فيها .

---

(1) العثاكل: العِثْكَالُ :العذْق مِنْ أَعْذاق النَّخْلِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ الرُّطَب، وَيُقَالُ إِثْكالٌ ينظر : لسان العرب : ج11: 425 .

(2) الوصائل : ثياب من صنع اليمن حمراء مخططة باللون الأخضر . ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي: ج13/ 81 .

(3) ينظر : إشكالية المكان في النص الأدبي (دراسة نقدية) : ياسين النصير: 22 .

وفي موضع آخر يعبِّر الشاعر أبو سفيان بن الحارث (ت 20هـ) عن مشاعر حقيقية تمس بطولاته أمام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وإنَّ القصد منها هو رجاء ثواب الله (عزّ وجل) قائلاً [1] : { من الطّويل }

لقد عَلِمَتْ أفناءُ كَعْبٍ وعامِرٍ غَداةَ حُنَينٍ حينَ عَمّ التّضَعضُعُ

بأنّي أخو الهَيْجَاءِ أَرْكَبُ حَدّها أمامَ رَسولِ اللهِ لا أتَتَعْتَعُ

رَجاءَ ثَوابِ اللهِ واللهُ واسِعٌ إلَيْه تَعالى كُلُّ أمْرٍ سَيَرْجِعُ

هذه الأبيات كشفت البعد المكاني عن توجُّه شعوري حسيٍّ من لدن الشاعرِ أبو سفيان بن الحارث ينحو إلى التجسيد مُتخذاً من معركة (حُنين) الوسيلة للوصول الى غايته وهي رضا الله (عزّ وجل) ورسوله الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى هذا النحو أشار الى(أفناء كعب وعامر) لإغناء الفكرة والموقف الذي ارادَ الشاعر اثباته فاتسع النص ليحوي جميع تلك الأخبار التي اختصت بها تلك المعركة ، مُوظِّفًا ذلك في خدمة قضيته الأمُّ أو التأثير في ذات المُتلقِّي . ومن مصاديق ذلك التوظيف ذكر الشخصيات السبعة[2] التي نصرت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في قول العباس بن عبد المطلب ت 32هـ) [3] : { من الطّويل }

---

(1) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : ابن الجوزي (ت 654 هـ) ج196/5 .

(2) يَعْنِي بالسبعة نَفْسه وعلي بْن أَبِي طَالِب(عليه السلام) والفضل بْن الْعَبَّاس وأبا سُفْيَان بْن الْحَارِث وأسامة بْن زَيْد بْن حَارِثَةَ، وأبا رافع مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ وأيمن بْن عُبيد أَخَا أسامة لأمه أم أيمن، ويقال إن السابع مكان أيمن بعضُ ولد الْحَارِث بْن عَبْد الْمُطَّلِبِ ، ينظر : العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده : أبن رشيق القيرواني (ت 456هـ): ج2/ 36.

(3) جمل من أنساب الأشراف : البَلَاذُري (ت 279هـ) :ج2 / 4 .

نصـرنا رَسُـول اللَّـهِ فِـي الحـرب سـبعةً وَقَـدْ فـرّ مـن قَـدْ فـرّ عَنْـهُ فأقْشَـعوا

وَثَامِنُنَـــا لاقَـــى الْحِمَـــامَ بِسَـــيْفِهِ بِمَـــا مَسَّـــهُ فِـــي اللَّـــهِ لا يَتَوَجَّـــعُ

يذكر الشاعر اعداد الذين ثبتوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ونصروه في الحرب ؛لأنَّ استحضارها أصبح أمراً يثري المضمون الشعري ويفصح عن عدد كثير من المعاني التي يصعب الحديث عنها بصورة مباشرة ، لذلك فَهُم يمثلون الإيمان الحقيقي الذي يظهر وقت الشدَّة ، ويصف واقعاً حقيقياً معيناً فهذا الثبات والدفاع عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والدين الإسلامي هو انعكاس عن الاطمئنان الداخلي الحقيقي الذي وصلوا اليه ، و يصور لنا كيف أنَّ المعركة على اتساعها ورحابة المكان التي قام عليه فإنّها صغرت حينما فرَّ جُلّ الصحابة منها ، وقلّ عددهم ، وصغُر المكان الذي نصروا فيه رسول الله ، إلاّ أنّ ذلك المكان أصبح رحباً حينما يدنو من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويدافعون عنه ، ليكونوا بذلك حقيقة ثابته ، وبإيمان راسخ في الوجدان بإنّ دفاعهم عن النبيَّ (صلى الله عليه وآله وسلم) دفاعٌ عن الإسلام .

المبحث الثاني قداسة البيوت ودلالاتها:

- **قداسة بيوت الشرف والكرم :**

لقد حظيت بيوت الشرف والكرم بعناية الشعراء في مختلف عصور الشعر فتَغنَّوا بها وبشخوصها وفضلها وشرفها على الناس ، ولاسيَّما البيوت التي شرَّفها الله (عزّ وجل) أو التي شُرفت بساكنيها ، ونجد ذلك في قول ضرارُ بن الخطاب(ت13هـ) [1] : { من البسيط }

ما ضُمّنَ الحِجرُ مِمّن قد مضى أحدٌ مِــن البرِيّــةِ لا فُصــحٌ ولا عَجَــمُ

بَعــدَ ابــنِ آجــر أنّ اللهَ فضّــلَهُ إلاّ زهيــراً لــه التفضــيلُ والكــرمُ

ففي البيتين الشعرين جعل الشاعر من الحجر ظرفاً للحديث عن المعاني المُتضمنة للفضائل مُستعملاً إيَّاه حينما دفن زهير بن الحارث في حجر الكعبة من بعد إسماعيل بن إبراهيم وهاجر(عليهم السلام)[2] للدلالة على تفضيله ممن مضى من الناس جميعاً ففي الضمير (الهاء) دلالة على انفراده بهذه الفضيلة ، وبذلك تحول عنصر المكان إلى عنصر فردي مخصوص بزهير بن الحارث ، فالحجر مكان واقعي مرافق للشاعر لا يستطيع الصدَّ عنه بأي شكل من الأشكال ، والواضح من النص أنَّ الشاعر أجزم وعلى يقين من أمره بعلوِّ مكانة زهير بن الحارث التي إنماز بها من دون غيره معطياً بذلك مسوغاته وأدلته فذلك الحجر يدلّ على الموضع الذي دُفن فيه .

---

(1) ديوان ضرار بن الخطاب : 86 ، آجر : هي هاجر، أم ابينا إسماعيل (عليه السلام) وهو المدفون في الحجر ، والهمزة في (آجر) بدلاً من الهاء .

(2) هاجر : هي أم ابينا إسماعيل (عليهما السلام)

وقد تجلَّى ذلك الشرف في بيوتات آل النبي (عليهم السلام) في قصيدة الشاعر الفضل بن العباس اللهبي ، كقوله [1]: (الطويل) { من الرمل }

نحـــنُ قـــومٌ قـــد بنـــى اللهُ لنـــــا شـــرفاً فـــوقَ بيوتـــاتِ العـــــربْ
بِنبـــــي اللَّـــــهِ وَابْنَـــــيْ عَمِّـــــهِ وَبِعَبَّـــاسِ بْـــنِ عَبْـــدِ الْمُطَّلِـــبْ
إنّ قـــــومي ولقـــــومي بسطـــــةٌ منَعُـــوا ضـــيمي وأرخـــوا مـــنْ لبَـــبْ
تركـــوا عقْـــدَ لســـاني مطلقـــــاً بفعـــــالٍ أثلـــــوهُ ونسَـــــــــبْ
أَنْـــتَ إِن تـــأتهم تنـــزل بهـــم بَاغِيـــا للْعُـــرْف فـــيهم لَا تخـــب
ورســـــول الله جـــــدي جـــــده وعلينـــــا كـــــان تنزيـــــلُ الكتـــــب

نرى الشاعر في هذا النص الشعري يعمّق الدلالة التشريفية للمكان عِبر ما أرساه ((النسب الهاشمي والذي أخذ حيزا كبيرا لدى الشعراء، بل كان مدعاة فخر لهم؛ لأنّ الله (عزّ وجلّ) شرّفهم بالنبوّة والسيادة التي لازمتهم طوال حياتهم، فيلتمس الشاعر الأخضر اللهبي من ثقافته التاريخية تلك الدلالات التشريفيّة لأجل إظهار مزايا قبيلته التي رجحت على بقيّة القبائل العربيّة في الشرف والنسب، وهيّ سُنة دأب عليها الشعراء آنذاك فالطبيعة العامة كانت تفرض على الشاعر أن يقف شعره كلّه على قبيلته فينشر محامدها ويذيع مفاخرها ويناضل خصومها))[2]، إذ القبيلة هي العضد والمعين وقد أشار الإمام علي (عليه السلام) إلى ما تقرب به هذا المعنى بقوله: ((أكرم عشيرتك، فإنهم جناحك الذي به تطير...)) [3] إذ إنَّ عشيرته هي نَسَبه وكرامته وهي منفذ من منافذ القوة واستحضار الأجداد وما تصفو به من العزِّ والشرف والرفعة ، ليتخذ منها ملاذاً آمناً كيف

(1) ديوان الفضل بن العباس : 19-20.

(2) المرجعيات الثقافية عند شعراء الشيعة في العصر الأموي : عادل عبد مجيد (أطروحة دكتوراه) : 187.

(3) التذكرة الحمدونية : محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن حمدون ، أبو المعالي البغدادي (ت562هـ) : 262 .

لا ؟ وقد بنا الله (عزّ وجل) هذا الشرف العظيم فوق بيوتات العرب ، بدءاً من بيوت النبّي (صلى الله عليه وآله وسلم) وانتهاءً ببيوتات الأنوار الهاشمية ، ولا سيّما إنّ هذه البيوت انعكاس لذات الشاعر وما تسقطه هذه البيوت على المكان من ذكريات ، فحب المكان يُعادل حب من سكنوها ، وفي السياق نفسه يُطنب الشاعر في شرح ذلك السبق بقوله: (سَبقنا ولمْ نُسبقْ وضُمنا ولمْ نضمْ) ففي هذه العبارة سبق زمني كبير وشرفٌ لا ينفذ ، لذا حرص على إيصال ذلك إلى سامعيه بقوله [1] : { من الطّويل }

سَبقنا ولمْ نُسبقْ وضُمنا ولمْ نضم لنا ذاكَ محتوماً على الناسِ
فما عُدَّ إنسانٌ بأمثل هاشمٍ إذا عدّدوا الآباء أسنى وأكرما
وما افتخرَ الأقوامُ إلاّ بفضِلنا وما وجدوا إلاّ لنا متجشما
ونحنُ خُصصْنا بالنبوةِ منَهمُ وكان لهذا الناسِ عزّاً مقدما
ونحنُ ولينا الحجرَ والبيتَ دونهُمْ ونحنُ حفرنا جانبَ الحجرِ زمزما

فقد حمل النص دلالة تعبيريّة عن المنزلة الاجتماعية التي أشار إليها الشاعر المرتبطة بقبيلته ، فلا يماثله ولا يضاهيه نسب فقد افتخرت كل الأقوام بفضله ، فمنه أفاضت النبوّة ، والواضح من النص الشعري أن الشاعر أجزم وعلى يقين من أمره بأنّهم لم يسبقهم أَحد في هذا من جهة وبعلو مكانتهم من جهة أخرى ، وفي حقيقة الأمر أنّ القصيدة التي ذُكرت قبل القصيدة المذكورة آنفاً اختصّت بتلك الفضائل والأحداث ؛ لذلك جعل الشاعر من تلك المواقف والأحداث الكثيرة أداةً للتعبير عن صورة ذلك المكان [2] ، فضلاً عن ذلك إنَّ هذه الفضائل والمزايا توافقت مع وحدة الزمان والمكان في النص الشعري عبر انتقال الشاعر ما بين الأزمنة لذكر مآثر آل البيت (عليهم السلام) متَّكاً

(1) ديوان الفضل بن العباس اللهبي :38 .

(2) ينظر: اليات السرد بين الشفاهية والكتابية (دراسة في السيرة الهلالية ومراعي القتل) سيد إسماعيل ضيف الله : 167.

علـى ثقافتـه فـي سـرد تلـك الفضـائل والمـآثر ، ومـن ذلـك قصـيدة حذيفـة بـن غـانم لِعَبْـدِ الْمُطَّلِبِ، قائلا[1] : { من الطّويل }

إِلَـى سَـبَأِ الْأَبْطَـالِ تُنَمَّـى وَتَنْتَمِـي فَـأَكْرِمْ بِهَـا مَنْسُـوبَةً فِـي ذُرَا الزُّهْـرِ
أَبُـو شَـمَرٍ مِـنْهُمْ وَعَمْـرُو بْـنُ مَالِـكٍ وَذُو جَـدَنٍ مِـنْ قَوْمِهَـا وَأَبُـو الْجَبْـرِ
وَأَسْـعَدُ قَـادَ النَّـاسَ عِشْـرِينَ حِجَّـةً يُؤَيَّـدُ فِـي تِلْـكَ الْمَـوَاطِنِ بِالنَّصْـرِ

على الرغم من أنّ الأبيات جاءت لغرض المدح ، إلاّ أن تحديد المكان الذي ينتمي إليه الشاعر جاء رمزاً لكرم الممدوح وعزّه ، ليقينه بأنَّهم من أطهر الأنساب وأشرفها ، فالدلالـة المكانيـة هنـا مرتبطـة بـالغرض ألاّ وهـي بيئـة السـيدة آمنـة بنـت وَهَـب(عليهـا السلام) التـي تفتحت عينها فـي البيت العتيق مكة المكرَّمة التي يسعى اليها الناس من كل فجٍ عميق ، فهي تومئ إلى تكثيف الدلالة المرتبطة بأثر النسب على الفرد ، وهذا يعنـي أنّ الدلالـة المكانيـة قائمـة علـى أدراك واعٍ لأثـر الهالـة القدسـية المحيطـة بالممـدوح فعندما ((نمنح شيئاً مكاناً شعرياً يعني أن نعطيه مساحة أكثر مما نعطيه موضوعية ، أو بشكل أدق يتسع تمدد مكانه الحميم)) [2] عِبر انتمائه لهذا المكان؛ ولأن الَّحس بالمكان

---

(1) السـيرة النبويـة لابـن هشـام :عبـد الملـك بـن هشـام بـن أيـوب الحميـري المعـافري، أبـو محمـد، جمـال الـدين (ت 213هـ) تحقيـق: مصـطفى السـقا وإبـراهيم الأبيـاري وعبـد الحفـيظ الشـلبي: ج1/ 177. أَبُـو شـمر: مَالـك. وَيُقَـال لَـهُ: ملـك الْأَمْـلَاك. وَابْنـه شـمر هُـوَ الّـذي بنـى سَـمَرْقَنْد، وَيحْتَمـل أَن يكـون أَرَادَ أَبَـا شـمر الغسـاني وَالِـد الْحَـارِث بـن أَبـى شـمر. وَعَمْـرو بـن مَالـك: قـد يكـون عمـرا ذَا الأذعـار. وَأَبُـو الْجَبْـر: ملـك مـن مُلُـوك الْـيمن، وَيُقَـال: إِن سـميَّة أم زِيَـاد كَانَـت لأبـى جبـر هَـذَا، وَدفعهَـا إِلَـى الْحَـارِث بـن كلـدة. أسـعد: هُـوَ أسـعد أَبُـو حسـان بـن أسـعد، وَهُـوَ وَمـن ذكـرهم فِـي الْبَيْـت السَّـابِق، مـن التبابعـة، وَإِنَّمَـا جعلهـم مفخـراً لأبـى لَهـب، لِأَنَّ أمـه خزاعيـة مـن سـبإ. ينظـر :السـيرة النبوية لابن هشام: ج177/1 .

(2) جماليات المكان : غاستون باشلر :226 .

((حسّ أصيل عميق في الوجدان البشري –خصوصا إذا كان المكان هو وطن الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط المشيمي البدائي برحم الأرض– الأم))[1] وفخره بهذا الانتساب لإنتمائه لشخصية الممدوح ، ومثلما ورد في قول حذافة بن غانم في محلِّ حديثه عن قصي قائلاً [2] : { من الطويل }

قُصَـي لَعَمْـرِي كَـانَ يُـدعَى مُجمعًـا بـــه جمـــع الله القبائـــلَ مـــن فِهْـــر

احتوى الشاعر المكان الذي جمع به القبائل عن طريق قرائن فيها مزاوجة بين المكان وصاحبه ، وهذا الاطار الوصفي المبسط يقترن بالحركة ويُفصح عن الواقع الجميل ، لذا جاء بألفاظٍ مناسبة لدلالة ذلك الجمع فبقوله (مجمعاً – به جمع) تدل على إيجابية المكان وألفته وتأثيرها على نفسية الشاعر وأريحيته بجمع القبائل تحت لواء (قصي) فالبنية المكانية لهذا البيت الشعري كما قلنا تدل على توحد القبائل وجمعها ، فهذا المكان يذكِّره بأحبائه وبكل شيء يدلّ على أُلفته ويبعد عنه الضيق والمعاداة وعدم الألفة ، وفي هذين البيتين يفخر فيهما الفضل بن العباس اللهبي وأنهم أفضل من مشى على الأرض قائلاً [3] : { من الطّويل }

وَلَنَـــا مِـــنْ حِيَـــاضِ زَمْـــزَمَ وِرْدٌ لِوُفُـــودِ الْحَجِـــيجِ وَالْإِهْـــلَالِ
فَسَـــلِ النَّـــاسَ يُخْبِـــرُوكَ يَقِينًـــا بِأَنَّـــا خَيْـــرُ مَـــنْ مَشَـــى فِـــي النِّعَـــالِ

استعان الشاعر بماء زمزم ووصفها دلالياً في إثبات فضائلهم وكرامتهم وشرفهم عن القبائل الأُخر عن طريق استحضار الحجج والبراهين الدالة على تلك الأفضلية عن

---

(1) جماليات المكان: اعتدال عثمان : 76.

(2) السيرة النبوية لابن هشام :عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 213 هـ) : ج1 /116

(3) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه: محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي(ت275هـ) : ج2 : 60 ، وهذان البيتان لم اجدهما في ديوانه .

طريق وقوف الحجيج عند ورودهم هذين الحوضين ، ذلك أنَّه أبان عن صور تُعدُّ حقائق مشهودة بحقِّهم و مصاديق جازمة ليس لأحد أنْ يُنكرَها ، وقد جاء بشواهد تاريخية ومرجعيّة حقيقة واضحة جاءت على وفق قضايا مسلّمة استشفها من ثقافته التي جسدها للربط بين ما استحدثه من صور تحمل في مضمونها معان مثمرة ناجعة ارتأى إيصالها إلى السامع وإشراكه بمبدئه ومعتقده للوقوف على حقيقة الأمر، إلا أنَّ أهل البيت (عليهم السلام) هم خير الناس بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، ومن ذلك أيضاً ما يطالعنا به الزبير بن عبد المطلب على قريش بعائلته ومكانتها من قريش فهم افضل قريش واكرمهم جدودا واصبرهم على الشدائد واكرمهم إذ يقرون الضيوف ويسقون الحجيج ، وبمجدهم فخرت قريش وهم السادة من سلف قصي ، يقول[1] : { من الوافر }

وانـــا نُطعـــمُ الأضـــيافَ قِـــدَماً إذا لـــم يـــزج رســـل فـــي ســـوامِ

وإنَّـــا نحـــنُ اســـقينا رواء حجـــيجَ البيـــت مـــن ثـــبج الجمـــامِ

وان بِمجـــدنا فخـــرتْ لـــؤيٍّ جميعـــا بـــين زمـــزم والمقـــام

وإنَّ القـــرِمَ مِـــنْ سَـــلَفِي قُصَـــيٍّ أبونـــا هاشـــم وبـــه نُســـامي

يفخر الزبير بن عبد المطلب بآل قصي في معرض ردِّه على هجاء ابن الزبعرى لهم ، وكان هو المتحدث الوحيد في النص ناقلاً تلك الأحداث والوقائع ومشيداً بمنزلتهم وفضائلهم على الناس اجمع ، كإكرام الضيف وإطعام الناس في سنين القحط فلولاهم لما لبس الناس ثياب العزَّة ، فهذا الفخر ينبع من إيمان الشاعر المطلق بمكانتهم السامية فهو من آل هاشم ، وقد كان موفقاً في توظيف المعاني مستعملاً الألفاظ نفسها ليتسنّى للمتلقي

(1) ديوان الزبير بن عبد المطلب : 29 ، جمل من أنساب الأشراف: البَلَاذُري (ت 279هـ) : 16/2ج،

تصوّر بيوت الكرم والمجد ، وبذلك صارت هذه الشخصيات صورة حقيقية لتلك الأماكن [1] ومثل ذلك قول الزبير بن عبد المطلب قائلاً [2] : { من السريع }

يـــا أيُّهـــا السَّـــائلُ عَـــن مجـــدِنَا أربَـــــع تنبَّـــأ أيُّهـــــا السَّـــــائلُ

فينَـــا منـــاخُ الضّـــيف والمجتـــدي منَّـــــا وفينـــــا الحكـــــم الفاضـــــلُ

ونحـــــنُ مـــــأوى كـــــل ذي خلـــــةٍ كـــــلّ حـــــداه الـــــزمنُ الماحـــــلُ

وملجـــــأ الخـــــائف إن القحـــــتْ حـــــربٌ بـــــأطرافِ القنـــــا نـــــازلُ

ونحـــــن إنْ جـــــاءت تهـــــزُّ القنـــــا يتبعهـــــــا الجنـــــــانُ والحائـــــــلُ

بكـــــرّ رددنـــــا جمعهـــــا خائبـــــاً وقـــــدحها مـــــن ســـــهمِه ناصِـــــلُ

الواضح من هذا النص أن الشاعر يفخر بأخلاق بني هاشم ومجدهم على الرغم من أنّه لم يصرّح بمنازلهم ، ثمّ إنّ النداء فسح المجال للشاعر في تبليغ الرسالة أو المضمون المراد توصيله إلى السائل ، وهو ما أفصحت عنه أبيات النص، فبقوله (أربع) على وزن أفعل ليؤكد بيان ذلك المجد ، فعندهم تسترجع الحقوق ، وبذلك أصبحت منازلهم مكاناً وملاذاً لكلِّ هؤلاء ، فضلاً عن الضيوف والهاربين والخائفين ، بينما نجد في موضع آخر من كان يعطي المال ولا يخشَ الفقر، نحو ما ورد في قول عبد الله بن جدعان التيمي [3] (ت 592م) : { من البسيط }

إنـي وإن لـم يَنَـل مـالي مَـدَى خُلُقـي وهّـابُ مـا ملكـتْ كفّـي مـن المـالِ

لا أحـــبُس المـــالَ إلاّ ريـــثَ أُتلِفُـــه ولا تُغيِّرُنـــي حـــالٌ عـــن الحـــالِ

---

(1) ينظر : بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) ، حسن بحراوي: 30

(2) جمل من أنساب الأشراف: البَلَاذُري (ت 279 م) : ج2/ 16 ، ديوان الزبير بن عبد المطلب : 27 .

(3) عيون الأخبار: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت276هـ) :335 .

فالشاعر يبذل المال ، ومصاعب الحياة لا تغير سجيتهُ فهو من بيت كرم ، ويَعدُّ المال نعمة وفضلاً من الله ينبغي أن يستخدمه للخير والإحسان قبل أن يموت الإنسان حتى لو اضطر على المنع من الكرم[1] ، ولا ملوم للشاعر أن يجد طريقة لأخذ شيئٍ من المال واعطائها إلى محتاجيها [2] ومن ذلك ايضاً قول عبد الله بن معاوية ابن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب (ت 131هـ) [3] : { من الوافر }

أَرى نَفسي تَتوقُ إِلى أُمورٍ وَيَقصُرُ دونَ مُبلَغِهِنَّ مالي
فَنَفسي لا تُطاوِعُني بِبُخلٍ وَمالي لا يُبَلِّغُني فَعالي

---

(1) وإياه مدح أمية بن الصلت بقوله :الديوان : 17- 19 .

كَريمٌ لَا يُغَيِّرهُ صباحٌ عَن الْخُلق السَّنيّ وَلَا مساءُ
تُباري الرِّيحَ مَكرُمَةٍ وَجوداً إذا ما الكلبُ أحجَرهُ الشَّتاءُ
إِذَا أَثْنى عَلَيْكَ المَرْءُ يَوْمَاً كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الثَّنَاءُ
فأرضُك كُلّ مكرُمَةٍ بناهَا بَنو تَيمٍ وَأَنتَ لَهَا سَمَاءُ

(2) عيون الأخبار: ابن قتيبة الدنيوري (ت276هـ):335 ، نجد ذلك حينما((كبر أخذ بنو تيم عليه ومنعوه أن يُعطي شيئاً من ماله ، فكان الرجل إذا أتاه يطلب منه قال : أُدنُ مني ، فإذا دنا منه لطمه ثم قال: اذهب فاطلب بلطمتك أو تُرضى ، فتُرضيه بنو تيم من ماله . وفيه يقول ابن قيس الرقّيات حين فخرَ بسادة قريش :

والذي إن أشار نحوكَ لطماً تَبعَ اللَّطمَ نائلُ وعطاءُ))

(3) شعر عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : : 67 .

فالمتعارف عليه أنَّ النفس الإنسانية أمارة بالسوء{ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ }[1] ، ولكن الشاعر عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر في هذين البيتين قد وصف نفسه مصرحاً بنقائها وكرمها، فالكريم حينما عجز أن يجد شيئاً في الواقع لجأ إلى نفسه ليرى مكانة الكرم والسخاء في داخلها فوجدها تتوق إلى أمور فيها مرضات الله(عزّ وجل) ولكنه يقصر قلة الحال على إدائها ، لذا حرص الشاعر على بيان الترابط المنطقي بين البيتين فكان للتدوير أثر مهم في رفد تلك المسألة ، فضلاً عن إثارة التركيز لدى المتلقي بأن هذه الأمور التي تتوق إليها نفسه ،ولم تكن يوماً من أجل الدنيا ، وإنما كان ذلك حباً في الله وقصداً في مرضاته ، حتى لو تحمل الإنسان فوق طاقته وهذا ما وجد في أبيات لوهب بن عبد قصي عندما مدح هاشماً على كرمه قائلاً [2] : { من الوافر }

تحَمَّــلَ هَاشِــمٌ مــا ضَــاقَ عنــهُ وأَعْيَــا أنْ يقــومَ بــهِ ابْــنُ بِــيضِ

أَتَــــاهُمْ بــــالغرائرِ مُتْأَقــــاتٍ مــن أرْضِ الشَّــأم بــالبُرِّ النَّفــيضِ

فأَوْسَــعَ أَهْــلَ مَكَّــةَ مــن هَشــيمٍ وشــابَ الخُبْــزَ بــاللَّحمِ الغَــرِيضِ

فظَــلَّ القَــوْمُ بــينَ مُكَلَّــلاتٍ مــنَ الشِّــيزَى وحَائرُهَــا يفِــيضُ

فالضيق في فكر الإنسان هو كل ما يحتاجه الإنسان من مساعدة سواء كانت مادية أم معنوية ، لذا استثمر الشاعر ما هو مخزون في الفكر الجمعي ليصف به مكانة بني هاشم وكرمهم ، ولاسيّما حين يصف شخصية ما((فإنّه يتبنى بعض مواقفها، لكنه لا يظلُّ مقيداً بدلالتها تماماً، وإنما يطوع تلك الأحداث ويتصرف بها بحدود لا تخرجها من معانيها وسياقاتها بصورة

(1) سورة يوسف :آية 53.

(2) المنمق في أخبار قريش : محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي (ت 245هـ) : 98 ، الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري(ت320هـ): ج76/1.

كاملــة))[1] وقــد زاد علــى ذلــك حينمــا [2] أراد مــن هــذا الفعــل وغيــره انطلاقــاً لتجسـيد الواقـع المتمثـل بكـرم بيـوت بنـي هاشـم ، فأهـل مكـة تتطـوف علـيهم لأخـذ المعونــة مــنهم كلمــا يشــعرون بــالجوع ، وبشــكل مســتمر ، وهــذه منزلــة كفيلــة بــأن تعطي ثمارها حتى صار بنو هاشم في هذه المنزلة الرفيعة .

وفي موضـع آخر رثى حذيفة بن غانم عبد المطلب بن هاشم وابنـه وذكر إحدى سـجاياه المتمثلـة بسـقايته للحجـيج التـي أصـبحت فخـرا علـى كـل فخـر ، قـائلاً[3] : { من الطّويل }

وَسَـاقِي الْحَجِـيجِ، ثُـمَّ للخبْـز هاشـمٌ وعبــد منــاف ذلــك الســيد الفِهْــري

طـوى زَمزَمـا عنـدَ الْمَقَـامِ فأصـبحتْ سـقايتُه فَخْـرًا عَلَـى كـلِّ ذي فَخْـرِ

عرض الشاعر الأحداث التي امتدت عقوداً من الزمن لوقوعها وإقدامه على سقاية الحجيج ، فالشاعر مدح ذلك الفعل لما فيه خير بحق هاشم وعبد مناف ، فهم لم يقدموا علـى هـذا الفعـل مـرة واحـدة ، وإنمـا أصـبح مخصوصـاً بهـم ، ومـن المعـروف أن هـذه الأحداث المتمثلة بسقاية الحجيج وقعت بفعل أشخاصاً معروفه ، وفي مكان واحد ألا وهو

---

(1) القناع في الشعر العربي الحديث (دراسة في النظرية والتطبيق) د. سامح الرواشدة :15

(2) ((أتـى الشـام فأقـام بـه حينـاً ثـم أقبـل منـه يريـد مكـة ومعـه الغرائـز مملـوءة خبـزاً ، ومعـه الإبـل تحمـل الغرائـز حتـى قـدم مكـة ، وذلـك فـي سـنة شـديدة قـد جـاع فيهـا النـاس وهلكـت فيهـا أمـوالهم وأنفسـهم فعمـد هاشـم إلـى الإبـل التـي كانـت تحمـل الغرائـز فنحرهـا وأقـام الطُهـاة فطبخـوا ، ثـم أخـرج الخبـز الهشـيم فمـلأ منـه الجفـان ثـم أمـر بالقـدور فكفئـت عليهـا ، فـأطعم النـاس أهـل مكـة وغيـرهم فكـان أول خصـبهم)) ، المنمـق فـي أخبـار قـريش: محمـد بـن حبيـب بـن أميـة بـن عمـرو الهاشـمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت 245هـ) : 97 .

(3) السـيرة النبويـة لابـن هشـام : عبـد الملـك بـن هشـام بـن أيـوب الحميـري (ت 213 هـ) : ج1/ 139.

المقام ، ولاسيّما حركة الشاعر السريعة في داخل الأبيات، فبقوله (طوى زمزما) دلالة على أن الأحداث جرت لعقودٍ من الزمن، إذ قاموا بسقايتهم .

وبعد هذا نلحظ أنّ الوصف الانتقائي لتلك الشخصيات يُسهم بشكل واضح في بناء الفضاء المكاني، زد على ذلك جاء ليحقق وظيفته التواصلية في إيصال صورة مؤطرة بواقعية المكان وأبعاده الاجتماعية إلى متلقيه ؛ ليستدعي انتباهه واقناعه بأنَّ ما يُرى من صميم الواقع ، وبذلك تزيد رغبته في قراءة هذا الخبر الإعجازي مستمتعاً [1] ، وبما أن آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) هم أهل المكارم والرفعة الذين خصهم الله (عزّ وجل) فجعل لهم منزلة ورفعة على الناس أجمعين كما يقول أبو دهبل الجمحي(ت63هـ) بحقهم [2] : { من الطّويل }

رمتهـا لأهـل الطـف منهـا عصـابة حـداها إلـى هـدم المكـارم لومهـا

....

اَوْلَئِـــــكَ آل الله آل مُحَمَّـــــد كـــرَامُ تَحْـــدَتْ مَـــا حَـــدَّاهَا

أكَـــــارِمُ أُولِـــــيِّنَ الْمُكَـــــارَم فَحَمْـدُ الْعَلِـيِّ لَـوْلَا عُلَاهُـمْ ذَمِيمَهَـا

نَخلُصُ مما تقدّم إلى إنَّ دلالة بيوت الكرم التي تخصُّ قبيلة قريش قد كوّنت رافدا لتجربة شعراء قريش، فاستعارة دلالات الكرم لتلك البيوت والشخصيات وما تنطوي عليه من قيم قد أفادت الشعراء وكمّلت نصوصهم بوساطة معطياتها الحاضرة في وعي المتلقي ومنظومته الفكريّة، وبذلك أدّت هذه الاستدعاءات عملها في بلوغ الشعراء أهدافهم في المدح أو الفخر كاشفة عن القيمة المادية في حياة الإنسان القرشي فبعضهم يمتلكون الأموال ويتباهون بامتلاكهم الآبار والسقاية والرفادة... والحج وغيرها ، وبما هو معروف من أنَّ الكرم لم يكن ظاهرة بارزة على كل قريش وإنّما مقتصرة على بعض

(1) إضاءات في أدب التشيع (درامية الصراع وشعرية النص): د. رائد حميد البطاط: 97 .

(2) ديوان أبي دهبل الجمحي : 88.

رجالها وبيوتها ، لذا فإنَّ للشعر رسالة لابد له من أن يؤديها وإنَّ للشعراء جهداً في إظهارها صورة الكرم بأشكالها المتعددة كإكرام الضيف وإطعام الناس وغير ذلك.

وبذلك نجد بيوت الشرف والكرم جزءاً لا يتجزأ من شخصية الشاعر القرشي ، واتخذها أداة رامزة لأمكنته التي أراد الإشارة إليها بوساطة اشخاصها الصريحة والإيحائية، بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، مما عزز تكوين النص وإظهاره في أشكال مختلفة أعانت الشاعر على الفخر في القول وتكثيف الفكرة ، لذلك حرص شعراء قريش في أغلب نصوصهم الشعرية على تسخير فاعلية شرف المكان لتعزيز الفكرة وايصالها إلى المتلقي بأجمل صورة وبأساليبَ بسيطة مفهومة .

المبحث الثالث : قداسة المكان الديني والاجتماعي:

اوّلاً : قداسة المكان من خلال القسم :

اكتسب القَسَم مكانة عظيمة في نفوس العرب منذ العصر الجاهلي؛ لأنَّ ((العرب في الجاهلية كانوا قد عبدوا الأوثان ، إلا أن فيهم بقايا من عهد إبراهيم (عليه السلام) يتمسكون فيها من تعظيم البيت ، والطواف ، والحج والعمرة والوقوف على عرفة والمزدلفة))[1] وغيرها من المظاهر الدينية ، ويأتي القسم بالبيت وتعظيمه بوصفه إشارات صريحة على ذلك [2] ، فضلاً عن العصر الاسلامي حيث وردت لفظة (القسم) في القران الكريم في مواطن كثيرة [3] وما تستلزمه من مواقف ، تلزم الشاعر على أن يأتي بلفظة القَسَم مع الفعل كما في (كذبتم – وبيت الله) ليؤكد الأفعال وتوافقها لما يبتغيه

---

(1) المكان في الشعر العربي قبل الإسلام : حيدر لازم مطلق ، رسالة ماجستير: 143

(2) أتهم خداش بن عبد الله بن أبي قيس اتهمه بنو عبد مناف بقتل عمرو بن علقمه بن عبد المطلب ابن عبد مناف ، وكان عمر بن علقمه أجيراً لخداش بن عبد الله ، خرج معه الى الشام ؛ ففقد خداش حبلاً ، فضرب عمراً بعصى ، فنزيه في ضربته(أي سال دمه ولم ينقطع) فمرض منها فكتب الى أبي طالب يخبره خبره ، فمات منها ، وفي ذلك يقول أبو طالب (عليه السلام) :

أفي فضلِ حبلٍ لا أباكَ! ضَربتَهُ بمنسأةٍ قد جاء حبلٌ بِأحبُلِ

فتحاكموا فيه الى الوليد بن المغيرة ؛ فقضى أن يحلف خمسون رجلاً من بني عامر ابن لؤي عند البيت (ما قتلَهُ خِداش) فحلفوا إلا حُويطب بن عبد العُزّى ، فإن أمه افتدت يمينه ؛ فيُقال أنَّه ما حال عليهم الحولُ حتى ماتوا كلهم إلا حويطباً ؛ فولد خِداش أولاداً انقرضوا؛ فكان خداش يكنى أبا مخرمة . نسب قريش: لأبي عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت 236هـ) : 424 – 425 .

(3) ينظر : سورة المائدة : 53 ، 106– 107 ، الانعام :109 ، الأعراف ، 49، الرعد ، 44 ، النحل ،38 ، النور ، 53، الروح 55 ، ، فاطر ، 42 ، الزخرف ،32، الواقعة 75–76 ، القلم ، 17، الحاقة 83 الأعراف ،49، الرعد،44، النحل،44 ، الروم،53 ، المعراج ، 40 ،القيامة ، 1–2 ، التكوير 15 ، الانشقاق 16 ، الفجر ،5 ، البلد . .

الشاعر من قصديةٍ على نحو ما جاء به أبو طالب(عليه السلام)(ت10هـ) ، قائلاً [1] : { من الطّويل }

كَـذَبتُم – وَبَيـتِ اللهِ– نَتـرُكُ مَكَّـةً وَنَظعَـن إلا أَمـرُكُم فـي بَلابِـلِ

كَـذَبتُم – وَبَيـتِ اللَـهِ– نُبَـرى مُحَمَّـداً وَلَمّـا نُطـاعِن دونـَهُ وَنُناضِـلِ

وقال أيضاً وهو يسفّه أحلام قومه [2] : { من الطّويل }

تُرجُّـون منَّـا خُطَّـةً دون نيلِهـا ضِـرابٌ وطعـنٌ بالوشـيجِ المقـوَّمِ

تُرَجُّـونَ أَن نَسـخى بِقَتـلِ مُحَمَّـدٍ وَلَـم تَختَضِـب سُـمرُ العَـوالي مِـنَ الـدَّمِ

كَـذَبتُم وَبَيـتِ اللَّـهِ حَتّـى تَعَرَّفـوا جَمـاجِمَ تُلقـى بِـالحَطيمِ وَزَمـزَمِ

جعل أبو طالب(عليه السلام) تكرار هذه اللازمة (كذبتم – وبيتِ الله) المتكوَّن من الجملة الفعلية المتبوعة بجملة القسم في هذه النصوص نمطاً ومنبهاً اسلوبياً موجهاً لمشركي قريش بعدم التخلي عن النبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا سيّما إنّ هذا الإلحاح في حقيقته مفتاح الفكرة المتسلطة على النص لتأكيد المعنى في أذهانهم وهو يطرق أذهانهم بنغمة التحدي، فأفادت الوحدة التركيبية للتكرار زيادة في المعنى ، وقد وُفِق الشاعر في جعل هذا التعبير التركيبي الذي تردد بهذا التركيب يدل على أنّ له رنيناً مخصوصاً عنده ، مما أعطى النص قوة خلّاقة أشد من فاعلية الاستعمال العادي[3] وقد أسهمت هذه اللازمة في إظهار مكانة ذلك البيت المقدس وتفاعلها النفسي والشعوري مع

---

(1) ديوان أبي طالب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): 66 ، 75 – 76 ، 78 –79.

(2) المصدر نفسه : 86 .

(3) ينظر: شعر أبي طالب (دراسة أدبية) د.هناء عباس كشكول:179 ، ينظر : اسلوبية البناء الشعري عند أبي طالب (عم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : أ.د كريمة نوماس المدني:68 .

ما ورد من تكرار، مما أفضى إلى التحفيز المتلقي على الاستجابة والتفاعل مع مقصدية الشاعر .

المعروف إنَّ قريشاً اشتهرت بإيثار السلام ولكن تاريخها لا يخلو من الحروب دفاعاً عن كرامة القبيلة ومصالحها ، وكان لثبات بني مخزوم يوم عكاظ أهمية في انتصار قريش وفيهم قال عبد الله بن الزبعرى(ت 15هـ) [1] : { من الهزج }

أَلا للهِ قَـــــــــــــــــوْمٌ و لَـــــدَتْ أُخْـــــتُ بَنِـــــي سَـــــهْمِ

هِشَـــــــامٌ وَأَبُـــــــو عَبـــــــدِ مَنَـــــافٍ مِـــــدْرَهُ الخَصْـــــيمِ

وَذُو الـــــــــرُّمْحَيْنِ أَشْـــــــبَاكَ مِـــــــنْ القُـــــوَّةِ وَالحَـــــــزْمِ

فَهَـــــــــذانِ يَـــــــــذُوذَانِ وَذَا مِـــــــنْ كَثَـــــبٍ يَرْمِـــــــي

فـــــإن أَحْلَـــــفَ وَرَبِّ البَيْـــــتِ لاَ أَحْلِـــــفْ عَلَـــــى إِثْـــــمِ

لعلّ عمل الشاعر في إيراد العلاقة الجامعة بين القسم والمكان المقدس لهُ أثرٌ كبيرُ في سلوك ابن الزبعرى ، فما جاء به الشاعر ما كان إلا لدلالة عظمتها ومنزلتها، فبقوله (وإن أحلف – لا أحلف) أي تأكيده قدسية (مكة المكرمة) ، لا يمكن أن يحلف بها على إثم ولا سيّما إنّها من أكثر الأماكن تأثيراً حتى صار واضحاً للمتلقي من أنَّ القسَم بـ (مكة المكرمة) ما هو إلا امتدادٌ لعظمتها ومنزلتها .

وقد يكون الاخبار عن سلوك الفئة الضالة التي خطّطت خديعة التحكيم بصورة تصريحية ، وبطريق جمعي ذلك حينما خدع عمرو بن العاص أبا موسى الأشعري في التحكيم بين أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(عليه السلام) ومعاوية ، فرَّد عليه ابن عباس(ت68هـ) بأبيات يهجوه فيها ، قائلاً[2] : { من الطّويل }

(1) شعر عبد الله بن الزبعرى : 48

(2) جمهرة النسب: ابن الكلبي(ت204هـ) : 265

كـذبتَ ولكـن مثلُـك اليـومَ فاسِـقٌ ... علـى أمـركم يبغـي لنـا الشـرِّ والعـزلا

وتـزعمُ أن الأمـرَ منـكَ خديعـةٌ ... إليـه وكـلّ القـول فـي شـأنكم فضـلا

فـأنتم وربُ البيـتِ قـد صـار ديـنكم ... خلافـاً لـدين المصـطفى الطيـبَ العـدلاَ

أعـاديتمُ حـبَّ النبـيِّ ونفسَـهُ ... فمـا لكـمُ مـن سـابقاتٍ ولا فضـلا

وأنـتم ورب البيـت أخبـثُ مـن مشـى ... علـى الأرض ذا نعلـين أو حافيـا

غـدرتُم وكـان الغـدرُ مـنكم ... كـأن لـم يكـن حرثـاً وأن لـم يكـن نسـلاَ

ما نلحظه في هذا النص أنَّ ابن عباس نقل لنا حقيقة متفقاً عليها بين فرق المسلمين جميعها ، مستعيناً بثقافة حديثه في ردَّه على عمرو بن العاص حين خدع أبا موسى الاشعري في التحكيم [1] بين علي(عليه السلام) ومعاوية ، فالشاعر ينعت عمراً وحزبه بمخالفة تعليمات الإسلام ، ومعاداة الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) ومَن نُعت بأَنه نفس الرسول وأقرب الناس إليه ، فضلاً عن ذلك أن خطابه الشعري اشتمل على

---

(1) حينما قال عمرو: قم فأخطب الناس يا أبا موسى، فقال: قم أنت اخطبهم. فقال: سبحان الله! أنا أتقدّمك وأنت شيخ أصحاب محمد! والله لا فعلت أبدا. قال : أو عسى في نفسك امر! – فزاده أيمانا وتوكيدا، حتى قام الشيخ فخطب الناس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس، إني قد اجتمعت أنا وصاحبي على أن أخلع أنا عليّ بن أبي طالب، ويعزل هو معاوية بن أبي سفيان؛ ونجعل هذا الأمر لعبد الله بن عمر؛ فإنه لم يحضر في فتنة، ولم يغمس يده في دم أمرئ مسلم ألا وإني قد خلعت عليّ بن أبي طالب كما أختلع سيفي هذا! ثم خلع سيفه من عاتقه وجلس، وقال لعمرو: قم. فقام عمرو بن العاص، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس، إنه قد كان من رأي صاحبي ما قد سمعتم ، وإنه قد أشهدكم أنه خلع عليّ بن أبي طالب كما يخلع سيفه؛ وأنا أشهدكم أني قد أثبتّ معاوية بن أبي سفيان كما أثبت سيفي هذا ، ينظر : العقد الفريد : شهاب الدين أحمد المعروف بابن عبد ربه الأندلسي : 95 ، الكامل في التاريخ : عز الدين أبي الحسن بن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت630هـ): ج/3 :276.

مضامين وأفكار وحقائق تخصُّ تلك الحادثة فأراد ايصالها إلى المُتلقّي وحمله على مراجعة قناعاته على وفق معطيات واقع المنظومة الدينية ومكانة الإمام علي (عليه السلام) عبر استدعائه تلك الخديعة ، فالشاعر بهذا القسم اظهر نواياهم وافعالهم بالاعتماد على الوصف بشكل رئيس ؛ لأنّ الوصف ((نقل أفعال الشخصيات وكلامهم بطريقة مباشرة))[1] ، لذلك جاء ابن عباس بالقسم (وأنتم ورب البيت) لإعطاء حجة دلالية لِما ذهب إليه من رأي ولتأكيد تلك الأحداث وتوافقها وانسجامها فوافق بين لفظ القسم والمعنى الذي خرج من أجله فضلاً عن المساواة بين الأفعال (الفسق – الخبث – الغدر) ليكون ذلك تصريحاً منه بتوافق تلك الأفعال ، فالشاعر بما ذكره من أفعال جعله حجة دلالية لما ذهب إليه في الرأي والأخبار عن فعل جيش معاوية وحربهم ضد علي (عليه السلام) في معركة صفين ، وفي موضوع آخر لما بلغ معاوية أنّ عبد الرحمن بن الحكم (ت 62هـ) قال أبياته النونية في نفي نسبة زياد إلى أبي سفيان حلف لا يرضى عنه حتى يرضى عنه زياد فقال له[2] : { من الوافر }

حلفت بربِّ مكَّةَ والمُصَلَّى	**وبالتَّورَاةِ أحلِفُ والقُرآن**
لأَنتَ زيادةٌ في آل حرب	**أَحبُّ إليَّ مِنْ وُسطى بناتي**
سُرِرتُ بقُربه وفَرِحتُ لمَّا	**أَتاني اللهُ مِنهُ بالبيانِ**
.....	.....
أَلاَ أبلغ مُعاويةَ بن حربٍ	**فقد ظَفِرت بما تَأتي اليَدانِ**

وقد يلجأ الشاعر إلى أسلوب التوكيد بالقسم لبيان ولائه وقبوله بأي شيء من الخليفة السياسي، كما فعل عبد الرحمن بن الحكم خضوعاً لأمر معاوية بعد أن انكره ، فرفد خطابه بزخم ديني متمثلاً بالقسم (برب البيت ، والمصلى ،

(1) دليل الدراسات الاسلوبية : د. جوزيف ميشال شريم : 17 .

(2) الوافي بالوفيات : صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ) : 83.

بـالتورات ، وبـالقرآن) ، وذلـك بتوظيـف هـذا القسـم بُغيـة واستحضـاره رضـا معاويـة بـن أبـي سـفيان عنـدما الصـق ابـن زيـاد بنسـبه ، فيبـين لنـا الشـاعر عدولـه عـن رأيـه فـي مـا مضـى وعـدم قناعتـه بهـذا النسـب، ولـم يخلـو الـنص مـن مبالغـة قصـدها الشاعر لإرضاء معاوية عندما جعل ابن زياد أحب من وسطى بناته .

نخلـص مـن ذلـك إلـى أنّ شـعراء قـريش فـي الحقبتـين (الجاهليـة والإسـلامية) لـم يخرجـوا فـي مـا ورد عمّـا هـو مقـدس متمـثلاً بـ (مكـة المكرمـة) ببيـت الله (عـزّ وجـل) ، وبـذلك نجـد القسـم قـد كـوّن بمختلـف أنواعـه حيـزاً كبيـراً مـن ثقافـة الشـاعر وإيمانـه وأمـدهم بـالكثير مـن الصـور والـرؤى الشـعرية للوصـول إلـى غـايتهم المقصـودة مـن وراء هـذا التوظيـف ، فضـلاً عـن تنشـيط معـاني الـنص فـي بنـاء الصـورة وإثرائهـا ، لـذلك أغلـب نصوصـهم مبنيـة علـى هـذا القسـم، إذ إنَّ هـذا المكـان المقـدس كـان أكثـر تعبيـراً عمّـا فـي نفـوس الشـعراء مـن معتقـدات دينيـة ، وهي وسيلة لبيان منزلة (مكة المكرمة) وعظمتها عن بقية الأماكن الأُخر .

ثانياً : قداسة المكان من خلال الاستعاذة :

للعوذ في المعجمات اللغوية تعريفات متعددة فقد ورد في معجم مقايس اللغة : ((عَوَذَ : الْعَيْنُ وَالْوَاوُ وَالذَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ الِالْتِجَاءُ إِلَى الشَّيْءِ، ثُمَّ يُحْمَلُ عَلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ لَصِقَ بِشَيْءٍ أَوْ لَازَمَهُ. قَالَ الْخَلِيلُ: تَقُولُ أَعُوذُ بِاللَّهِ – جَلَّ ثَنَاؤُهُ – أَيْ أَلْجَأُ إِلَيْهِ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى –، عَوْذًا أَوْ عِيَاذًا. ذَكَرَ أَيْضًا أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: فُلَانٌ عِيَاذٌ لَكَ، أَيْ مَلْجَأٌ. وَقَوْلُهُمْ: مَعَاذَ اللَّهِ، مَعْنَاهُ أَعُوذُ بِاللَّهِ. وَكَذَا أَسْتَعِيذُ بِاللَّهِ))[1] وقال صاحب كتاب العين فيه أيضاً : ((عوذ :أعوذ بالله، أي :ألجأ إلى الله، عَوْذاً وعِياذا .ومعاذَ الله :معناه: أعوذُ بالله، ومنه :العَوْذَةُ، والتّعويذ. والمعاذة الّتي يُعَوَّذُ بها الإنسان من فَزَعٍ أو جُنون))[2]، ووردت لفظة(العوذ) في القران الكريم في قولهِ تعالى { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ }[3] وكذلك في قولهِ { قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ }[4] وهو في كل ذلك يعني الِالْتِجَاءُ إِلَى الله (سبحانه وتعالى) وقد اعتمدها الشعراء في نصوصهم الشعرية ، فله أثر لفظي ونفسي ومائز يكشف عمّا في داخل الإنسان من خوف أو فزع ، فالعوذُ باللّهِ ، ومعاذ الله ، واستعيذُ بالله ، واستعيذُ بالرحمن ، واستعيذُ بالبيت كلها يَدُلُّ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، ونجد ذلك عند ورقة بن ونوفل (ت18هـ) حينما استعاذة بالبيت خوفٍ من قتله، قائلاً [5]: { من الوافر }

---

(1) معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، (ت 395هـ) : ج4 / 183– 184 ، ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي: 438/9

(2) كتاب العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي (ت 170هـ) : ج229/2.

(3) سورة الفلق : 1

(4) سورة الناس : 1

(5) المنمق في أخبار قريش: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت 245هـ) : 159 .

ألا مـــن مبلـــغ عمـــرا رســـولاً فـــإني مـــن مخافتـــه مشـــيح

أفـرّ إلـى بنـي ثعـل بـن عمـرو وحـولي مـن بنـي جـرم نبـوح

أعـوذ بـرب بيـت الظلـم منـه وبـالرحمن إذ شـرق المسـيح

تركـت لـك الـبلاد ومـاء بحـرين لأنـزح عنـك لـو نفـع النـزوح

قصّ ورقة بن نوفل في هذه الأبيات ما دار بينه وبين الملك الجفني[1] وهو يبحث عن شخصية تبلغ حزنه العميق وقلقه إلى عمر بن أبي شمّر بعدما ضاقت به هذه الأرض الرحبة التي كان ينعم فيها ورقة بن نوفل بالراحة ، لكن الإحساس هو الذي يتغير تجاه المكان ، ومرد هذا التغير قوله في حق الملك نتيجة ما حدث لابن عمّه ليس اقلها الضيق ، وازدحام الهموم في نفسية الشاعر ، إذ ضاقت عليه الأرض بما رحبت بعدما علم بما تمَّ احضاره من الملك في ما يخص القِدْر المغلي ، فهو يعوذ برب البيت

(1) الملك الجفني هو عمرو بن أبي شمّر حينما أتهمه بقتل ابن عمّه عثمان بن الحويرث وهو يرثيه بقصيدة منها هذا البيت قائلاً :

والله ربـــــي إن ســـــلمت لآثـــــرن فيـــه بضـــربة جـــازم لـــم يقـــص

فلما سمع بذلك الملك الجفني عمرو بن أبي شمّرا أمر بِقِدْر من حديد حتى يغلي فيها ورقة بن نوفل وقال: والذي أحلف به لاتزال على النار حتى أغلي فيها ورقة بن نوفل والله لئن لم يأتني به لآخذن رجلا من قريش بالشام فلا يفارق الحديد حتى يؤتي به، فسمع بذلك ورقة فخرج حتى لحق بأرض طيء فمكث زمانا ثم لحق بالبحرين ، فلما قدم البحرين قال له رجل نصراني : سوف أدلك على شيء إذا قلته للملك أعفاك فعلّم النصراني ورقة فقال : إذا قدمت على الملك فلا يعلمن من أنت وتخلص اليه فإذا خلصت اليه فخذ بثوبه وقل : أعوذ بالمسيح من هذا الملك فأقبل اليه حتى دخل عليه فقال: إني امتدحتك أيها الملك ! فأنشده وحدثه ثم أخذ بثوبه وهو يرعد ، المنمق في أخبار قريش: محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت 245هـ) : 156

وبالرحمن من الظلم ، وهذا التبدُّل في الموقف يستند إلى نفسيته التي عاشت القلق والخوف فالنفس ((تسكن إلى كل ما وافق هواها وتقلق مما يخالفه ، ولها أحوال تتصرف بها ، فإذا ورد عليها في حالة من حالاتها ما يوافقها ، اهتزت له وحدثت لها أريحية وطرب ، فإذا ورد عليها ما يخالفها قلقت واستوحشت))[1] ، وهذا هو الذي حصل فعلاً ، وقد أجاد فيه عبر الاستعاذة في الوصول إلى غرضه ، والبوح عمّا في داخله من عقيدة وإيمان ، فالعوذ برب البيت هو العقيدة التي إلتزمها ورقة بن نوفل وتمسك بها ، وقد وردت الاستعاذة في شعر عبد المطلب(ت45 ق . هـ) منها لمَّا بُشِّر بولادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قائلاً[2] : { من الرجز }

الْحَمْـــدُ لِلّـــهِ الّـــذِي أَعْطَـــانِي هَـــذَا الْغُـــلَامَ الطّيّـــبَ الْأَرْدَانِ
قَـدْ سَـادَ فِـي الْمَهْـدِ عَلَـى الْغِلْمَـانِ عِيـــذُهُ بِالْبَيْـــتِ ذِي الْأَرْكَـــانِ
حَتّـــى يَكُـــونَ بُلْغَـــةَ الْفِتْيَـــانِ حَتّـــى أَرَاهُ بَـــالِغَ الْبُنْيَـــان
أُعِيـــذُهُ مِـــنْ كُـــلّ ذِي شَـــنَآنِ مِـــنْ حَاسِـــدٍ مُضْـــطَرِبِ الْعِنَـــانِ

تلقى عبد المطلب في تلك الليلة بُشرى بولادة سيد هذه الأمة (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) ليبدأ بعد ذلك بوصفِ ذلك المولود الذي بُشِّر به واصفاً إيّاه وصفاً قائماً على السجع متوقفاً عند تلك الصفات أو ما يسمى بالوقفة الوصفية [3] وهذا دليل على سعة خيال الشاعر وإمكاناته الفنية ، وذلك لأن

---

(1) عيار الشعر : محمد أحمد بن طباطبا العلوي (ت322هـ) :15 .

(2) تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها المؤلف : ابن عساكر (ت 571هـ): ج / 3 :83 . البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774 هـ):ج39/3 .

(3) ينظر : بنية السرد في القصص الصوفي – المكونات والوظائف والتقنيات (دراسة) ، د. ناهضة ستار:224 .

الوصف آليه فنية إستطاع عن طريقها عبد المطلب تسليط الضوء على التفصيلات لمظاهر الأشياء التي رآها جديرة بأن تكون محطّ أنظار القُرَّاء، فشرع في توثيق تلك الصفات راسماً أبعاد تلك الشخصية ، مُتخذاً من الكعبة المشرفة في توضيح ملامحها النفسية والجسدية والطباعية مستقبلاً ، وتميزها عن الشخصيات الأُخر، وما كان هذا إلاّ لبيان معتقده ومقدار إيمانه ، لذلك نجده مُستبعداً أن يكون أحدٌ مثله بدءاً من ولادته التي قد ساد بها في المهد على الغلمان –على حد قول عبد المطلب – ولذلك فهو يُعيذه بالبيت ذي الأركان ، أن يحصِّنه وأن يحفظه من كل سوء ، سواء أكان من الحساد أم من غيرهم ، لذلك توجه الشاعر إلى الاستعاذة بالبيت ، ذلك المكان المقدَّس الذي اتسم بأن يقسم به في جميع ما جرى من أحداث بدءاً من بنائه على يد إبراهيم الخليل (عليه السلام) ، فالشاعر حاول الحفاظ على هذا المولود متوجهاً إلى البيت المقدس من أجل الدعاء لهذا المولود بالحفظ طيلة حياته ، ولأبي طالب (عليه السلام) (ت10هـ) قصيدة طويلة ذكر بها العوذ برب الناس من كل طاعنٍ يريد السوء لآل أبي طالب(عليه السلام) ، قائلاً [1] : { من الطّويل }

(1) ديوان أبي طالب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : 64 – 65 .

أَعُـوذُ بِـرَبِّ النَّـاسِ مِـنْ كُـلِّ طَـاعِنٍ عَلَيْنَـــا بِسُـــوءٍ أَوْ مُلِـــحٍّ بِبَاطِـــلِ

....

وَبِالْبَيْتِ، رُكنِ الْبَيْتِ، مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ وباللَّـــه إنَّ اللَّـــهَ لَـــيْسَ بِغَافِـــلِ

وَبِـــالْحَجَرِ الْمُسْـــوَدِّ إذْ يَمْسَـــحُونَهُ إذَا اكْتَنَفُـــوهُ بِالضُّـــحَى وَالْأَصَـــائِلِ

وَمَـوْطِئِ إبْـرَاهِيمَ فِـي الصَّـخْرِ رَطْبَـةٌ عَلَـــى قَدَمَيْـــهِ حَافِيًـــا غَيْـــرَ نَاعِـــلِ

وَأَشْـوَاطٌ بَـيْنَ الْمَـرْوَتَيْنِ إلَـى الصّـفَا وَمَـــا فِيهِمَـــا مِـــنْ صُـــورَةٍ وَتَمَاثُـــلِ

وَمَـنْ حَـجَّ بَيْـتِ اللهِ مِـنْ كُـلِّ رَاكِـبٍ وَمِـنْ كُـلِّ ذِي نَـذْرٍ وَمِـنْ كُـلِّ رَاجِـلِ

إنَّ المتأمـل هـذا الـنص الـذي هـو مـن قصـيدة طويلـة تزيـد عـن مائـة بيـت يجـد نفسـه أمـام شـاعر قـد وظّـف شـعره لحمايـة النبـيّ محمـد (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) مـن قـريش ، فدلالـة المكـان هنـا شـديدة الارتبـاط بالاسـتجارة المطلقـة للنبـي فضـلاً عـن ذلـك أنهـا تـومئ إلـى تكثيـف الدلالـة المرتبـة بـأثر الاسـتجارة علـى الفـرد ، وهـذا يعنـي أنَّ هـذه القصـيدة قـد بُنيـت علـى إدراك واعٍ لأثـر الاسـتجارة بـرب النـاس ، ومـن ثـم تلتهـا الاسـتجارة بــ(البيـت ، ركـن البيـت ، والحجـر الأسـود ، ومـوطئ إبـراهيم ...) والشـاعر هـا هنـا مـؤمن كـل الإيمـان بالاسـتجارة بـرب النـاس لـذلك كانـت الأبيـات المعطوفـة بعـده مصـدر راحـة بعـد القلـق النفسـي ، فـأبي دهبـل الجمحـي (ت63هـ) يصـور لنـا كيـف أن قريشـاً تخلـت عـنهم وهـم جيـران بيـت الله ، إذ قال [1] : { من الطّويل }

(1) ديوان أبي دهبل الجمحي : 79 – 80 .

أَتارِكَـــةُ عَلِيًّـــا قُـــرَيشٌ سَـــراتَها وَســـاداتِها عِنـــدَ المَقـــامِ تُـــذَبَّحُ
وَهُـــم عُـــوَّذٌ بِاللَـــهِ جيـــرانُ بَيتِـــهِ مَخافَـــةَ يَـــومٍ أَن يُبـــاحوا وَيُفضَـــحوا
وَقِـــدماً رُمـــوا بِـــالمَنجَنيقِ وَمـــا رَمَـــوا وَبِالنَبـــلِ تـــاراتٍ تَعُـــقُّ وَتَجـــرَحُ
وَشَـــدّوا عَلَـــيهِم بَعـــدَ ذلِـــكَ شَـــدَّةً فَســـالَ بِهِـــم رَدمُ حَـــرامٌ وَأَبطَـــحُ
فَـــأَلفَوا رِجـــالاً قُعَّـــداً تَحـــتَ بَيضِـــهِم أَلا تَحـــتَ ذاكَ البَـــيضِ مَـــوتٌ مُصَـــرَّحُ
وَنِعمَ اِبنُ أُختِ القَومِ عُثمانُ في الوَغا إِذا الحَـربُ أَبـدَت نَابَهـا وَهـيَ تَكلَـحُ
هُـوَ التـارِكُ المـالَ الرَغيـبَ حَمِيَّـةً وَلِلمَـوتُ مِـن بَعـضِ المَعيشَـةِ أَروَحُ
وجـــادَ بِـــنَفسٍ لا يُجـــادُ بِمِثلِهـــا لَهـــا لَـــو أَقَـــرَّت خَزيَـــةً مُتَزَحـــزَحُ

إنّ الاستعاذة في هذه القصيدة أخذت بعداً مخالفاً لما مضى ، فإنّ الشعور بالتخلي تجاه سادة قريش لما أبدوه من أنانيه وظلم ، جعل الشاعر يرسم لهم صورة من واقع الحياة عن طريق سادتها التي تذبح عند المقام وهم يعوذون ببيت الله خوفاً من أن يفضحوا ، ولعلّ الشاعر يومئ إلى واقع حكم الأمويين ، وأحسب أن هذا العتاب على الرغم من تصوير الشاعر للذين تخلوا عن ساداتهم لكنه يقدِّم في قُبال ذلك للذين وقفوا معه في محنته فخراً ومدحاً ، ففي تصوير الشاعر حالة الألم والاستياء من تخلي بعضهم عنه إلا أنّه يتغلب على هذا الشعور السلبي بالتركيز على فخر ومدح الأشخاص الذين بقوا معه ووقفوا جنبه في اللحظات الصعبة، ويبدو أنّ الشاعر (الجمحي) كان معجباً بابن عمه عثمان [1] ؛ لأنّه وجد فيه نصرته بالنفس والمال، ولكون العوذ من أكثر الأساليب إنسجاماً مع حالات الخوف والقلق ، فذلك يمثل اسلوباً مهماً لتقريب صورة الأحداث إلى ذهن المتلقي والتأثير فيه ، وقد وفّق الشاعر بقدرته على استثمار ثقافته الأدبية وتكوين صورته

(1) هو عثمان بن عبد الله بن حكيم بن حزام : من سادات قريش وأشرافها وكان من أصحاب عبد الله بن الزبير : جمهرة نسب قريش وأخبارها : الزبير بن بكار القرشي الزبيري: 387 .

الفنيـة بأسـلوب خـالٍ مـن التعقيـد فكشـف زيـف قـريش فـي تـركهم سـاداتها علـى الـرغم مـن أنّهـم جيـران بيـت الله، وهـذا نـابع مـن براعـة الشـاعر علـى تحويـل الحـزن إلـى فخـر والعتـاب إلـى امتنـان ممـا أظهـر الـنص أداة للتأمـل فـي العلاقـات الإنسـانية وقـيم الصداقة والوفاء .

لقـد وردت صـيغ العـوذ والاسـتعادة فـي الشـعر القرشـي مـن الاسـتعاذة بـرب البيـت ، وربِّ النـاس والعـوذ بـالله ، وأعيـذكم بـالرحمن بصـيغ متنوعـة فكانـت خيـر مُعـين لهـم فـي خطابـاتهم ، وهـذه الصـيغ مهمـا تنوعـت وتعـددت لا تتعـدى مـن أن تصـنَّف مـن ضـمن الرجـوع إلـى الله (سـبحانه وتعـالى) مسـتغلين مـا تـوافرت لهـم مـن ألفـاظ الإسـتعاذة ليصـورا بهـا الحالـة النفسـية التـي وصـلوا إليهـا تجـاه الخـوف أو الحـزن ، وهـي صـورة حقيقـة نابعـة مـن الـنفس الإنسـانية التـي تتـدفق بالأمـل ؛ لأنهـا صـادرة عـن شـاعر نفسـه فعـاش هـذه التجربـة التـي عبّـر عنهـا وشَـعَرَ بهـا شـعوراً عميقـاً وهـو علـى سـياق واحـد قبـل الإسـلام وبعـده ، وهـي مـن سـمات الإنسـان المـؤمن بقضـيته المطمئن في اللجوء الذي لجأ إليه وهو طريق النجاة.

ثالثاً : قداسة المكان (الجوار والأقارب)

للعلاقات الاجتماعية أثر كبير في بثِّ الطمأنينة للمجتمع، ولذا أضحت من العوامل الرئيسة في تماسكه، بدءاً من البيت المجاور وصولاً إلى الدول المجاورة ، فلو نظرنا إلى تلك العلاقات التي نقرأ عنها أو نسمع بها مثل علاقة الجوار والأقارب والأرحام وما إلى ذلك ، فهي علاقات تقليدية ، باهتة ، مكررة تكراراً في كتب الأدب ، ولكن حالما نعيد النظر بقيمها الاجتماعية نجد لها خصّيصة قد تمخضت عن روح العصر وقيم المجتمع التي جذبت إليها الأنظار ، وبالتجربة الشعرية أنتجت صورها المختلفة وصاغت معانيها المضافة ، تصبح الاستجابة الحقيقية مختلفة عن ما مضى [1] .

كذلك ((إذا كان العرب قد قدسوا الجوار ، وحموا الجار ، فإن هذا لم يكن قانوناً فمن الطبيعي أن نسمع جار يشكو ظلم مجيريه واهتضام حقوقه لديهم ، حتى قالت العرب(لا يكاد أخو جدار يحمد) فقد تغلب الطبيعة العدوانية والطمع على نفس الرجل فيغدوا به ويقيله أو يسيء معاملته))[2] ولهذا جاء في الحديث النبوي الشريف ((جار الدار أحق بالدار))[3] فجار عبد المطلب هو عمّهُ نوفل الذي اشتكى منه عند استيلائه على جزء من ممتلكاته وقد تخلى قومه وتقاعسوا عن نصرته ومؤازرته وإحقاق حقه ، لذا طلب من اخواله بني النجار العون والمساعدة لإنصافه من عمّه نوفل، قائلاً :[4] { من البسيط }

---

(1) ينظر : المكان في الشعر العربي قبل الإسلام : حيدر لازم مطلك ، رسالة ماجستير : 139.

(2) الغربة في الشعر الجاهلي : عبد الرزاق الخشروم : 199 .

(3) حق الجار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ) ، المحقق: أبي إسماعيل هشام بن إسماعيل السقا : 36 .

(4) المنمق في أخبار قريش :84 ، صحيح وضعيف (تاريخ الطبري، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري (ت310 هـ)) : ج6/ 520 .

يــا طُــولَ لَيلِــي لأَحْزانِــي وأَشْــغالِي ... !هـلْ مِـن رَسـول إلـى النَّجَّـارِ أَخْـوَالِي

يُنْبِـــي عَـــدِيًّا ودِينـــارًا ومَازِنَهـــا ... ومالِكًـا عِصْـمَةَ الجِيـرَانِ عـن حـالِي

قـد كُنْـتُ فـيكُمْ ولا أَخْشَـى ظُلامـةَ ذِي ... ظلْـمٍ عزيــزًا مَنيعًــا نــاعِمَ البَــالِ

حتَّـى ارْتحَلْـتُ إلـى قَـوْمِي وَأَزعَجَنِـي ... عــن ذَاكَ مُطلِــبٌ عَمِّــي بِتَرْحَــالِ

وكُنْـتُ مـا كـان حَيًّـا نَاعِمًـا جَـذِلًا ... أمْشِــي العِرَضْــنَةَ سَــحَّابًا لأذْيــالِي

فغــابَ مُطَّلِــبٌ فــي قَعْــرِ مُظْلِمَــةٍ ... وقــام نَوْفَـلُ كـي يَعـدُو علـى مَـالِي

أَنْ رَأى رَجُـــلًا غَابَـــتْ عُمومَتُـــهُ ... وغَــابَ أخْوَالُــهُ عنــه بِــلا والِــي

أنْحَــى عليــه ولَــمْ يَحَفَــظْ لــه رَحِمًــا ... مـا أمْنَـعَ المَـرْءَ بَـينَ العَـمِّ والخَـالِ!

فاسْـتنْفِرُوا وَامْنَعـوا ضَـيمَ ابـنِ أخْـتِكُمُ ... لَا تَخْـــذُلُوهُ وَمَـــا أنـــتُمْ بِخُـــذَّالِ

مَـا مِـثْلُكُمْ فـي بَنـي قَحْطـان قاطِبـةً ... حـــيٌّ لِجـــارٍ وإنْعـــامٍ وَإفْضـــالِ

أنــتم لِيــانٌ لِمَــنْ لانَــتْ عَريكتُــهُ ... سِــلْمٌ لكــمْ وسِــمامُ الأَبْلــخ الغــالِي

ويبدو أنَّ عبد المطلب[1] كان غير راضٍ بما فعله به عمّهُ نوفل ؛لأنّه وجد فيه ظلامته ، فالمكان في هذا النص قد ولّد عداءً من خلال الحدث الذي تتضح أحداثه عندما أرسل رسالة إلى أخواله بني النجار وعلى ما يبدو أنَّ هذه الرسالة قد فعلت فعلتها في نفوس أَخواله الذين شكا إليهم ما لحقه من أذى عمِّه فهبوا لنصرته ، فقصيدة عبد المطلب أفضت إلى استعادة الماضي لإدخال المتلقي في صور الأماكن التي مرّ بها ذاكراً أخواله من بني (عدياً ودیناراً ومازنا ومالكاً) فبهذا الوصف عبر الشاعر عمّا يجول في نفسه من أُلفةٍ وانتماء لبيت أخواله من بني النجار فهم عصمة الجيران فضلاً عن أنّهم أفضل بني قحطان قاطبة .

(1) اختلف في سنة وفاته ، البعض قالوا توفّي وعمره 82 ، ودفن في الحجون بمكة ولرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ثمان سنين : ينظر: أنساب الأشراف: البلاذري : ج1/ 92 .

وربما تمثلت العلاقات الاجتماعية عن طريق صلة الدم والرحم ، ومن ذلك ما قاله أبو طالب (عليه السلام)(ت10هـ) وهو يخاطب أبا لهب [1] : { من الطويل }

يـــذودُ العِـــدا عـــن ذِروةٍ هاشـــميةٍ ألاَّ فَهُـــم فـــي النّـــاسِ خيـــرُ إلافِ
فـــإنَّ لـــهُ قُربـــى إليـــكَ وســـيلةً ولـــيس بـــذي حِلـــفٍ ولا بمُضَـــافِ
ولكنّـــه مـــن هاشـــمٍ فـــي صـــميمِها إلـــى أَبحُـــرٍ فـــوق البحُـــور طَـــوافِ
وزاحـم جميـعَ النـاسِ عنـهُ وكُـن لـهُ وزيـراً علـى الأعـداء غيـرَ مُجـافِ
وإن غضـبتْ منـهُ قُـريشٌ فقُـل لهـم: بنـــي عمِّنـــا مـــا قـــومُكُم بضِـــعَافِ
ومـــا بـــالُكُم تغشـــون منـــهُ ظُلامـــةً؟ ومـــا بـــالُ أحقـــادٍ هنـــاك خَـــوافِ؟
ولكنَّنـــا أهـــلُ الحفـــائظ والنُّهـــى وعِـــزٍّ ببطحـــاء المشـــاعر وافٍ

إنَّ قصيدة أبو طالب (عليه السلام) هذه تفتقر إلى تسمية المكان و(تحديده) لكننا نرى اتضاح أوصافه عِبر ذود الأعداء وطردهم عن بني هاشم مستعيناً بذي القربى في تشكيل ذلك البيت ، فالشاعر على ما يبدو لم يقبل بذلك الحلف في الدفاع عن ذروة بني هاشم ، وإلا لمّا قال لهم أنّ قومُكم ليسوا بضعاف بل له قربى كفيلة بالدفاع عنه والحفاظ عليه من أَعدائه ، ففي النص نلحظ تماسك العبارات وترابطها عن طريق (الواو) وهذا التماسك بطبيعته أفضى إلى تحقيق وحدة معنوية بين الألفاظ فأسهم ذلك وبشكل كبير في أداء المعنى المقصود، ولا سيّما إنّ الشاعر قد وُفّقَ في إيراد تلك المعاني التي قامت عليها صلة القرابة عِبر تحديد الشخصيات وأماكنها ، فالشاعر المبدع حين يتوخى من المكان فاعلية مؤثرة في ميدان فنّه يهدف إلى توظيف ما يسند فكرته وغرضه مما

(1) ديوان أبي طالب عم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): 56 .

يكشف عن علاقة باطنية محمودة تجمعه بالمكان عن طريق الأقارب أو الجوار[1] ، ومن ذلك ما قاله الزبير بن عبد المطلب عند حلف أن يعقد حلفاً لإنصاف المظلوم [2] .

حَلَفْتُ لَنَعْقِدَنَّ حِلْفًا عَلَيْهِمْ وَإِنْ كُنَّا جَمِيعًا أَهْلَ دَارِ
نُسَمِّيهِ الْفُضُولَ إِذَا عَقَدْنَا يَعِزُّ بِهِ الْغَرِيبُ لِذِي الْجِوَارِ
إِذَا رامَ العَدُو لَهُ حَرَابَا إِقَمْنَا بِالسُّيُوفِ ذُوي الأَزُوْرَارِ
وَيَعْلَمُ مَنْ حَوَالِي الْبَيْتِ أَنَّا أُبَاةُ الضَّيْمِ نَمْنَعُ كُلَّ عَارِ

طغى الحدث في هذه الأبيات على العناصر الأُخر ، حتى حَلَفَ الشاعر على أنْ يعقد ذلك الحلف ، وهو المكان الذي حدّده وبثّ للجوار اسمه (الفُضُول)[3] قبل انعقاده ، فكانت الألفاظ (يعزُّ به الغريب – اقمنا بالسيوف – أباة الضيم) التي وضعت قصداً للتعبير عن طموح الشاعر في حماية الجار وإعزازه ودفع الظلامة عنه ، ولإبعاد عن كل ما يجلب الهَّم لهذه البيوت المجاورة لذلك ((تحالفوا ألاّ يُظلمَ أحدٌ بمكّةَ إلاّ قاموا معه حتى يردَّ ظلامته)) [4] فهذا الحِلْف ليس فعلاً معزولاً وإنّما تجميع لآراء متعددة من أجل غاية محددة ، لذا حرصَ الشاعر على أنْ يُبنى مكانه على ما يبديه من حماية واتحاد مع

---

(1) ينظر : أشكال التخيل (من فئات الأدب والنقد): د. صلاح فضل : 41 .

(2) المنمق في أخبار قريش : 187 ، ديوان الزبير بن عبد المطلب: 16، والبيت الثالث (إذا رام العدو له حرابا – اقمنا بالسيوف ذوي الازورار) غير موجود بهذا الديوان المذكور. الجوار : طلب الغوث، الازورار : الاعوجاج

(3) ينظر: تفاصيل هذه الحادثة واسباب انشاء حلف الفضول ، المنمق في أخبار قريش :52-54.

(4) نسب قريش : لأبي عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت236هـ): 291 .

بيوت سادتها ، وهنا تكمن براعة الشاعر في الإضفاء إلى أحاسيسه وافراغ شحناته النفسية على تلك الأماكن مع الذين يشعر معهم بالانتماء والاتحاد.

وفي موضع آخر ورد هذا الحِلف بعد أنْ تعاقدوا وتعاهدوا على أن يدافعوا عن الجار، كما في قول الزبير عبد المطلب [1] : { من الطويل }

إِنَّ الْفُضُـــولَ تَعَاقَـــدُوا وَتَحَـــالَفُوا أَلَّا يُقِـــيمَ بَـــبَطْنِ مَكَّـــةَ ظَـــالِمُ

أَمْـــرٌ عَلَيْـــهِ تَعَاقَـــدُوا وَتَوَاثَقُـــوا فَالْجَـــارُ وَالْمُعْتَـــرُّ فِـــيهِمْ سَـــالِمُ

يبدو أن الشاعر (الزبير بن عبد المطلب) كان مصراً على إقامة هذا الحلف ، لأنّه وجد فيه حفظ كرامة الجار، فالمكان في هذا النص قد ولّد الطمأنينة عِبر التعاهد والتواثق ، لذا جعلنا نتصور في أذهاننا أنّهم بهذا التحالف أصبحوا كالسد المنيع الذي يحمي المستجير من كل أذى، فضلاً عن أنهم يرفدون الجار بكل النعم فلا يشعر بالحاجة وهو مستجير بهم فنلحظ ألفة هذا المكان ؛لأنّ به يتوافر الشعور بالآمن والاطمئنان للذي يسكن فيه ، وبذلك جعل الشاعر لهذا الحلف صورة تحمل البشائر والسلامة للجوار، ليتفاعل المكان مع القيم الإنسانية التي تَبعث روح التفاؤل والأمل ، نجد ذلك عندما مدح ضرار بن الخطاب الفهري (ت13هـ) امرأة من قبيلة دوس تدعى أم غيلان ، قائلاً [2] : { من الطويل }

(1) السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير) : ابن كثير (ت774 هـ) : ج1 / 260

(2) ديوان ضرار بن الخطاب : 80 .

جَــزَى اللهُ عَنّــا أُمّ غَــيْلَانَ صَــالِحًا وَنِسْــوَتَهَا إذْ هُــنّ شُــعْثٌ عَوَاطِــلُ
يُرْحــزَحن عَنِــي الْمَــوْتَ بَعْـدَ اقْتِرَابِــهِ وَقَــدْ بَــرَزَتْ لِلثّــائِرِينَ الْمَقَاتِــلُ
وَعَوفًــا جَــزَاهُ اللهُ خَيْــرًا فَمَــا وَنَــى وَمَــا بَــرِدَتْ مِنْــهُ لَــدَيّ الْمَفَاصِــل
دَعَــا دَعْــوَةً دَوْسًــا فَسَــالَتْ شِــعَابُهَا بعــزّ وأدّتهــا الشّــرَاج الْقَوَابِــل
الــيسَ الألــى يُــوفي الجِــوارَ عبيــدُهم بقــومٍ كِــرَامٍ حَــينَ تَبلَــى المحاصِــلُ
وَقُمْــتُ إلــى سَــيْفِي فَجَــرّدْتُ نَصْــلَهُ وَعَــنْ أَيّ نَفْــس بَعْــدَ نفســى أقاتِــلُ

في النص الشعري وجَّه الشاعر ضرار بن الخطاب الفهري شكره إلى امرأة من (قبيلة دوس) كانت مولاة لهم تمشِّط النساء وتجهز العرائس يقال لها أم غيلان[1] جعلت أم غيلان بناتها وهن حسيرات الرؤوس دونه لمنع القوم من الوصول اليه ، فنوه بفعلهم وتمنى من الله الجزاء الحسن لهن اعترافا منه بجميل صنعهن [2].

فأهمية هذا المكان تظهر فعاليته المكانية، ومن دون أي شك لا يخلو هذا الثناء من هدف وغاية في قلب الشاعر أراد إيصالها إلى سامعيه وبيانها لهم والتأثر فيهم .

ويرى الباحث ارتباط المكان بالجزاء أمر طبيعي بما فعلته النسوة من عمل بطولي ، ولكن قد يكون الأمر مميزاً ومختلفاً حين تكون الإجارة والكرم والشجاعة وهذا الخلق الكريم من عبيدهم ، فكان من الأجدر أن تكون من أسيادهم ، حينئذٍ يتعدى المكان من أنْ يأوي الإنسان الطريد أو الغريب إلى ماله قدسية من قدسية ساكنيه ، فيصبح ذلك أوضح ما يكمن أن يمدح به ، كما في قوله :[3] { من البسيط }

(1) وفي رواية أخرى (أم جميل) وقال الواقدي : أم غيلان أثبت : ينظر : الديوان :79 .
(2) ينظر: تفاصيل القصة في السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير): (ت774 هـ) : 88 –89 ، المنمق في أخبار قريش : 204 ، ديوان ضرار بن الخطاب الفهري : 79 –80 .
(3) ديوان ضرار بن الحطاب الفهري : 57 .

لهاشـــمٍ وزُهَيْـــرٍ فَـــرْعُ مَكْرُمَـــةٍ بِحَيْـثُ لاحَـتْ نُجُـوم الفَـرْعِ والأسَـدِ

مُجــاورُ البيــتِ ذي الأركــانِ بَيتُهمــا مـا دُونَـه فـي جِـوارِ البَيْـتِ مـن أَحَـدِ

إذ جسد الشاعر في هذين البيتين فخره العميق وذلك عن طريق الخطاب إلى من بعث في قلبه الفخر والكرامة أي اشارته إلى هاشم وزهير مفصحاً عمّا في داخله من أريحية نفسية مستمرُة فتكرار (فرع) دلالة على استمرار اتصالهما بمجاورة بيت الكعبة المشرفة ، إذ استطاع الشاعر بخبرته الشعرية أن يستحضر الجوار لإظهار معاني الكرم والعزَّة وتقديمها إلى سامعيه ومتلقيه، ولا سيَّما إسهام الشاعر ضرار بن الخطاب الفهري في رواج تلك الفكرة من أنَّ (هاشم وزهير) هما فرع واحد من تلك الكرامة وهما بذلك مجاوران لـ(مكة المكرمة) ، واستعمل الشاعر لفظة (لاحت) دلالة على الرفعة والسمو ، إذ لا يوجد بيت غير بيتهما مجاوراً لبيت الله (عزّ وجلَّ) وكأنما أراد اختصاص بيتهما بمنزلة الكعبة وثبات تلك المنزلة المشتركة بينهما وإلى جانب هذه المفاخر نجد لدى القرشيين فخراً ملؤه المعاني الإنسانية بإنشائهم حلف الفضول لإحقاق الحقوق وارجاع المظالم إلى أهلها وإعزاز الغريب والقيام دونه بالسلاح لإرجاع الحق اليه رفعاً للظلم ، وفي موضع آخر نجد خلاف ذلك عندما اجار رجلا يقال له أوس بن النمر بن قاسط ، فقتل أوس رجلاً من بني جمح ، فطلبهم سيدهم أبيّ بن خلف فمنع الملّثم جاره وقال الملثم بن حذافة العدوي[1]: { من البسيط }

مــن ذا يُبَـدِّدُ بـين النـاس معـذِرَتي إن رَدَّ جاري أبَـيٌّ وهوَ مَقتُولُ يُقالُ:

تنــازعَ الطيــرُ بالبطحــاء حُشــوَتَهٌ مــن جــارُ هــذا ؟ غَالَــهُ غُــولُ

فلســتُ أُســلِمُ أوســاً أو أمــوتَ إذاً حتَّــى أُرَدَّ وثُغــرُ النّحــرِ مَبلُــولُ

أو أبلُــغَ العــذُرَ فــي أوسٍ فيعــذِرَني فيــه الرِّجــالُ إذا مــا يُنشَــرُ القِيــلُ

(1) نسب قريش : لأبي عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت236هـ) : 374.

إنّ بيوت الجوار في هذه المقطوعة أخذت بعداً مخالفاً لما سبق من نصوص، فإنَّ الشعور بالعداوة تجاه دار جاره وموقفها السلبي ، جعل الشاعر يرسم صورة من واقع الحياة عن طريق الطيور التي نهشت جسمه أنه يومئ إلى جار سيء وهو ما أشار اليه الشاعر، وأحسب أنَّ هذا القبح بوصفه (غُول) ماهو إلا دليل على حقيقة الفعل الشنيع الذي قام به فضلاً عن التشهير به .

ونخلص إلى أنَّ الأقارب والأرحام في شعر قريش قد شكلت ثيمة رئيسة ، إذ كشفت عن حضورها الواسع والثري بمعانيها ودلالاتها بصورة عبرت فيه عن انشغال الشاعر بها ، فضلاً عن تجسيد مشاعرهم عبر السرد الذاتي والحوار معهم ، فمخاطبة الجوار والأقارب لم تَخُل من دون بيان أحزانهم وأفراحهم وما في قلوبهم من مشاعر وأحاسيس ، بل كان ذلك لإيضاح حقائق الأمور وارشاد من غفل عنها ومحاسبة المسيء منهم.

الفصل الثاني : أنماط المكان في الشعر القرشي

المبحث الأول : المكان المعنوي :

يراد به ذلك المكان الذي لا يمكن أن تُدركه الحواس إدراكاً مباشراً ، فهو من الأماكن المتخيّلة التي يستدعيها الشاعر بوساطة خياله الذي رسمَ صورَ تلك الأماكن المتخيلة ، أي إنّك لا تستطيع أن تؤشّر عليه بما يقابله في الواقع ، لأنه غير مرئي غير مدرك بالحواس فهو غير موجود وجوداً فاعلاً إلا في مخيلة الشاعر، ولذلك لا يمكن إدراكه إدراكًا مباشرًا ، إنَّما يُفَسّر في الذهن عِبر المعنى الدال عليه أو الصورة المتولدة فيه ويكتسب أهميته الفنية ضمن سياق النصّ [1] ، وهذا النوع عند اللغويين يدلّ على المكانة الاجتماعية أو الأدبية أو المعنوية، والمنزلة ورفعة الشأن[2] .

إنّ لخيال الشاعر أهمية في تغيير الأشياءِ غيرِ المدركة إلى أشياءَ مادية محسوسة عن طريق اختيار الألفاظ المناسبة للمعنى، وبهذا يميل الشاعر ((إلى جعل إحدى الأشياء المهمة لديه موطنا لسكن أحبته فان فعل ذلك يكون قد أعطى من يحب مكانا وهميا غير موجود على أرض الواقع والدلالة في ذلك واحدة هي اعتزازه وتقديره العالي لمن يحب))[3] وهذا ما قد نجده في الشعر ، وبما أن الصورة المكانية المعنوية تشبه الصورة المكانية المجسّمة في الواقع في صفة الامتلاك والاندماج [4] لذا فإن شعراء قريش قد وظّفوا هذه الأماكن في أشعارهم ، إذ نجد بعضهم حاول توظّيف ما يعتقد من المكانة والرفعة عِبر صور واشكال متنوعة منها ما جاء تشبيهاً لهم بأماكن مجسمّة قد عرفها

---

(1) الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي: حيدر لازم مطلك (أطروحة دكتوراه): 164.

(2) ينظر: جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد :ج 983/2 . لسان العرب: ج 413/11 .

(3) ينظر : المكان عند شعراء بني أيوب(دراسة فنية): نضال عبد الجبار حسوني، رسالة ماجستير : 49.

(4) ينظر : المكان في الشعر الفاطمي شعر تميم بن المعز لدين الله– انموذجاً : د. ضحى ثامر محمد الجبوري : 131 .

الإنسان ، ومن ذلك ما أجاد فيه الشاعر الخطاب بن نفيل حينما مدح رجال من بني سهم ، مبيناً شجاعتهم وكرمهم في الدفاع عن الذين يأتون بيوتهم، إذ يقول [1] : { من الوافر }

رِجَـالٌ مِـنْ بَنِـي سَـهْمِ بْـنِ عَمْـرِو ... إِلَـــى أَبْيَـــاتِهِمْ يَـــأْوِي الطَّرِيـــدُ

جَحَاجِحَـــةٌ شَـــيَاظِمَةٌ كِـــرَامٌ ... مَرَاجِجَـــةٌ إِذَا قُـــرِعَ الْحَدِيـــدُ[2]

خَضَـــارِمَةٌ مَلَاوِثَـــةٌ لُيُـــوثٌ ... خِـــلَالَ بُيُـــوتِهِمْ كَـــرَمٌ وَجُـــودُ[3]

رَبِيـــعُ الْمُعْـــدِمِينَ وَكُـــلِّ جَـــارٍ ... إِذَا نَزَلَـــتْ بِهِـــمْ سَـــنَةٌ كَـــؤُودُ

هُـــمُ الـــرَّأْسُ الْمُقَـــدَّمُ مِـــنْ قُـــرَيْشٍ ... وَعِنْـــدَ بُيُـــوتِهِمْ تُلْقَـــى الْوُفُـــودُ

فَكَيْـــفَ أَخَـــافُ أَوْ أَخْشَـــى عَـــدُوًّا ... وَنَصْـــرُهُمُ إِذَا أُدْعُـــوا عَتِيـــدُ

فَلَسْـــتُ بِعَـــادِلٍ عَـــنْهُمْ سِـــوَاهُمْ ... طِـــوَالَ الـــدَّهْرِ مَـــا اخْتَلَـــفَ الْجَدِيـــدُ

---

(1) أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : تصنيف الإمام الوليد محمد عبد الله بن أحمد الأزرقي(ت250 هـ) : 901 .

(2) الجحاجحة: جمع جحجاح، وهو: السيد الكريم، والهاء فيه لتأكيد الجمع. لسان العرب مادة (جحجح) :420/2 . والشياظمة: واحد شيظم، وهو: الرجل الجسيم الطويل الفتي الشديد. ينظر : لسان العرب مادة (شظم):12/ 323. والمراجحة: مأخوذة من الرجّ، وهو: التحريك، يريد أنهم سريعوا الحركة عند المقارعة كرا وفرا. أو يقال من: كتيبة رجراجة إذا كانت تمخض في سيرها ولا تكاد تسير لكثرتها، فكأنه عنى أنهم كثيرو العدد عند القراع. ينظر: لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت 711هـ) مادة (رجح):281/2 .

(3) الخضارمة: الكرام، الأجواد ، ينظر: لسان العرب مادة (خضرم):184/2 . والملاوثة: يقال: رجل مليث، وهو: الشديد القوي. والليوث: جمع ليث، والمراد به الشجاع ينظر: لسان العرب: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت 711هـ) مادة (لوث) : 188/2.

نلحظ في النص المتقدِّم أنَّ الشاعر قدّم لمتلقيه صورة واضحة عن رجالهم بعدما وجد في ذوات تلك البيوت الأخلاق والكرم والشجاعة واستعدادهم للدفاع عنهم عِبر مجموعة من الألفاظ التي ناسبت معنى شجاعتهم وقوتهم فبقوله (جحاجحة ، شياظمة ، مراجحة ، خضارمة ، ملاوثة ليوث) تنم عن إرادة من الشاعر في بيان عزم بني سهم وإصرار في الدفاع عن اللائذين بهم ، لذا نراه قد أسبغ على أبياتهم هالة من التعظيم والتشريف للدلالة على كرامتهم ورفعتهم وعلو شأنهم ، وبذلك فإن المكان الملاذ للطريد يأخذ قيمة عالية في نفس اللائذ به [1] ولاسيّما إذا كانوا رجالاً أبطالاً يلبسون الدروع ويحملون عُدّة الحرب مستعدين لخوض غمار الحرب ، فالشخص الطريد عندهم مطمئن ، ولذا بنى الشاعر مكان بني سهم لا على وصف أجزاء بيوتهم وما فيها من هيأة بل على ما تبديه تلك البيوت من تلاؤم وتناغُم مع نفسية اللائذين به ، وهنا تكمن حذاقة الشاعر في الإضفاء بمشاعره على تلك البيوت التي يشعر معها بالانتماء والتكاتف .

وفي موضوع آخر ورد المكان المعنوي في أبيات لأبي طالب (عليه السلام) عندما مدح بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ويريد منها لفت نظر المتلقي إلى أنّ ممدوحه هو المأوى الذي يستسقى به الغمام ويلوذ به الناس قائلاً[2] : { من الطّويل }

وأبيضَ يُستَسقى الغَمامُ بوجهِهِ ثِمالُ اليتامى عِصمَةٌ للارامِلِ

يَلُوذُ بِه الهُلاَّكُ مِن آلِ هَاشِمٍ فَهُم عِندَهُ في نِعمَةٍ وَفَواضِلِ

أسبغ المكان انبعاثاً جديداً متمثلاً بوجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فالدنيا أصبحت (غير أليفة) مقفرة خارج (شِعب أبي طالب) وفي

(1) ينظر : المكان في الشعر الأموي : جميل بدوي حميد الزهيري ، أطروحة دكتوراه : 70.

(2) ديوان أبي طالب(عليه السلام) : 67

داخلـه أصـبح المكـان (أليفـاً) قـد أضـاء بنـوره وحلّـي بوجـوده منتجـاً زاهيـة لثمـال اليتـامى ولا سـيّما إنَّ أبـا طالـب (عليـه السـلام) لـم يفصـح بالمكـان ، إنمـا جعـل مـن شـخص رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) مكانـاً ومـلاذاً ؛ ليقينـه بأنّـه المـأوى الآمـن الـذي يجـد فيـه الضـعفاء اسـتقرارهم وإحلالهـم الاطمئنـان مكـان الخـوف والقلـق ، لـذا واشـج الشـاعر بـين المكـان ومـن لاذ بـه ، فالمكـان لـم يعـد مكانـاً مـلاذاً فحسـب ، بـل أصـبح مكانـاً يحمـل قداسـةً وعصـمةً ومنعـةً ودفاعـاً للفقـراء الـذين يلـوذون بـه ، لـذلك وجـد أبـو طالـب(عليـه السـلام) فـي الضـمير (الهـاء) متنفسـاً للتعبيـر عمّـا يجـول فـي داخلـة مـن فضـائل اتسـعت لجميـع الفقـراء مـن آل هاشـم . وفـي موضـوع آخـر ورد المكـان المعنـوي فـي خطـاب حمـزة بـن عبـد المطّلـب(ت3هـ) حـين اسـتعمل (الصـدور العـوالي) فـي إظهـار قيمـة شـجاعته وقوة سلاحه في الحروب إذ يقول [1] : { من الخفيف }

لـــيسَ عِنـــدِي إلاَّ الســـلاَحُ وَوَردٌ قـــارِحٌ مِـــن بَنَـــاتِ ذي العُقَّـــالِ(2)
أتّقـــي دونـــه المنايـــا بـــنفسٍ وهـــو دُونـــي يَغشَـــى صُـــدُور العَـــوالي
جُرشـــعٌ مـــا أصـــابتِ الحَـــربُ مِنـــه حِـــينَ تَحمَـــى أبطالُهـــا لا أُبـــالي
فـــإذا مـــا هلكـــتُ كـــان تُراثـــي وسِـــجالا محمُـــودةٌ مِـــن سِـــجالي

وفـي هذا النص نلمس دلالـة معنويـة للمكـان (الحـرب) هـي علـو المكانـة – شجاعة ، قوة – وهو لا يملك غير سلاحه وفرسه الذي يتقي دونه المنايا فهو سبيله إلى

---

(1) الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى: د. مختار الغوث : 494 . وورد في (المنمق في أخبار قريش) : 407 ،(سخالاً ، سخالي) ، والسخال ككتاب جمع السخلة وهي ولد الضأن ويقال أيضا للولد المحبوب إلى والديه السخل والسخال، وهذا المعنى هو المراد هنا . ينظر : لسان العرب :ج12/ 56 ، الأزمنة والأمكنة : أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي : (ت421هـ): 520 .

(2) ينظر : لسان العرب : ابن منظور : ج463/11 .

النصر وهو رمز شجاعته التي يعتز بها في حروبه مع الأعداء ، لذلك أسبغ بوساطة هذه الألفاظ والصور المائزة على فرسه روح القوّة والأصالة وصرف عنها صفات التردد والهزيمة فبلغ به ما يريد من فخر لنفسه فبقوله (صُدُور العوالي) والصدور كما هو معروف مكان مجسَّم مثل الأمكنة الأُخر، إلا أنَّ ما نروم الوصول اليه هو أسنَّتها وأعاليها، أي: المتقدّم من الرماح مما هو قريبٌ من السِّنان، فالعالية: هي النِّصْفُ الذي يَلي السّنان من قناة الرّمح، وجمعها العوالي، فما تقوم به الصدور من أفعال ما هو إلا سلوك للشخصية، وبهذا كان له ما كان من علوِّ المكان والرفعة ودوام هذه الرفعة حتى تكون تراثاً طيباً لا ينتهي بعد وفاته .

وفي نصٍ آخر اختار أبو طالب (عليه السلام) (ت10هـ) اسماً يدلُّ على المكانة والمنزلة الرفيعة حينما بُشِّر بولادة ابنه علي (عليه السلام) فمكانته من الرفعة لا يصلها أحد غيره بعد نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ يقول [1] : { من البسيط }

سَمَّيتُه بعلِيٍّ كي يدومَ له ... منَ العلوِّ وفخرُ العزِّ أدوَمُهُ

فالعلوّ في البيت الشعري هو مكان معنوي لا يُمكن التكهن به عمّا في منزلته وعُلُوِّ مكانته [2] فهو منارٌ للعز والفخر، فأوصاف الشعراء لأمير المؤمنين (عليه السلام) لا تكاد تنتهي ، وإن بعض الشعراء أصابوا الهدف حينما اقتبسوا هذا المعنى ليصفوا به أمير المؤمنين علي (عليه السلام)[3] ، فنرى أن هذه التسمية جمعت العلياء من كل جهاتها لما اسبغه أبو طالب (عليه

---

(1) ديوان أبي طالب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : 83 .

(2) قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)((يا علي، ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفني إلا الله وأنت، وما عرفك إلا الله وأنا)) ينظر : مختصر بصائر الدرجات : الحسن بن سليمان الحلي : 125 .

(3) ديوان عبد الباقي العمري : 56 .

أنتَ العليُّ الذي فوقَ العُلا رُفِعا ... ببطنِ مكَّةَ وسطَ البيتِ إذ وُضِعا

السلام) عليها من المجد والفخر والعزِّ، وقد زاد الوصف مبالغة إذ جعل تلك التسمية تدوم ما يدوم له الدهر من العلو والمنزلة والرفعة ، وهذا ما كان عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في الواقع ، وفي موضوع آخر جاء به عروة بن الزبير (ت94هـ) في محل إظهار مكان معنوي آخر نحو قوله [1] : { من الرجز }

ولا يَنَالُ المجدَ رَخْوٌ مُشْتَمِلْ يَرضَى بأدنَى سَعيِه ويَعتَزِلْ

أنِّي عَلَى بُنيانِ مَجد لن يَضِلْ بُنيانِ آبائي وأبنِي ما فَضَلْ

فالبنيان في فكر الإنسان مكان له هيأة هي الأبعاد الهندسية من حيث الطول، والعرض والارتفاع ، لذا استثمر الشاعر ما هو مخزون في العقل الجمعي ليصف به مكانته عندما نسبه إلى المجد والرفعة فالبنيان والمجد هما بؤرتا النص وقطب الرحى فيه ، وقد أفادتا في اظهار صورة المعنويات بشكل الماديات [2] ولا سيّما إنّه أسبغ عليه من مجد آبائه حتى أصبح ذا علا ترنو إليه بيوت العرب التي كرّمها الله (عزّ وجل) وشرفها شرفاً عالياً ومجداً مرموقاً لا يضاهيها أحد ، كما في قول الفضل بن العباس اللهبي [3]: { من الرمل }

مَن يُسَاجِلني يُسَاجِل مَاجِداً يَملأ الدَّلوَ إلى عَقدِ الكَرَب

وَأَنَا الأخضَرُ مَن يَعرفُني أخضَرُ الجِلدةِ من بيت العرب

إنما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب

نحنُ قومٌ قد بَنى اللهُ لَنا شَرَفاً فوقَ بُيُوتاتِ العرب

---

(1) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع : أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت 487هـ): ج332/4 .

(2) ينظر : المكان في الشعر الأموي : جميل بدوي حمد (أطروحة دكتوراه): 221 .

(3) ديوان الفضل بن العباس اللهبي : 19.

اتخـذ الشـاعر مكانـاً معنويـاً يُعبـر بـه عـن مكانتـه ومنزلتـه وشـرفه بـين الشـعراء ، فنـراه يفتخـر بنفسـه وبلقبـه ؛ لأنّ الله شـرّفهم بـالنبوّة والسـيادة التـي لازمـتهم طـوال حيـاتهم، و قـد حقـق مسـتوىً دلاليـاً فـي التعبيـر عـن تلـك الـدلالات التشـريفيّة كاشـفاً مزايـا قبيلتـه التـي رجحـت علـى بقيّـة القبائـل العربيّـة فـي الشـرف والنسـب، فهـو يسـتعمل المكـان المعنـوي فـي إظهـار مكـانتهم التـي شـرّفهم الله (عـزّ وجـل) بهـا علـى بيـوت العـرب ، لـذلك راح يتغنـى بـالقيم العامـة التـي يتصـفون بهـا ، فهـي سُـنة سـلك عليهـا الشـعراء آنـذاك ، فالطبيعـة العامـة تفـرض علـى الشـاعر أن يقـف بعـض شـعره علـى قومـه فيفخـر بهـم وينشـر محامـدهم ويـذيع مفـاخرهم بصـدق [1]، مُتخـذاً منهـا مكانـاً جغرافيـاً لبيـان منزلـة هاشـم بـن عبـد المطلـب ،إذ يقـول : [2]

: { من المنسرح }

هاشِـــمُ [3] بَحـــرٌ إِذا سَـــما وَطَمـــا أَخمَـــدَ حَـــرَّ الحَريـــقِ وَاِضـــطَرَما

وَاِعلَـــم وَخَيـــرُ المَقـــالِ أَصـــدَقُهُ بِـــأَنَّ مَـــن رامَ هاشِـــماً هُشِـــما

فالبحر كما هو مكان معتم لا يُمكن التكهن عمّا في داخله بسهولة إذ يكون مثاراً للخوف عند دخوله مع ذلك يمكن أن يكون مكاناً آمنا للكائنات الحية كما هذه الصَّفوة من الناس، فـ(هاشم) فتح أبوابه للناس دون تمييز، وتجاوز كرمه الغرباء ، ولعل الشاعر قد أصاب الهدف حينما اتخذ من البحر سبيلاً للحديث عن هذه الشخصية العظيمة ، وبذلك يكون البحر صورة منتخبة من مكونات الجمال الحسِّي في الطبيعة ، إلا أنَّ الشاعر يأتي بها رمزاً ، أو وسيلة لغرض رسم حال ما ، أو تقرير قيمة معينة [4] عن طريق الوصف،

---

(1) ينظر: العصبية القبلية وأثرها في الشعر الأموي: احسان النص : 395.

(2) ديوان الفضل بن العباس اللهبي : 39 .

(3) هاشم بن عبد مناف ويكنى أبا نضلة وسمي هاشم ؛ لأنه كان يهشم الخبز ثم يصب المرق ويفرغ عليه اللحم : ينظر : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين: د. حاكم حبيب الكريطي : 253 .

(4) ينظر : الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي: 159.

ولأن الوصف آليه فنيّة استطاع الشاعر تسليط الضوء على هذه الشخصية التي رآها جديرة بأن تكون محطّ أنظار القراء ، فالشاعر حين يستغل شخصية ما((فإنّه يتبنى بعض مواقفها، لكنه لا يظلُّ مقيداً بدلالتها تماماً ، وإنما يطوع تلك الأحداث ويتصرف بها بحدود لا تخرجها من معانيها وسياقاتها بصورة كاملة))[1] ، وبذلك ارتبط ممدوحه بمكانة معنوية ومنزلة رفيعة اختص بها من دون غيره ومقدار تأثيرها في المتلقي فهو الرئيس الذي لا كرم يقدُمُهُ ، وحاول بعض الشعراء توظّيف معتقداتهم الدينية عبر أوصاف متنوعة ، منها ما ورد تشبيهاً بأماكن مجسّمة قد شاهدها الإنسان نحو ما ورد في قول أبي دهبل الجمحي(ت63هـ) [2] : { من الطويل }

وما ضيَّع الإسلام إلا عصابةٌ تأمّرَ نوكاها، ودام نَعيمها
وصارت قناة الدين في كفِّ ظالمٍ إذا مال منها جانبٌ لا يُقيمها
وخاضَ بها طخياء لا يهتَدي لها سَبيلُ ولا يرجى الهُدى مِن يَعومها
ويخبط عشوا لا يراد موادها ويركبُ عمياً لا يرود عزومها

فالقناة في هذا النص هي مكان معنوي ، والشاعر قد سخّر اللفظ المكاني الذي اكتسب بعض الملامح من الواقع المحسوس لبيان معرفة تلك العصابة التي أصبحت بأكفها هذه القناة ، ولن نجد صورة أصدق تعبيراً من هذه لِما فيها من رموز الظلم التي تمثلت ببني أمية لإخذ الدين منهم ، فالمكان المعنوي يكتسب ضعفه ويخفت إشراقه مع كفِّ هؤلاء الحمقى ، لذا اعطى في نهاية هذه المقطوعة بيتاً يشير إلى ذلك التخبط ليتسنى للمتلقي تصوّر ما فعلته هذه العصابة مكتسبة بعض الملامح من الواقع المحسوس، فهذا اللفظ (قناة الدين) كان لها وقعٌ كبيراً على النفس فإذا بالحزن واللوعة

(1) القناع في الشعر العربي الحديث (دراسة في النظرية والتطبيق) د. سامح الرواشدة 15:

(2) ديوان أبي دهبل الجمحي : 87 – 88 .

على ما أصابها قد تخيّم على نفوس الموالين لما تجسّد من ظلم لأهل البيت (عليهم السلام) فضلاً اغتصاب حقهم ، وهذه دلالة على شدة الحسرة والألم لإبعاد أهل ادين الصحيح .

وهناك نص آخر لمعاوية بن أبي سفيان(ت60هـ) يذكر فيه مكاناً معنوياً عن طريق خداع عمرو بن العاص فارسه حريث بركوب رأسه خوفاً من سيف علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول فيها [1] : { من الطويل }

حُرَيثُ أَلَمْ تَعْلَمْ وجَهْلُكَ ضَائِرُ ... بِأَنّ عَلِيّاً للفوارسِ قَاهِرُ[2]

وأنّ عَلِيّاً لم يُبارِزْهُ فَارِسٌ ... مِن النَاسِ إلاّ أَقْصَدَتْهُ الأظافِرُ

أَمَرْتُكَ أَمْراً حازماً فَعَصِيتَني ... فَجَدُّك إذْ لم تَقْبَلِ النُّصْحَ عاثِرُ

ودَلاّكَ عمرٌو والحوادِثُ جَمّةٌ ... غُروراً وما جَرّتْ عليكَ المقادِرُ

وظَنّ حُرَيْثٌ أنّ عَمْراً نَصِيحُهُ ... وقد يُهلِكُ الإنسانَ مَنْ لا نُحاذِرُ

أيركبُ عمرٌو رأسَهُ خوفَ سيفهِ ... ويُصْلِي حُريثاً إنّه لفُرافِرُ

---

(1) ديوان معاوية بن أبي سفيان: 70 –71

(2) حريث : منادى بأداة نداء محذوفة . يا حريث ، ألم تعرف بأن علي بن أبي طالب يقهر الفرسان ، وجهلك بذلك مضرٌ لك ولنا : ينظر : ديوان معاوية بن أبي سفيان: 70 – 71.

فمن اليسير على معاوية بن أبي سفيان التوجه بخطابه لأحد مقاتليه الأبطال الذي يعتمد عليهم في معاركه وحروبه [1] ويجعل منه بؤرة لنصه الشعري القائم على النص والأرشاد، بعدما أفصح عن معتقده بشجاعة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) فالشاعر في البيت الأخير وظّف المكان المعنون بشكل واضح وصريح وهو ركوب رأسه خوفاً من سيف أمير المؤمنين (عليه السلام) ، وبهذا يشير إلى دهاء عمرو بن العاص ومكره على عكس شخصية حريث المتسرعة والتي ظنت بأن عمراً ينصحه على قتال علي (عليه السلام) ، فالمكيدة هنا هي الحدث وهي مكللة بالمكر والخداع ، وهو وقوعه بالفخ الذي نصب له عمرو بن العاص ، ومن ثمَّ فإنَّ المكان المعنوي قد توافق مع هذا النص بالمكر والاحتيال .

لذا لابُدّ من الإشارة إلى ما تنبأ إليها من الشعراء مستعيذين بالله من قتال علي (عليه السلام) منها كقولِ سعد بن أبي وقاص (ت 55هـ) في قضية التحكيم [2] :

هربتُ بديني والحوادُث جَمَّةً وفي الأرض أمنٌ واسِعٌ ومعوَّلُ

فقلتُ: معاذ الله من شرِّ فتنةٍ لها آخر لا يُستقالُ وأوّلُ

ولو كنتَ يوماً لا محالةَ وافداً تَبعتُ عليّاً والهوى حيثُ يُجعَلُ

---

(1) كان حريث ، مولى معاوية ، فارساً بطلاً ، يعتمد عليه معاوية في حربه ، وكان يلبس ثياب معاوية متشبها به ، فإذا قاتل قال الناس ذاك معاوية . وكان معاوية قد قال له : يا حريث اتق علياً ، وضع رمحك حيث شئت ! وفي أحد أيام صفين أغرى عمرو بن العاص حريثاً بمبارزة علي ، فطلب حريث علياً للبراز ، بقوله : يا علي هل لك في المبارزة ، فأقدم أبا حسن إذا شئت . فأقبل علي ، فضرب حريثاً ضربة واحدة ، فقطعه نصفين . وقد جزع معاوية على حريث جزعاً شديداً ، وعاتب عمراً ، وأنشد تلك الأبيات . (انظر وقعة صفين)116-4/115 ص 272-273 ، وتهذيب تاريخ ابن عساكر: ج4:115-116 .

(2) وقعة صفين : ابن مزاحم المنقري : تحقيق : عبد السلام محمد هارون :539 .

إنّ ما جاء به الشاعر في البيت الشعري الأول هو حيثية لمرجعية قرآنية ذات دلالة صريحة واضحة مُقتبسة من قوله تعالى { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ }[1] فكانت تلك الآية الكريمة دالة على ما قصده الشاعر، فهو يروم التعريف لدى المتلقي عن سبب الهروب والذهاب إلى أرض الله الواسعة كي يبتعد عن الفتنة التي ستحدث في ذلك المكان ، وعن أي هروب يتحدث وأي فتنة هذه تجلب معها الشرّ كله ، ولنا أن نتصور ما وصلت إليه تلك الفتنة وصورة الصراع على الخلافة ، فلعبت بحال المسلمين حتى عادوا إلى الجاهلية كأنّهم ذبيحة نهشتها ذئاب تحسبها غنيمة بعد الغلب [2] فتخلّقت من ذلك حالة غير مُتوازنة بين المكان المتكوّن باللغة وما يمكن أن يحصل عليه في الواقع .

وقد استطاع المكان المعنوي أن يأخذ أهمية من المكان الواقعي مُتكِأً على قابلية الشاعر في انتقاء الألفاظ الملائمة للمعنى ، لذلك نرى الشاعر أبو قطيفة (ت70هـ) قد أسبغ على جبل أحد صفة البكاء للدلالة على ابتعاد أهله وفراقهم عنه، إذ يقول [3] : { من الطّويل }

بكَى أُحدٌ إذ فارق النوم أَهلُهُ فكيف بذي وجدٍ من القوم آلفِ

إنَّ جبل أحد كما هو معروف مكانٌ مرتفع عن الأرض ، فينسب البكاء الذي هو من صفات الكائن الحي إلى الجبل ، فضلاً عن أنه يحس بفراق أهله من النوم ، حينما قرن فراق النوم بالبكاء ، وهذه مشاعر وأحاسيس بيّن الشاعر عن طريقها حالة ذلك الجبل وما يُعانيه من الحزن ، وهو بهذا التصوير الحزين

---

(1) سورة العنكبوت : 65 .

(2) ينظر: شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام : د. فارق احمد اسليم : 202- 203 .

(3) تاريخ المدينة لابن شبة المنورة : أبو زيد عمر بن شبة النميري البصري (ت 262هـ): 298.

لجبل أحد جعل المتلقي يتأمل مقصد الشاعر ((ومن هنا يصير المكان كياناً اجتماعياً يمثل خلاصة وعي ساكنيه وسلوكياتهم))[1]، فأنسنة الشاعر لجبل أحد وإعطاء صفة البكاء عليها نمى من الترابط الوشيج بين الإنسان والأرض ، ولاسيّما إنّ بعض شعراء قريش في الجاهلية وصدر الإسلام لم يقفوا عند استعمال المكان في أبعاده الهندسية ، بل ارتقوا به إلى عالم الخيال بوسائل متعددة منها إيراد المعاني بصور بلاغية جميلة[2]، ونجد ذلك في قول عمر بن أبي ربيعة (ت93هـ) عندما نقل لفظة (حوض) الدالة على مستودع الماء من استعمالها الواقعي إلى المجازي، إذ جعل للحبِّ حوضاً مُرَّ المذاق طعمه كالعلقم [3] : { من الكامل }

وَجَدتُ حَوضَ الحُبِّ حينَ وَرَدتُهُ مُرَّ المَذاقَةِ طَعمُهُ كَالعَلقَمِ

فالمكان في البيت الشعري هو الحوض ، وكما هو معروف بأنه مكان مجسم مثل الأمكنة الأُخر إلاّ أن لا بُدَّ منه الوصول اليه هو ما موجود في داخل ذلك الحوض من الحبّ ، وهذا الحبّ لا يمكن أن يُرى لأنه شيء غير مجسم ، فالشاعر سعى إلى إظهار هذا المعنى عبر الإيحاءات الدلالية التي تمدُّ الذهن بصورة مبتكرة قائمة على التكثيف والدهشة ، ولعلّ الشاعر قد أجاد في نقل لفظة (حوض) الدالة على مستودع الماء من استعماله الواقعي إلى المجاز حينما جعل للحب مُرَّ المذاق ، ليتسنى للمتلقي تصوّر ما

---

(1) مكونات الخطاب السردي (مفاهيم نظرية) : الشريف حبيلة: 43 .

(2) ينظر : المكان في شعر صدر الإسلام (دراسة فنية) : شروق حيدر فليح العبودي : رسالة ماجستير : 24 .

(3) ديوان عمر بن ابي ربيعة: 230.

هو معنوي بصورة المحسوس [1] . ومنها قول عبيد الله بن عروة بن الزبير (ت125هـ) يظهر فيه عمق الوجع الذي لحق بالشاعر من ابن عمه قائلاً فيه [2] : { من الطّويل }

إذا مـا ابـنُ عَـمِّ السُّـوءِ أيقنـتَ أنَّـهُ يَجِـدُّ بِمـا يؤذِيـكَ مِنـهُ ويَمـزحُ

فقـد ضَـلَّ مَجـرَى سَـعيِه؛ فـارِمِ دَونَـه بِمَـا هُـوَ أَنـأَى فـي المَحَـلِّ وَأَنـزَحُ

ففي هذين البيتين كشف الشاعر عن شخصية ابن عمّه وما لحقه من الأذى وسوء بسببه ، فالشاعر لم يشتكِ إساءة واحدة ، وإنمّا اشتكى إساءات متعددة جرت عليه ، ولعلّ البيت الثاني كان أكثر افصاحاً عن الإساءة ، ولاسيّما إنّ هذين البيتين استندا على عمق إظهار الوجع الذي لحق الشاعر ، فكل ما هو عليه من ألم وأذى لم يأتِ من عدم وإنّما حزنه الشديد على صلة القرابة ، لذلك قصد الشاعر باللفظ المكاني (المجرى) الذي هو مكان لمجرى المياه ليجعل منه مجازاً للإشارة إلاّ أنّ المهجو يرمز له بضلالة سعيه، ولعل هذا المعنى مقتبس من معنى الآية القرآنية الكريمة في قوله تعالى :{ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا } [3] فالشاعر قد سخّر المكان المعنوي لمعرفة ذلك السعي الضالّ ، ولقد كان موفقاً في توظيف تلك المعاني مستعملاً الألفاظ نفسها التي وردت في الآية القرآنية ليؤثر في المتلقي عندما اعطى للمكان المعنوي صورة الحسي .

---

(1) ينظر : المكان في الشعر الأموي : جميل بدوي حمد (أطروحة دكتوراه) : 223

(2) جمهرة نسب قريش وأخبارها: الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الأسدي المكي (ت 256هـ) : 312 .

(3) سورة الكهف / آية : 104

المبحث الثاني : المكان المفتوح :

هو المكان الذي تتجاوز قيمته بوصفه إطاراً صرفاً ، أي لا حدود له ، وهو غير مقيد بشكل معين وقد يتجاوز في مداه حدود الاستواء والسيطرة البصرية فيتسع إلى حدود الانقطاع والتيه الوجداني[1] ، وأحسب أنّ استمرار هذا المكان من الجاهلية وصدر الإسلام وصولاً إلى عصر بني أمية وليد الرغبة في الحرية وعدم التقيد ، لذا ترك المكان المفتوح أثره في وجدان المجتمع لما له من مؤدّى فاعل في الحياة ، كالوقائع والحروب والأحداث التاريخية ، إذ يعمد الشاعر إلى استدعاء المكان المفتوح بُغية إثراء نصه ، وقد احتل المكان المفتوح حيزاً مُتقدماً في الحروب التي حدثت بشكل لافت للنظر ، ولاسيّما في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام ، وكان استعماله نتيجة طبيعية لاقترانها بالعصبية القبيلة بين القبائل العربية آنذاك ، مثلَ ذلك قول ضرار بن الخطاب الفهري (ت13هـ) [2] :{ من البسيط }

فَمَا السَّحَابُ غَدَاةَ الحَرِّ من أُحُدٍ بِنَاكِلِ الحَدِّ إِذْ عَايَنْتُ غَسَّانا

غادرت منهم بجنب القاع ملحمة صَرعَى فما عدلوا – يا ميُّ – قَتلانا

فلو رأيتهمُ والخيلُ تُثبتُهُم والبيضُ تأخذُهُم مَثنى وَوُحدانا

أيقنتِ أنّ بني فِهرٍ وإخوتَهُم كانوا لدَى القاعِ يومَ الروعِ فرسانا

قصد الشاعر رسم صورة الواقعة التي حملت لهيب الكلمات مكونة مقطعاً صغيراً غنياً بتأججها، فالواقعة بين طرفين والحدث حربي ، وقد ركّز على محور الانتصار والهزيمة ، فيصف لنا جو المعركة وما يتخللها من احتدام وشجاعة الفرسان التي تمثل قوة

---

(1) ينظر: دلالة المكان الشعري دراسة في شعر حسب الشيخ جعفر(رسالة ماجستير) :47.

(2) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري : 89 ، غداة الحر : غداة اشتداد الحرب ، القاع الأرض المستوية المطمئنة عمّا يحيط بها من الجبال ، والمراد هنا القاع الذي بالمدينة المعروف بأطم البلويين: ينظر : تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي : 5/ 490. ميُّ : ترخيم مية ، يا ميّة .

(بني فهر) وشجاعتهم وهذا الاحتدام يحمل في طياته معركة ضارية تتخللها مشاهد تصويرية مكثفة، وأحسب أنَّ هذه التسمية (ملحمة) لمكان وقوع المعركة ما هي إلا لتقريب صورة المكان لدى المتلقي ، ممَّا يضفي إلى صورة الواقع الخارجية لمجريات المعركة ((وهي في مجملها تمثل وحدة من الحماسة الحربية النابعة من أعماق نفس ثائرة غاضبة ممتزجة بالأحداث))[1] ، وهذا يعني أن وصف المعركة لم يكن اعتيادياً جامداً بل كان تعبيراً عن وقائع المعركة ، ولاسيّما وإنَّ ((المجتمع الجاهلي يؤمن بالقوة إيماناً جعلها من مقومات الحياة، ...، فالحروب كانت ضرورة للحصول على العيش، وتحقيق الكرامة))[2].

والحق إنَّ ما جرى في واقعة كربلاء أمر مؤكد وهو ليس بالأمر الهيّن ، لذا فلا عجب إذن من أن نجد يحيى بن الحكم (ت 89 هـ)متوجهاً إلى الطف كاشفاً نسب ابن زياد وأمه سميَّه و قتلهم الإمام الحسين(عليه السلام) ومن معه في واقعة الطف إذ يقول [3] :{ من الطّويل }

لَهَامٌ بِجَنْبِ الطَّفِّ أَدْنَى قَرَابَةً مِنِ ابْنِ زِيَادِ الْعَبْدِ ذِي النَّسَبِ الْوَغْلِ
سُمَيَّةُ أَمْسَى نَسْلُهَا عَدَدَ الْحَصَى وَبِنْتُ رَسُولِ اللهِ لَيْسَ لَهَا نَسْلُ

ففي البيتين الشعريين جعل يحيى بن الحكم من الطف ظرفاً للحديث عن النسب عِبر تلك الواقعة مُستعملاً إياها للدلالة على نسب ابن زياد فـ ((الشاعر يقارن بين نسل سميّة أم عبيد الله الذي أصبح عدد الحصى والنسل الذي انقطع من الزهراء (عليها السلام) لاستشهاد ولدها الإمام (عليه السلام)

---

(1) المكان في شعر الشريف الرضي (دراسة فنية) : زينب عبد الكريم الخفاجي : 63 .

(2) الفروسية في الشعر الجاهلي: د. نوري حمود القيسي: 80.

(3) تاريخ الطبري – تاريخ الرسل والملوك : أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ) : 5/ 460

ويبدو أن الشاعر هنا قصد كناية السوء أكثر من كناية الخير عدداً لأن نسل العلويين أكثر من الأمويين))[1] ، فالشاعر اختار من المكان (الطف) الذي هو فضاء مفتوح وسيلة ليكشف عن الشخصيات وأفعالها ، فشعوره تجاه ابن زياد صار عدائياً بسبب ما اقترفوه من جرائم بحق أهل البيت (عليهم السلام) .

وكان للمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب (ت67هـ) وقفة حزينة في واقعة الطف لمّا بلغه مقتل الإمام الحسين ومن معه (عليه السلام وعليهم) مجسداً ما في نفسه حزناً وبكاء بقوله [2]: { من السريع }

أحزنني الدّهرُ وأبكاني ... والدَّهرُ ذُو صَرفٍ والوانِ

أفردني من تسعةٍ قُتِلُوا ... بالطَّفِّ أضحوا رهنَ أكفانِ

وستَّةٍ ليسَ لَهُم شَبَةٌ ... بني عقيلٍ خيرِ فُرسانِ

والمرءِ عونٍ وأخيه مضى ... كِلاهُما هَيَّجَ أحزاني

من كانَ مَسرُوراً بِما نَالَنَا ... وشَامِتاً يوماً فِالآنِ

في هذا النص الشعري حزن بالغ وعبرات منكسرة تكاد تضيق بها نفسه الفريدة والغريبة بعد مقتل الإمام الحسين وأهل بيته (عليهم السلام) فالمكان المفتوح مرتبط بالغرض الذي سيق من اجله ((إذ أنَّ ذكر الطف أصبح ملازماً لذكر الإمام الحسين (عليه السلام) فالطف أخذ شهرته بعد استشهاد الإمام وأصحابه فيها وبقيت شاهدة على ذلك إلى يومنا هذا))[3] ، ولا سيّما إنّ هذه الواقعة وهي مكان مفتوح اكتسبت الهيكل الأساس الذي انبنت عليه هذه الأبيات لتكون مؤثرة في السامع مُجسدة الواقع لكونها احتوت جميع الأحداث والأفعال ، فالشاعر بعد هذه الواقعة يحسُّ بالغربة ، فهذا هو حال

(1) حركة الشعر في ثورة التوابين وإمارة المختار الثقفي: د. حسن حبيب الكريطي : 197 .

(2) معجم الشعراء :المرزباني (ت 384 هـ): 369

(3) حركة الشعر في ثورة التوابين وإمارة المختار الثقفي: د. حسن حبيب الكريطي : 208 .

المغيرة بن نوفل الذي عاش تلك الغربة المكانية والزمانية معاً في واقعة الطف ، ومنها ما ورد في قول أبي دهبل الجمحي (63هـ)[1] : { من الطّويل }

أصابتهُ شنعاء فلو حلَّ وقعها على الأرضِ دكتْ قبلَ ذاك تخومها

فأيمها لم تلقَ بالطَّف كافلاً ولم يرَ مَنْ يحنو عليهِ فطيمُها

عبّر الشاعر عن شعوره الصادق في واقعة الطف ، وقد أفاد من التوظيف القرآني في دعم حجته من قوله تعالى: { كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا }[2] ، ولعلّه وُفّق بتجسيد موقفه الانفعالي وما عليه من حزن ، وعمق ذلك الموقف وتداعياته الوجدانية مما جعل من مكان (الطف) إظهار قوة وتحمل وصبر آل البيت (عليهم السلام) فقد سكنوا أرضاً موحشةً مقفرة تجعل الإنسان غريبا فيها .

ويرى الباحث أن توارد المكان بالمحدودية تارة وعدم المحدودية تارة أخرى هو نتاج لحالة شعورية متقاربة لدى الشاعر فكثيراً ما يعكس استقرار الحالة النفسية لحظة إلقاء النص ابعاد المكان واحتوائه ولو كان في محل تأزم شديد لما ينطوي تحت هذا الاستقرار من مضامين متعلقة بثنائية (الانتصار والانهزام). وقد كان للعباس بن الوليد بن عبد الملك (ت 130هـ) وقفة مع بني أمية بعد ما همّ أصحابه بخلع الوليد بن يزيد قائلاً [3]: { من البسيط }

إِنِّي أُعِيذُكُمُ بِاللَّهِ مِنْ فِتَنٍ مِثْلِ الْجِبَالِ تَسَامَى ثُمَّ تَنْدَفِعُ

إِنَّ الْبَرِيَّةَ قَدْ مَلَّتْ سِيَاسَتَكُمْ إِنَّ الذِّئَابَ إِذَا مَا أُلْحِمَتْ رَتَعُوا

لَا تَبْقُرُنَّ بِأَيْدِيكُمْ بُطُونَكُمُ فَثَمَّ لَا حَسْرَةٌ تُغْنِي وَلَا جَزَعُ

---

(1) ديوان أبي دهبل الجمحي : 89.

(2) سورة الفجر : آية : 21 .

(3) البداية والنهاية : ابن كثير الدمشقي (ت 774 هـ) : ج13/ 177 .

إنّ موالاة الشاعر لبني أمية قد دفعت بهِ أن يتمنى وجودهم في الحكم على الدوام ، فهو يستعيذ بالله من الفتن أن يحفظهم بعدما همّ أصحابه بخلع الوليد بن يزيد من الحكم ، وقد زاد الوصف مبالغة إذ جعل حجم تلك الفتن بحجم الجبال (وهي أماكن مفتوحة) ، فالشاعر أراد أن يجعل من هذه الحادثة انطلاقاً لفتن كبيرة ، ولذا استعان بلفظة الجبل لإيصال رأيه إليهم ، وقد كان ذلك واضحاً ومؤكداً حينما استعاذهم بالله أن يتركوا هذا الأمر.

نخلص من ذلك أنّ شعراء قريش نظروا إلى الأماكن المفتوحة بوصفها جزءاً مهماً في إثارة العواطف والمشاعر حيث تكتسب خصائصها من احاسيس الشاعر فقد يكون أليفاً عندما يشعر بنشوة النصر، وقد تكون الأماكن معادية حين يقترب من مشاهد القتل والدماء والوباء والعوز ...وبذلك أسهم في رفد شعراء قريش صوراً وقدرة إيحائية معبرة ، ولا سيّما الحوادث التاريخية كالوقائع والحروب وغيرها أكثر إثارة للعواطف والمشاعر خصوصاً التي عاشها آل البيت (عليهم السلام) .

المبحث الثالث : المكان المغلق:

المقصود بالمكان المغلق هو المكان التي يتصف بأن له اطاراً واضح المعالم يفصله عن العالم المحيط ويتصف هذا المكان ايضاً بأن محيطه ضيق يستطيع أن يكون الشخص فيه على راحته بعيداً عن صخب الحياة ويفضل البعض هذه الأماكن حيث يشعر فيها بالدفء والحماية، وقد يرفضها البعض بسبب صعوبة الولوج ، فيتحول فيه الفرد الى وجود سلبي ساكن ويتراكم خلاله الإحساس بالعدمية ، وبهذا فإن الأماكن المغلقة تختلف ((وظيفتها بحسب الانتماء النفسي للشاعر فمنها ما يشعر بالألفة والمحبة ومنها ما يشعر بالمعادات ، إلاّ أنَّ المكان المغلق يحتفظ بذكريات ويتيح لها في الوقت ذاته إبراز قيمته الأساسية)) [(1)] كصور تجعله بحالة من التجاذب بين النفس والظاهرة المكانية ، وهذا التجاذب يصل إلى درجة من الاتحاد النفسي فيجعل المكان قرينا معادلا ، أو تجسيدا من تجسيداته أو قناعا من أقنعتها[(2)] .

إنّ المبيت في الأماكن المغلقة قد جاءت في سياق مسهب عند بعض شعراء قريش كما في قول عبد الله بن جدعان التيمي (ت32 ق.هـ) عندما وصف (الحانوت) وهو المكان الذي يشرب فيه الخمر قائلاً [(3)] :{ من الوافر }

---

(1) البنية السردية في شعر العصر العباسي الثاني (300 – 656هـ) افتخار عناد إسماعيل ، إطروحة دكتوراه : 90

(2) ينظر : المكان ودلالاته في شعر السياب : محمد طالب غالب البجاري ، رسالة ماجستير :17

(3) نسب قريش: لأبي عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت236هـ) : 292 ، جمهرة نسب قريش وأخبارها : الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي الزبيري (ت 256هـ) 307:

شَـرِبْتُ الْخَمْـرَ حَتَّـى قَـالَ قَـوْمِي أَلَسْـتَ مِـنَ السَّـقَاةِ بِمُسْـتَفِيقِ

وَحَتَّـى مَـا أُوَسَّـدُ فِـي مَبيـتٍ أَبيـت بـهُ سِـوَى التُّـرْبِ السَّـحِيقِ

وَحَتَّـى أَغْلَـقَ الْحَـانُوتَ مـالي وَآنَسْـتُ الْهَـوَانَ مِـنَ الصَّـدِيقِ

علـى الـرغم مـن أنَّ هـذه الأبيـات جـاءت لغـرض التأسـي والتحسّـر ، إلا أن تحديـد المكـان المغلـق جـاء عـن طريـق غلـق الحـانوت رمـزاً للتوبـة ، فالدلالـة المكانيـة فـي هـذا الـنص تـومئ إلـى تكثيـف الدلالـة المرتبطـة بـأثر تـرك الخمـرة علـى الفـرد ، فالمكـان المغلـق هنـا هـو الحـانوت الـذي أثـار قومـه عليـه ، لأن هـذه الحانـة جمعت الحضيض والقاع من كل جهاتها.

أمـا الأديـرة التـي تُعـد مـن الأمـاكن المغلقـة فلهـا حضـور عنـد بعـض شـعراء قـريش ومنهـا قـول يزيـد بـن معاويـة بـن أبـي سـفيان فـي ديـر مـرّان إذ يقـول [1] : { من البسيط }

مَـا إِنْ أُبَـالِي بِمَـا لَاقَـتْ جُمُـوعُهُمُ بِالْغَزْقَذُونَـةِ مِـنْ حُمَّـى وَمِـنْ مُـومِ

إِذَا اتَّكَـأْتُ عَلَـى الْأَنْمَـاطِ مُرْتَفِقًـا بِـدَيْرِ مُـرَّانَ عِنْـدِي أُمُّ كُلْثُـومِ[2]

يزيـد هنـا يفصـح ويصـرّح عمّـا فـي قلبـة تجـاه الإسـلام والمسـلمين عِبـر ذلـك الـدير ، فمـا حصـل لهـم مـن وبـاء أدّى إلـى الفتـك بجمـوع كثيـرة مـن المسـلمين ، والشـاعر وجـد بـدير مـرّان راحتـه وأنسـه بعيـداً عـن هـم الحـروب والمعـارك فهـو يفقـد انتمـاءه الـديني والأخلاقـي تجـاه الإسـلام والمسـلمين ويشـعر بـالتمرد علـى والـده وعلـى المسـلمين الـذي ذهبـوا لقتـال الـروم فهـو لا يبـالي بمـا يحصـل لهـم ((وهـذا مـا يـدل علـى اكتسـاب المكـان دلالـة ضـدية مناهضـة للدلالـة الاصـلية التـي عرفـت بهـا الاديـرة، ولـم يـدخلها فقـط النصـارى بـل تـوارد عليهـا المسـلمون – العـابثون مـنهم

(1) الكامل في التاريخ: ابن الأثير (ت 630هـ):ج3/56-57 ، شعر يزيد بن معاوية : 30

(2) وَأُمُّ كُلْثُومٍ امْرَأَتُهُ، وَهِيَ ابْنَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَامِرٍ.

لغرض اللهو وطلب الملذات فيها)) [1] ولعلنا نرى أن دلالة المكان اختلفت مع هؤلاء الذين يزعمون أنهم حريصون عن الإسلام.

وقد تتعقد الأحداث في الأماكن المفتوحة مما يولد حالة من التنافر بين حس الشاعر والمكان حتى يتحول إلى مكان مغلق على نحو ما نجده في قول المهاجر بن خالد بن الوليد(ت37هـ) [2] : { من السريع }

مـــن يَســـكُن الشَّـــام ويُعـــرس بِـــهِ فالشّـــامُ إن لـــم يُفنِنـــا كـــارِبُ

أفنـــى بنِـــى صـــخرٍ وفُرســـانَهُم عشْـــرين لـــم يطـــرُر لهُـــم شـــاربُ

وَمـــن بنـــى أعمَـــامِهم مِـــثلُهم لِمثـــلِ هَـــذَا يَعجـــبُ العاجـــبُ

طعنـــاً وطاعُونـــاً مَنَايَـــاهُمُ ذلِـــكَ مـــا خَـــطَّ لنَـــا الكَاتِـــبُ

إنَّ سلبية البلد الموبوء توقع في نفسيّة ساكنية مسحة فقدان الأمل بالحياة لأنها تسلط ((ضغطاً على الشخصية مما يجعل شعورها داخل المكان يتسم بالعدائية نتيجة عدم تقبّل الشخصية لتلك الضغوط التي يسلطها ذلك المكان))[3] الذي تكثر فيه الحروب والأمراض... فالمدينة التي كان يأنس بها الشاعر أصبحت موحشة بعد فقدان أحبته ، لذلك أحس بألم نفسي كبير في مدينة الشام وما زاد هذا الألم فناء بني صخر وفرسانهم بسبب كثرة القتل فضلاً عن

---

(1) البنية السردية في شعر العصر العباسي الثاني (300 – 656هـ) : إفتخار عناد إسماعيل الكبيسي (أطروحة دكتوراه) : 94 .

(2) تاريخ الطبري : 4 / 65 ، والبداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي : 7/ 8 ، والثلاثة الأخيرة في (الإصابة 481/3) ورواية الثاني في (تاريخ الطبري ، والإصابة) ((أفنى بني ريطة فرسانهم) ، وفي (الإصابة) ((عشرين لم يعصب)) ، وفي (تاريخ الطبري ، والبداية والنهاية ((لم يقص لهم شارب) والثالث في (الإصابة) ((ومن مثل هذا)) ، وفي (تاريخ الطبري) ((لمثل هذا عجب العاجب)) ، كارب : موشك طرّ شاربه : نبت .

(3) البناء الفني في قصص ديزي الأمير : سهاد ساعد صاحب (أطروحة دكتوراه) : 97

الطاعون الذي فتك بقبيلته ، فالمكان لا يكون آمنا إلا لمن يشعر بالراحة والبقاء مع أهله وأحبته ، وبذلك فإنّ هذا النص وضعنا أمام حقيقة مهمة هي أن الإنسان يفقد شعوره بالحياة إذ عزل الإنسان عن أهله ومحبيه ، كما في قول سليمان بن قتة (ت 126هـ) حينما نعى استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) وكان هذا النعي كالصاعقة إلى درجة أنه نفي هذا الخبر قائلاً [1] :

{ من المنسرح }

يا كذّب الله من نعى حسناً ... ليس لتكذيب نعيه ثمنُ

أجول في الدّار لا أراك وفي الدّ ... ار أناسٌ جوارهم غبنُ

كنت خليلي وكنت خالصتي ... لكلّ حيٍّ من أهله سكنُ

بدّلتهم منك، ليت أنّهم ... أمسوا وبيني وبينهم عدنُ

يستعمل الشاعر أسلوب النداء لاحتواء الصدمة التي تغلبت عليه حينما سمع خبر استشهاد الإمام الحسن (عليه السلام) لإحساسه بالضياع فهو يتجول في أركان البيت باحثاً عن إمامه عسى أنْ يجده هنا أو هناك ((فهو يتجاوز الواقع ، لينطلق إلى عوالم أخرى أوجدها داخل نفسه يحاول من خلالها رفض الواقع واستبداله بحياة أخرى تحقق له ما يتمناه)) [2] إلا أنَّ ذلك الحال لم يدم طويلاً فسرعان ما صدمه الواقع بالحقيقة المرّة وهي إنّ الإمام الحسن (عليه السلام) قد فارقت روحه جسده ولا مجال لرجعته ، ولم تقف المصيبة عند هذا الأمر بل تجاوزه إلى ما هو أشد إيلاماً فقد جاء بعد استشهاده أناس ظلمة ، فهو يشير إلى الأمويين الذين آلت اليهم الخلافة ، ولهذا نجد تصاعد أسلوب الشاعر

---

(1) شعر سليمان بن قتة العدوي (ت 126هـ) : د. مثنى عبد الرسول مغير الشكري : 38 ، جمل من أنساب الأشراف : أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت 279هـ) : ج303/3 .

(2) الهاشميون في شعر العصر الأموي (الرؤية والفن) : خالد زكي عقل (أطروحة دكتوراة) : 111 .

المشحون بطاقات نفسية وبشكلٍ موجز فطبيعة الشعر تميل إلى الإيحاء والتلميح ، ومثل ذلك أبيات لعبد الله بن الزبعرى في معركة أحد ضد المسلمين يقول فيها (ت15هـ) [1] :{ من الرمل }

لَيْتَ أَشْيَاخِي بِبَدْرٍ شَهِدُوا جَزَعَ الْخَزْرَجِ مِنْ وَقْعِ الْأَسَلْ

حِينَ حَكَّتْ بِقُبَاءٍ بَرَكَهَا وَاِسْتَحَرَّ القَتْلُ فِي عَبدِ الأَشَلْ

ثُمَ خَفّوا عِندَ ذاكُم رُقَّصا رَقَصَ الحَفّانِ يَعلو فِي الجَبَلْ

فَقَتَلنا الضعفَ مِن أَشرافِهُم وَعَدَلنا مَيلَ بَدرٍ فَاِعتَدَلْ

إنَّ تمني الأجداد والقتال معهم في ساحات الحرب هي من التداعيات التي يسترجعها المقاتل في موقف ما أو لحظة ما ، فكان انتصار المشركين في معركة أُحُد قد أثارت تلك الذكريات والهزيمة التي لحقت به في معركة بدر، لذا وجد في أسلوب التمني متنفساً في تمني اشياخهِ في تلك الواقعة ، مانحاً إيّاها توحداً بين ذكرى الانتصار والهزيمة وتمنيه عودة تلك الشخصيات التي تمناها في ظل الفرح والسرور في تلك المعركة ، ويكون معها المكان المسترجع بفعل التذكر مكاناً بديلاً يخفّف من علل الواقع وأوجاعه .

وفي موضوع آخر نجد أبياتاً للنعمان بن عدي(30هـ)[2] أراد إرسالها إلى زوجته حينما أصبح والياً للخليفة عمر بن الخطاب على ميسان ، قائلاً [3] : { من الطويل }

مَنْ مُبْلِغُ الْحَسْنَاءِ أَنَّ حَلِيلَهَا بِمِيسَانَ يُسْقَى مِنْ زُجَاجٍ وَحَنْتَمِ

---

(1) شعر عبد الله بن الزبعرى: 42 ، عبد الأشل : أراد عبد الأشهل .

(2) النعمان بن عديّ من بني عدي بن كعب ، وابوه من الحبشة ، ولاه عمر بن الخطاب ميسان ، الإصابة : ابن حجر العسقلاني :562/3

(3) جمهرة النسب : لأبي المنذر هشام بن محمد بن سائب الكلبي (ت 204 هـ): 207 ، الكامل في اللغة والأدب : محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (ت 285هـ) : ج69/3.

إذا شـــئتُ غَنَّـــاني دَهـــاقِينُ قريـــةٍ وصَـــنَّاجَةٌ تجثُـــو علـــى كُـــلِّ مَنْسِـــم

عكس المكان في النص حقيقة الشخصية فهو مرآة للذات الشاعرة ، ومن جانب آخر إنّ حياة الشخصية تفسّرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها، وبذلك أعطى الشاعر دلالة واضحة عن نفسه وشغفه بمثل هذه المجالس ، ومن هنا فإن ذلك التلاحم أعطى صورة وافية عن ذلك المكان وما دارت به من ملذات .

ولم يختلف القصر عند شعراء قريش في دلالته عن الدار فقد أثرت طبيعة المكان تأثيراً بارزاً في شعرهم فاتخذوا من شخصية الممدوح وصفاً لها وهي لا تخلوا من التكسب ، كقول أبي قطيفة(ت 70هـ) واصفاً قصر سعيد بن العاص إذ يقول [1] :

{ من البسيط }

الْقَصْـــرُ فَالنَّخْـــلُ فَالْجَمَّـــاءُ بَيْنَهُمَـــا أَشْـهَى إِلَـى الْقَلْـبِ مِـنْ أَبْـوَابِ جَيْـرُونِ

إِلَـــى الْـــبَلَاطِ فَمَـــا حَـــازَتْ قَرَائِنُـــهُ دُورٌ نَـــزَحْنَ عَـــنِ الْفَحْشَـــاءِ وَالْهُـــونِ

قَـــدْ يَكْـــتُمُ النَّـــاسُ أَسْـــرَارًا فَأَعْلَمُهَـــا وَلَا يَنَـــالُونَ حَتَّـــى الْمَـــوْتِ مَكْنُـــونِي

إِنِّـــي مَـــرَرْتُ لِمَـــا زَالَ مِنَّـــا فِـــي شَـــبِيبَتِنَا مَـــعَ الرَّجَـــاءِ لَعَـــلَّ الـــدَّهْرَ يُـــدْنِينِي

ويبدو أنّ الشاعر(أبو قطيفة) كان معجباً بذلك القصر؛ لأنَّه وجد فيه راحته ، فراح يعبر عن المظاهر بما يبدي فيه مشاعره وأحاسيسه، وهذا المكان المغلق اكتسب خصوصية تتصل بموقعه وبمرتادية ، حيث منح أبو قطيفة المكان بعداً مخصوصاً ، وقد حاز من الجمال والألفة والعزّ مالم تحوزه قرائنه ، ومع كل ذلك فإنّ القصر يعطي شخصياته آفاقاً رحبة وهو الجو المحبب الى

---

(1) تاريخ المدينة المنورة لأبن شبّة: لأبن شبة (ت262هـ): ج1/ 298 . القصر والنخل : قصر لسعيد بن العاص في ضاحية المدينة الشمالية الغربية ، والجماء : هضبة في المدينة ، وجيرون : حي بدمشق . ينظر : تاريخ المدينة المنورة لأبن شبّة: لأبن شبة (ت262هـ): ج1/ 298 .

القلب الممثل بالألفة التي تطغي على الأبيات وروح الأمانة والوفاء الى جانب الود الذي يزرع في روح الشاعر الانسجام والانتماء .

أما الشعراء الذين قضوا أعمارهم بالكرم والسخاء والعمل الصالح فقد تُدركهم رحمة الله ومن ذلك ما يطلعنا به الشاعر ورقة بن نوفل (ت 18هـ) عند رثائه زيد بن عمرو بن نفيل حينما انتقل من حال الدنيا الى حال الآخرة ، فيعوض في ذلك المكان ولو كان تحت الأرض سبعين واديا نتيجة ما أعطاه في دار الدنيا ، فعطاء الله (عزّ وجل) لا حدود له ، قائلاً [1] : { من الطّويل }

فأصبحتَ فِي دارٍ كريمٍ مقامُها علَّلُ فِيهَا بالكرامةِ لَاهِيَا

تُلاقي خليلَ اللهِ فِيهَا، وَلَمْ تكنْ مِنْ النَاسِ جَبَّارًا إلَى النارِ هاوِيَا

وَقَدْ تدركُ الإنسانَ رَحْمَةُ ربِّه ولوكان تحتَ الأرضِ سبعين واديَا

يتضح من النص الشعري أنّ ورقة بن نوفل في هذه الأبيات بنى دار ممدوحه التي اقام بها بعد وفاته لا على وصف صورة (القبر) وما يظهر فيه من ملامح، بل على ما يبديه المكان من راحة واطمئنان مع نفسيته ، فالقبر هنا هو مكان الخصب والحياة لمحبة الله (سبحانه وتعالى) ومجاورته لـ (خليل الله) هي حماية من كل خوفٍ ورهبة فرحمة الله ستدركه أينما كان .

ولم يقتصر إيراد الوقفة لإن تكون وصفاً للدار ومن سكنه فحسب وإنّما وردت في مواضع أُخر وقفه لوصف الموتى وقبورهم نحو ما ورد في قول أبي دهبل الجمحي(ت63هـ) [2] : { من الطّويل }

---

(1) ورقة بن نوفل حياته وشعره: أيهم عباس حمود القيسي: 178 ، السيرة النبوية لابن هشام: عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 213هـ): ج1 / 214 .

(2) ديوان أبي دهبل الجمحي : 65 .

لَقَد غالَ لِهذا اللَحدُ مِن بَطنِ فَتىً فَتىً كانَ مِن أَهلِ النَدى وَالتَكَرُّمِ
كانَ فيما نابَ يَوماً هُوَ الفَتى وَنِعمَ الفتى الطارِقِ المُتَيَمِّمِ
أَأَلحَقٌّ أَنّي لا أَزالُ عَلى مِنّي إِذا نَزَلَ الحُجّاجُ في كُلِّ مَوسِمِ
سَقى اللَهُ أَرضاً أَنتَ ساكِنُ قبرها سِجالَ الغَوادي مِن سَحيلٍ مُزَمزَمِ

إنَّ المكان المغلق (القبر) أداة بَثَّ عِبرها الشاعر ذكر مآثر ممدوحه ، وقد أخذ رموز المديح المتداولة(كأهل الندى والتكرم ...) إنّه يدعو الله (عزّ وجل) أن يسقي قبره لما فيه من دلالة الكرم وهي ((دعاء بأن تذهب الوحشة عن قبر الميت ، وتحيط به الخضرة))[1] ، فذلك اللحد هو المكان الذي يشعر معه بالألفة ، ومنها قول يزيد بن عبد الملك في محل استعراض قبر جاريته حبابة[2] إذ يقول [3] : { من البسيط }

أبلغ حبابة أسْقى ربعهَا الْمَطَر مَا للفؤاد سوى ذكراكم وطر
إن سَار صحبي لم أملك تذكُّركم أَو عرَّسوا فهموم النَّفس والسَّهر

ففي هذين البيتين يطلب الشاعر من اصحابه أن يبلغ جاريته التي ماتت بأنّ قبرها سقيّ بالمطر ، وحزنه عليها لم يكن حزناً عادياً وإنّما كان له تأثير

(1) الحياة والموت في الشعر الجاهلي : مصطفى عبد اللطيف جاووك: 180

(2) وَهِيَ الَّتِي أَحَبَّ يَوْماً الخَلْوَةَ مَعَهَا، فَحَذَفَهَا بِعِنَبَةٍ، وَهِيَ تَضْحَكُ، فَوَقَعَتْ فِي فِيْهَا، فَشَرِقَتْ، فَمَاتَتْ، وَبَقِيَتْ عِنْدَهُ حَتَّى أَرْوَحَتْ، فأودعها الثرى حتم أنفه وهو يدمي بثناياه باطن كفه ويردد الأنين والحسرات حتى شرب كأس المنون فدفنوهُ حذاءها: ينظر: الأغاني: لأبي الفرج الاصبهاني(356هـ): ج5/ 143 . سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي (ت 784هـ): ج101/5 .

(3) الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ): ج216/11 .

علـى نفسـيته المتوجّعـة فهـي فـي الفـؤاد رغـم موتهـا تظـل أبـداً فـي ذاكرتـه ، ومنهـا قول سليمان بن قتة (ت 126هـ) [1] : { من الطويل }

سَـقَى اللَّـهُ بَلْخًـا حَـزْنَ بَلْـخٍ وَسَـهْلَهَا وَرْوَيْ خُرَاسَـانَ السَّـحَابَ الْمُجَمَّمَـا
ومـــا بـــي لتســـقاهُ ولكـــنَّ حفـــرةٌ بهـــا غيَّبُـــوا شِـــلوًا كريمًـــا وأعظُمـــا
مُـــراجِمُ أقـــوامٍ ومُـــردي عظيمـــةٍ وطَـــلّاب أوتـــارٍ عَفرنـــي عثمثمـــا
لقـد كـان يُعطـي السـيفَ فـي الـروعِ ويُـروي السـنانَ الزّاغبـيّ المقوّمـا

ففـي هـذه الأبيـات كشـف البعـد المكـاني عـن توجّـه شـعوري حسـي مـن لـدن الشـاعر ينحـو الـى التجسـيد والتشـكيل المرئـي(لمدينـة بلـخ وخراسـان) متخـذاً مـن شـخص المرثـي وسـيلة للوصـول الـى غايتـه وبـث مشـاعر الحنـين إلـى حفـرة غيبـوا فيهـا ممدوحـه ، فالشـاعر رسـم لهـا صـورة مـن واقـع الحيـاة عِبـر محطـات حياتـه ، المتمثلـة بفتوحاتـه المتواصـلة وبطولاتـه الكبيـرة التـي تحمـل البشـائر لـلأرض ، ولأهـل مدينـة (بلـخ) وإلـى تكثيـف الدلالـة المرتبطـة بـأثر الكـرم علـى تلـك الأمـاكن فإنَّـه يومئ الى واقع الحكم ، وهو ما أشار اليه الشاعر العدوي عبر هذه الأبيات.

إنّ ذكـر الألفـاظ (سـقى الله بلخـاً ، سـهل بلـخ ، وروى خراسـان السـحاب) علـى الـرغم مـن دلالاتهـا المطلقـة إلاّ إنّهـا عنـدما تـرد فـي الحـديث عـن سـقي الحفـرة (القبـر) تختلـف دلالاتهـا المكانيـة مـن المطلقيـة إلـى المحدوديـة فـي تضـييق المكان واحتوائه الجسد الذي ضمّه ذلك القبر.

(1) ديوان أشعار التشيع الى القرن الثالث / التاسع، الطيب العشاش: 286-287، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ): ج7 /321 .

يتضح مما ذُكر آنفاً أن المكان المعنوي عُدَّ موازياً المكان الحقيقي، فالاثنان يحملان تعبيرا يخصهما ، وذلك عَبر اللغة التعبيرية للمكان ؛ لأنّها لا تظل عند الشاعر حدوداً جغرافية ، وإنّما تنتقل إلينا بصورة أو بأخرى ، ومثلما يكون المكان الواقعي الحقيقي مصدرا للحب والبغض لفعل الخير والشر ، للفرح والحزن كذلك المكان المعنوي ؛ لأنه غير محدد المعالم فيحمل إيحاءات متباينة يسعى الشاعر إيصالها إلى المتلقي.

أما الأمكنة الأليفة والمعادية فإنها تكسب صفاها وخصائصها من احاسيس الشاعر فقد تصبح ذات أُلفة عندما يشتاق اليها الشاعر وتهيم روحه شوقاً اليها ، وقد تصبح خلاف ذلك يبتعد عن مشاعر الأُلفة من التي تمس الحرب والقتل والدماء...فالمشاعر والاحاسيس هي التي تجسّد المكان وتجعله يكتسب دلالات مختلفة .

الفصل الثالث : رمزية المكان

توطئة :

لا شك أنَّ الرمز أسلوب متأصل يدخل في جميع العلوم والدلالات الإنسانية تستعمله فئات المجتمع كافة بحسب نوع التوظيف والعمل، يتقنه الفنان وصاحب الحرفة حتى الإنسان الاعتيادي الذي يميز بعض العلاقات مع غيرها[1] فللرمز المقدرة على التعبير عن أفكار ورؤى الكاتب ((فيجعل للكلمة أو الحرف اسماً من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس أو حرفاً من حروف المعجم ، ويطلع على ذلك الوضع من يريد افهامه))[2] بعيداً عن النقل الحرفي لتضيء لنا عالم الشاعر، وتفصح عن مخبآت نفسه وما فيها من توجهات ومعتقدات يعتمدها المتكلم في كلامه فيما يريد كتمانه عن فئة من الناس والإفضاء به الى بعضهم [3] . يرى ابن منظور أنَّ الرمز هو((تَصْوِيتٌ خَفِيٌّ بِاللِّسَانِ كالهَمْس، وَيَكُونُ تحريكَ الشَّفَتَيْنِ بِكَلَامٍ غَيْرِ مَفْهُومٍ بِاللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ إِبانة بِصَوْتٍ إِنما هُوَ إِشارة بِالشَّفَتَيْنِ، وَقِيلَ: الرَّمْزُ إِشارة وإِيماء بِالْعَيْنَيْنِ وَالْحَاجِبَيْنِ وَالشَّفَتَيْنِ وَالْفَمِ. والرَّمْزُ فِي اللُّغَةِ كُلُّ مَا أَشرت إِليه مِمَّا يُبانُ بِلَفْظٍ بأَي شيءٍ أَشرت إِليه بِيَدٍ أَو بِعَيْنٍ، ورَمَزَ يَرْمُزُ ويَرْمِزُ رَمْزاً. وَفِي التَّنْزِيلِ الْعَزِيزِ فِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا، عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزاً))[4] وتعني أيضاً حقيقة غير لسانية تستدعيها العلامة أو الإشارة ، ونجد هذا المصطلح مرادفاً للإشارة ، لإن الإشارة عبارة عن لغة تواصلية لا يفهما إلا الجماعة المتفقون عليها [5]

---

(1) ينظر : توظيف الرمز وأثره في تماسك النص في شعر صباح عنوز : د. كاظم عبد الله عبد النبي : 200 .

(2) نقد النثر : قدامة بن جعفر : 68.

(3) ينظر : الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: د. محمد مفتوح أحمد : 251 – 252.

(4) لسان العرب : ابن منظور: 365 . سورة آل عمران / 41 .

(5) ينظر : تجليات الرمز في رواية (من أنت أيها الملاك) لإبراهيم الكوني: 7.

وأما الرمز اصطلاحاً فهو((وسيلة إدراك ما لا يستطاع التعبير عنه بغيره ، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد أي معادل لفظي ، هو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته))[1] في حين ذهب الدكتور عز الدين إسماعيل إلى أن الرمز اللغوي نفسه رمزاً اصطلاحياً تشير فيه الكلمة الى موضوع معين إشارة مباشرة ، وتشير الكلمة إلى الشيء الذي أشير إليه بهذه الكلمة ولكن دون أن تكون هناك علاقة حيوية ((علاقة تداخل وامتزاج التي تكون بين الرمز الشعري وموضوعه) بين الرمز والمرموز اليه... فالرمز الشعري مرتبط كل الارتباط بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر ، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصاً ، وليس هناك شيء ما هو في ذاته أهم من أي شيء آخر إلا بالنسبة للنفس وهي في بؤرة التجربة فعندئذ تتفاوت أهمية الأشياء وقيمتها ذلك أن التجربة – كما قلنا – هي التي تمنح الأشياء أهمية خاصة)) [2] وبذلك ((يُعد الرمز في النص الأدبي سواء أكان ذلك النص نثرياً أم شعرياً مرتكزاً يقود القراءة الى تأويلات تتصل بمرجعتيه من جانب ، وتتصل بطبيعة استثماره وحضوره في النص من جانب آخر))[3] فالرمز عِبر تلك الإشارات المبثوثة في النص يؤدي إلى ((ترجمة ذاتية لقريحة الإنسان وما تختزنه النفس الغائرة فتعبر عن ذلك بالإيحاء ، لأن اللغة البسيطة غير قادرة على إتمام الفكرة))[4] ومن هنا فإنّ علينا أنْ نتتبع الصورة الشعرية عند الشعراء القرشيين فهي بما تحمله من دلالات رمزية استطاع الشاعر أن يسقطها على شعره لإظهار كلّ ما مرّ به في حياته اليوميّة . عامة كانت أو خاصة.

---

(1) الصورة الأدبية : مصطفى ناصف : 153 .

(2) الشعر العربي المعاصر (قضايا وظواهره الفنية والمعنوية) : د. عز الدين إسماعيل : 198.

(3) الرمز في الخطاب الأدبي (دراسة نقدية): حسن كريم عاتي : 8.

(4) الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة – قراءة في الشكل خليل حياوي ، أطروحة دكتوراه : 21 .

المبحث الأول : رمزية الطلل:

لم يكن الطلل رمزاً طارئاً على القصيدة العربية فقد عُرف قبل الإسلام عندما استعمله الشعراء في إظهار ذكريات الماضي البعيدة ، إذ يستدعي البكاء عليها وعلى الحياة ، فهي لحظة حزينة يقف عليها الشاعر ليتذكر جميع ما واجهه في هذا المكان من حزن وفرح ، وشوق وحنين ، فيبث مشاعره عبر منتوجه الإبداعي فوقوف الشاعر أمام الآثار التي عفتها الأيام والسنين يحتاج الى وقفة عقلية متأنية ((لأن فعل المباشرة العيانية فيه ليست إلا نافذة الى ممارسة الشعرية المدربة تلك الممارسة المعتمدة على تفهم واعٍ لحركة الأبعاد الخفية للمكان)) [1] وتبعاً لذلك التأني والتأمل اختلفت نظرة الشاعر للطلل باختلاف الحالة النفسية التي يمرُّ بها الشاعر ، فمعظم ما سيرد في الشعر موضوع الدراسة هي أماكن اكتسبت ابعاداً روحية عميقة بين الديار وساكنيها، فضلاً على أنَّ الاستفهام والتساؤل الذي يَرد في سياقات النصوص الآتية للمقدمة الطللية عند الشعراء القرشيين تتجلى في صيغ (لمن أربع ، أعرفت رسماً ، لمن الديار ، لمن ربع بذات الجيش ، لمن طلل) والتي تمثّل((شكلاً منهجيّاً يجسم التساؤل الضائع والشاعر يقف أو يحاول أن يقف عند عتبة القصيدة الشعرية ، مستمداً من هذا التساؤل نوازع الدخول إلى الجوهر الحقيقي للبناء الشعري ، وهو يتلمس الزمن بقسوته ، والطبيعة بمظاهرها القوية والدهر بمصائبه وحوادثه... وعبر التساؤل يتخذ الوعي مساراً يتمثّل في محاولته تجاوز موجات الشعور المدمّر التي تجتاح الذات وهي ترقب حالة الأنهدام ، والنزوح الجماعي وخلخلة بنى الحياة))[2] فالشاعر القرشي عند سؤاله على الأطلال وبكائه عليها كان تعبيراً عن واقع الحياة الذي عبر بوساطته عمّا يعتريه من الحزن والأسى .

---

(1) إشكالية المكان في النص الأدبي (دراسة نقدية) ياسين النصير : 5 .

(2) الوقفة الطللية بين القبول والتساؤل في رؤى الشعراء الجاهليين : د. علي مصطفى عشا: 30 – 31 .

وقد يعبر عن رمزية (الطلل) عن طريق (المرأة) تعبيراً عميقاً لضياع كل العلاقات الإنسانية التي آنبثقت يوماً خلال اجتماع قريش على منع الدين الإسلامي الجديد فما إن نضبت مصالحهم وتشتتت أحلامهم كانت القطيعة – إيذاناً – بتشتت الشمل [1] وكما ورد في قول أبي طالب (عليه السلام) (ت10هـ) في محل حديثه عن دفاعه عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والدين الإسلامي قائلاً [2] : { من الطّويل }

لمن أرَبعٌ أقوينَ بين القَدائمِ أقَمْنَ بمدحاةِ الرياحِ التَّوائمِ؟
فكلِّفتُ عينيَّ البُكاءِ وخِلتُني قد أَنزفتُ دَمعي اليومَ بينَ الأصارِمِ
وكيفَ بُكائي في الطُّلولِ وقد أتَتْ لها حِقبٌ مُذ فارقَتْ أمَّ عاصمِ؟
غِفَارِيَّةٌ حَلَّت ببولان خلَّةً فينبُعَ أو حلَّتْ بهضب الرَّجائمِ
فدعْها فقد شطَّتْ بها غُربةُ النَّوى وشَعْبٌ لشتَّ الحيِّ غيرُ مُلائمِ
فبلِّغْ على الشَّحناءِ أفناءَ غالبٍ لُؤيّاً وتيماً عندَ نَصرِ الكرائمِ
بأنَّا سُيوفُ اللهِ والمجدِ كلِّهِ إذا كانَ صوتُ القومِ وحيَ الغمائمِ
ألم تَعلموا أن القطيعةَ مأثمٌ وأمرُ بلاءٍ قاتمٍ غيرِ حازمِ

لم يستطع أبو طالب(عليه السلام) على الرغم من سيطرته على عواطفه في أغلب قصائده – أن يخفي مشاعر الحزن والبكاء وعدم الألفة مع مكان وقد أعانه في إظهار صورة الطلل في مقدمته وإخضاعها لأثار حديث الذكرى وذاك

(1) ينظر : دراسات نقدية : محمود الجادر: 52 .

(2) ديوان أبي طالب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) : 83 –84 ، ، بولان : موضع على طريق الحاج من البصرة . خلة : قرب عدن في اليمن . ينبع : مدينة على طريق من المدينة الى البحر. الرجائم : (الرجام) هضاب حمر . ينظر : معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ) : ج1 / 511 .

باستعماله الوصف الى جانب الاستفهام ، ولاسيما أنّ صيغ الاستفهام إحدى مستلزمات المنهج الوصفي للطلل ، وعلى ما يبدو أن أبا طالب يريد أن يتحدث في هذا النص عن دفاعه عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وعن الدين الإسلامي ، وبذلك لا غرابة في أن يجمع الشاعر بين هذا الربع وهذه الحبيبة ويذرف الدموع عليها ((لأن البكاء على الأطلال كان تعبيراً عن واقع الحياة في بادئ الأمر ولكن بمرور الزمن استحال إلى وسيلة من وسائل التعبير الرمزي يصطنعها الشاعر لتصوير حالة نفسية بالقياس فراق من يهوى))[1] فذكر الأمكنة وتسميتها بأسمائها (بولان، وخلَّة، وينبع، وهضب الرَّجائم) أثارت في نفسه الواناً من المشاعر الإنسانية من حزن وبكاء وألم وحسرة تحمل مرارة تحول المكان من المحبة إلى القطيعة ، وفي نصٍ آخر أقدم أبو بكر الصديق على بيان اشتياقه للأطلال ولا سيّما آثارها التي اندرست كما في قوله [2] :

أَشاقَتكَ أَطلالٌ بِوَجرَةَ دُرَّسُ	كَما لاحَ في الرِقِّ الكِتابُ المُنَكَّسُ
أَضَرَّ بِها حَتّى عَفَت وَتَنَكَّرَت	شُهورٌ وَأَيّامٌ مَضَينَ وَأَحرُسُ
يَكادُ بِها الباغي المُضِلُّ قَلوصَهُ	يَضِلُّ فَما فيها بِخَلقٍ مُعَرَّسُ
مَرابِطُ أَفراسٍ وَمَبرَكُ جامِلٍ	فَأَنّي تَرى هذا وَذاكَ تَلَمَّسُ
أَلا أَبلِغا عَنّي قُرَيشاً أَلوكَةً	وَلا تَلبِسا فَالحَقُّ لا يَتَلَبَّسُ
فَلا تَترُكوا حَقّاً لَكُم وَتُضَيِّعوا	نَفيساً وَدينُ اللَهِ أَعلى وَأَنفَسُ

لعلّ أوّل ما يلفت عناية المتلقي من خطاب الشاعر هو اشتياقه الى اطلال (بوجرة) التي اندرست وعفت وأقفرت وذهبت آثارها وأمّحَت بعد رحيل أهلها عنها ، فنراه يصف تلك الأطلال التي تغيرت بعد طول الأيام والشهور فبقوله (عفت ، تنكرت ،

(1) تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري: د. نجيب محمد البهبيتي : 454 .

(2) ديوان أبي بكر الصديق : 86 .

مرابط أفراس ، مبرك جامل ...) مُتخذاً منها رموزاً لها دلالات من ابتعاد الأحبة بما يوازي تلك الآثار التي ذهبت وامّحت ولم تبق سوى ذلك الجلد الذي أعيد كتابته مرة بعد مرة ، وجمع هذه الصور تشكلت لحظة اشتياقه ورؤيته لتلك الأطلال . وعلى النهج ذاته يسير الشاعر في قصيدة أخرى يقول فيها[1] : { من الطّويل }

أَشــاقَكَ مــن عَهــدِ الخَلــيطِ مَغــانِ ... عَفَــت مُنــذُ أَحــوالٍ خَلَــونَ ثَمــانِ
أَأَن أَبصَــرَت عَينــاكَ داراً مَحَلَّــةً ... بِجِــزعِ الحَــلا عَينــاكَ تَبتَــدِرانِ
أَقــولُ وَقَــد هــاجَ اِشــتِياقي حَمــائِمٌ ... قِفــا تُســعِداني أَيُّهــا الــرَجُلانِ
نَشَــدتُكُما اللَــهَ الَّــذي أَنتُمــا لَــهُ ... وَدَمــهُ مَنظــورٌ أَمــا تَرَيــاني
أَلَــم تَعلَمــا أَنَّ الــدُموعَ إِذا جَــرَت ... دَواءُ صُــداعِ الــرَأسِ وَالخَفَقــانِ
أَلا أَبلِغــا تَــيمَ بــنَ مُــرَّةَ وَاِحسِــنا ... رِســالَةَ لا فَــذٍّ وَلا مُتَــوانِ
بِــأَنَّكُمُ لَــم تَأخُــذوا لِنُفوسِــكُم ... بِمــا يَرتَضــيهِ مِــنكُمُ المَلَكــانِ
هَلُمّــوا إِلــى ديــنِ النَبِــيِّ مُحَمَّــدٍ ... وَلَــو كــانَ فــي أَقصــى جِبــالِ عُمــانِ

فالشاعر استخدم الطلل جاعلاً منه دواءً يشفي آلامه وأحزانه ويحتضن همومه التي خلت في الأيام الماضية .

وكان لتحديد المدة الزمنية أثر على نفسية الشاعر، وغالباً ما تكون مملوءة بالنشاط والحيويّة ، فعهد الشاعر الحارث بن خالد المخزومي(ت80هـ) بهذه الديار التي خلت من ساكنيها و أصبحت رسومها قفرا بعد ثمان أو عشر حججٍ مضت قائلاً [2] :{ من الكامل }

(1) ديوان أبي بكر الصديق : 64 – 65 .

(2) شعر الحارث بن خالد المخزومي : د. يحيي الجبوري : 118 – 119 .

لِمَـــنْ الـــدِّيَارُ رُسُـــومُها قَفَـــرُ لَعِبـــت بِهـــا الأروَاحُ والقطـــرُ؟

وخَـــلا لَهـــا مـــن بَعـــدِ سَـــاكِنِهَا حِجَـــجٌ مَضَـــينَ ثمـــانٍ أو عَشـــرُ

والزَّعفَـــــرانُ عَلـــــى تَرَائِبِهـــــا شَـــرِقٌ بِـــهِ اللَّبَّـــاتُ والنَّحـــرُ

لقد ربط الشاعر بين الديار التي كانت ساكنة بأهلها وخلوها منهم عن طريق الاستفهام بـ(لمن) انه استفهام العارف وفي هذا دلالات على تعظيم شأن صاحبة الدار ، وتظهر أيضا ثنائية الاتصال والانفصال بين الصورة الحسية المتمثلة بوضع الزعفران في أعلى النحر وبين الديار التي أصبحت رسومها قفراً وهي التي تذهب الى بث الحياة في الجماد والسكون والاندثار في طريق الذكرى [1] إنّ الشاعر في هذه الأبيات يتعامل مع المكان زمنياً فهو يرفض هذا المكان في الوقت الحاضر بسبب ما جرى عليها من أحداث وما فعل بها طول الدهر ليس بالأمر الهين فأصبحت كالشجرة البالية فوق الأرض ، وأن حضورها في الشعر متجذراً لا عابراً ، فلا يمكن نسيانها ، فصار ذلك دافعاً للتعبير عمّا في النفوس من أفكار وخلجات.

ولا يفوتنا أن نشير إلا أن هذا الإلحاح اللافت للنظر لرمزية الطلل لدى الشاعر ((نابع من رفضه أن يبقى المكان / الطلل منغلقاً على ذاته ، كسيرة بدأت وانتهت ، ومن رغبته في أن يتوزع ويتجه إلى الأماكن المختلفة ، ويتحرك نحو أزمنة أخرى عبر الحلم والذاكرة))[2] .

---

(1) ينظر: المكان في شعر صدر الإسلام (دراسة فنية): شروق حيدر فليح (رسالة ماجستير): 32

(2) الوقفة الطللية بين القبول والتساؤل في رؤى الشعراء الجاهليين : د. علي مصطفى عشا: 25 .

وهكذا أصبحت رمزية الطلل محركاً لقريحة الشاعر بوصفه الباعث الرئيس لكل ما جرى فيها من أحداث حتى يسأل عن ذلك الطل وصاحبه ، كما ورد في شعر جعفر بن الزبير [1] إذ يقول [2] : { مجزوء الوافر }

لِمَـــنْ رَبْـــعٌ بِـــذَاتِ الْجَيْـــ ـــش[3] أَمْسَـــى دَارِســـاً خَلَقـــا؟
كَلِفـــتُ بِهـــم غَـــداةَ غـــدَوا ومَـــرَّت عيسُـــهُم حِزَقـــاً
تنكَّـــر بَعـــدَ ســـاكِنِه فَأمســـى أَهلُـــه فِرَقـــاً
عَلَونَـــا ظَـــاهِرَ البيـــدا ءِ والمَحـــزُونُ قَـــد قَلِقـــا

الشاعر في هذه الأبيات وهو يتحدث عن الطلل ولم يتبقَ من معالمه التي اندرست ينبثق التساؤل عن صاحب الربع (ذات الجيش) عبر استعادة هوية ساكنيه ((ومما يزيد الأمر بؤساً ، ويجعل الشاعر أكثر شقاءً انطماس معالمه ، وصعوبة التعرف عليها ، وعن طريق المقارنة بين ما كان يجري في هذه الأمكنة قديماً ، وبين قفرها الآن ينمو الشعور بخيبة الأمل))[4] لذا يحسّ أنَّ الفرح ذهب ، والأكثر من ذلك شعوره الأكيد بأن المحزون قد قلقا وأنَّ الفرح لن يعود ، ولاسيّما إنَّ ((التوظيف الإبداعي

---

(1) من التابعين من أهل المدينة ، عُمِّرَ حتى مات في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك ، ينظر : الطبقات الكبرى : ابن سعد الزهري (ت320هـ) : ج7/ 183 .

(2) معجم البلدان : ياقوت الحموي(ت626هـ):ج201/2 ، المغانم المطابة في معالم طابة : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت817 هـ) : ج2/ 734 . الحزق : جمع حزقة وهي الجماعة ينظر : لسان العرب : ج10/ 46 .

(3) يقال إن قبر نزار بن معدّ وقبر ابنه ربيعة بذات الجيش، وقال بعضهم :أولات الجيش موضع قرب المدينة وهو واد بين ذي الحليفة وبرثان، وهو أحد منازل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى بدر وإحدى مراحله عند منصرفه من غزاة بني المصطلق: معجم البلدان : ياقوت الحموي(ت626هـ): ج2/ 200.

(4) الصورة الفنية لحقول التراجيديا في الشعر الجاهلي : د. عبد الله خلف : 4

للمكان في الشعر منوط بنجاح الشاعر في إخراج أمكنته من الحيازة العامة إلى حيازته الشخصية ، وبما يحملها من تجاربه ، ومواقفه ورؤاه ، وبما يمنحها من دواخله ، وهو يعيد تشكيلها من جديد))[1] ويبث فيها الحياة والأمل والجدة والثبات فهو كالوشم الذي يبقى ثابتاً لا يتغير كما ورد في شعر أبي بكر بن عبد الرحمن الزهري(ت94هـ) نحو قوله [2] :{ مجزوء الوافر }

لِمَـــنْ طَلَـــلٌ بِـــذي الهَـــرمِ وَمَغنـــــى الـــــدَّارِ كالوَشـــــمِ؟

وَطُـــــولُ الـــــدَّهرِ والأيَّـــــا مِ تُخلِـــــقُ جِـــــدَّةَ الجِســـــمِ

لـــــــنُعمِ إذ بـــــــهِ نعـــــمٌ فَـــــوَا حَزَنـــــا علـــــى نُعـــــمِ!

ونعُـــــمٌ أقصـــــدتْ رَجُـــــلاً بِـــــلاً تِـــــرةٍ علـــــى عِلـــــمِ

ألســـــتُ بِجارِهَـــــا الأدنـــــى وبِـــــابنِ الخَـــــالِ والعَـــــمِّ؟

فَـــــــلا واللهِ أغبِطُهَـــــــا بِمَـــــا احتملـــــت مِـــــنَ الإثـــــمِ!

فالشاعر يبدأ حديثه عن الطلل عِبر التساؤل الذي يرد في بيته الأول فينقل للمتلقي صورة هذا المكان الذي أصبح ((سجلاً لمشاعر وحياة الإنسان وعلى جدرانه تواريخ الأيام الباقية ، ولذا فهو الرحم الاجتماعي الأكثر عرضة لتقلبات الأيام))[3] ثم يتبع ذلك بالتشبيه (بالوشم) لينقل لنا الحركة الزمنية المتعاقبة المتمثلة بطول الدهور والأيام ليزيد بذلك الثبات ثبات الوشم ، فالشاعر يعلم أن الوشم لا يمكن أن يزال بسهولة ، وإنَّ الوشم ثابتاً في الجسد لا يتغير ابدا كذلك المشاعر تجاه ذلك الطلل ثابته ولا يمكن أن تتغير بمرور الأيام والدهور وبهذا فإن الشاعر أراد ((تثبيتاً لفكرة الوضوح والبقاء والحركة

---

(1) المكان والرؤية الإبداعية (قراءة في نصوص من الشعر العربي) د. نادية غازي العزاوي :38 .

(2) جمهرة نسب قريش وأخبارها : الزبير بن بكار القرشي الزبيري :ج1/ 315 .

(3) دلالة المكان في قصص الأطفال: ياسين النصير : 27

التـي يريـدها الشـاعر ابرازهـا فـي صـورته ، واظهارهـا فـي وصـفه ، فالوشـم ثمـرة صـناعة وتحليـة وهـذا يخلـص بنـا الـى الـربط بـين عواطـف الشـاعر التـي تحمـل الوشـم وهـي منقوشه))[1] على الطلل تزيّنه وتجمّله وصورة هذا الطلل الذي أضحى في نفسه ماضياً عزيزاً وذكريات جميلة ، فهو بنظرة الى تلك الديار رجع الى حياته الجميلة.

إنَّ معظم النصوص الشعرية قد تبنّت في محتواها السؤال عن الأطلال الواقعة على سنن الطريق إلا عند الفضل بن العباس اللهبي (ت96هـ) الذي تبنت التعريج بالطلل وأن لم تكن على سنن الطريق ومن ذلك قوله [2] : { من البسيط }

عوجَا على رَبعِ سُعدى كَي نُسَائِلهُ عوجَا فَمَا بِكُمَا غَيٌّ ولا بَعَدُ

إنِّي إذا حلَّ أهلي، مِن دِيَارِهِمُ بَطنَ العتيقِ وأمست دَارَهَا بَرَدُ

تجمَعُنَا نِيّةٌ، لا الخِلَّ واصلةٌ سُعدى، ولا دَارُنَا مِن دارِهم صَدَدُ

ففي هذه الأبيات وقف الشاعر الفضل بن العباس اللهبي وقفة من سلفه من الشعراء الجاهليين متأملاً في تلك الديار الخالية التي رحل أهلها باثاً اليها ما في نفسه من مشاعر وأحاسيس ساكباً بين بقايا ارق العواطف فذكر (ربع سعدى) له مكانه عظيمة في قلب الشاعر، وكان ذلك واضحاً للمتلقي حينما استنطق ذلك الربع لعلَّ له أن يرد جواباً ، إذ جرّد من نفسه شعور الجماعة ، وكما يرى الدكتور نوري حمودي القيسي ((أن بكاء الأطلال ليس عاطفة خاصة ، ولا تجربة وجدانية ، بل لحظة حزينة أملاها الشاعر شعور الجماعة التي ينتمي اليها بالحرمان من الوطن المكاني ، وبالحنين الى الاستقرار والمقام الثابت الذي يستطيع فيه أن يقيم بيتاً ، يخلد في ذكرياته))[3] التي أوحى الشاعر عِبرها الى شدة تعلقه بحبيبته (سعدى) ، إذ لا يمكن الفصل بين الشاعر ونفسيته ، لذا فإن

(1) الطبيعة في الشعر الجاهلي : د. نوري حمود القيسي : 261.

(2) ديوان الفضل بن العباس اللهبي : 22 – 23 ، ينظر : معجم البلدان : ياقوت الحموي (ت 626هـ) ج1/ 377 ، برد : موضع ، صدد : قُبالتها وقُربها .

(3) الطبيعة في الشعر الجاهلي: د. نوري حمود القيسي : 253 –254

ربع سعدى أصبح رمزاً يحتضن هموم الشاعر ويتسع لإحزانه ، لهذا نجده يسقط رؤاه على ذلك المكان فيتحول بهذا الى رمز يخفي معالمه الأصيلة الى معالم أُخر استطاع الشاعر عن طريقها الهروب من حاضره ، فربع سعدى قدّم للشاعر الحلِّ الأمثل لهذا الهروب فهو يخشى الحاضر؛ لأنه يراه موحشاً لا الخلِ واصلا سعدى ولا داره قبال دارها ، فالشاعر هنا وظّف لغرضه هذا بنية الحوار المعبرّ عنها بأداة النداء المحذوفة وبفعل الطلب (عوجاً) مرتين في بداية الشطر الأول والثاني ، فهو بهذا الأسلوب يحاول أن يضع المتلقي في الصورة ويعيش التجربة معه بكل لحظاتها. ومن ذلك أيضاً قول الوليد بن يزيد [1] : { من السريع }

عوجا خَليلِيَّ عَلى المَحضَرِ ... وَالرَبعِ مِن سَلّامَةَ المُقفِرِ
ذَكَّرَني سَلمى وَأَيّامَها ... إِذ جاوَرَتنا بِلِوى عَسجَرِ
بِالرَبعِ مِن وُدّانَ مَبدىً لَنا ... وَمَحوَراً ناهيكَ مِن مَحوَرِ
في مَحضَرٍ كُنّا بِهِ نَلتَقي ... يا حَبَّذا ذلِكَ مِن مَحضَرِ
إِذ نَحنُ وَالحَيُّ بِهِ جيرَةٌ ... فيما مَضى مِن سالِفِ الأَعصُرِ

إن تذكر الحبيبة وأيامها هي من التداعيات التي يسترجعها الإنسان عندما يمرّ على أماكن اللقاء بالحبيبة، فالشاعر لم يتعلق بذلك المحضر والربع إلا حين اقترن بلقائهما ، وقد أثارت تلك الذكريات الملتهبة في قلبه ، فتعريج الشاعر الى ذلك المكان يبيّن لنا أنّه لا يبكي الربع والمحضر لذاتهما وإنّما ارتباطهما بـ(سلمى) وأيامها . وكما يرى الدكتور حسين عطوان ((لم نظفر في مقدماتهم كلها بخصائص عقلية واضحة تميزها من المقدمات الجاهلية ، فهم لا يتخذون وصف الاطلال وما اصابها من التغيير والدثور وسيلة إلى الحديث عن الحياة ومشاكلها ، ولا يرمزون به إلى شيء آخر وراءها إنما هم يصفونها وصفاً

(1) ديوان الوليد بن يزيد : 43 – 44 .

يضمنونه ألمهم لعفائها ، وحسرتهم على خلوها من أهلها ، تماماً كما كان يفعل أسلافهم الجاهليون)) [1].

ويرى الباحث أن رموزاً مكررة عند الشاعر القرشي حملت كثيراً من الإيحاءات والدلالات النفسية حيال الطلل الذي كان رمزاً لرحيل الأهل والأحباب وتعبيراً عن اليأس من بعث الحياة في جدث الطلل أجملناها بـ(وقوقه وسؤاله على الأطلال وبكائه ، رمزاً للخلافة المفقودة ، والوشم المتجدد والكتابة ذات المحتوى القدسي) وهذه الرموز عبرت وبكل إحساس عمّا في وجدان الشاعر ، وأخذ يسقط عليها ما في نفسه من مشاعر واحاسيس ، وما في نفسه من علاقة روحية تربطه بتلك الاثار ، والاندماج معها في كينونتها.

كذلك لم يتوقف اهتمام الطلل عند الشعراء القرشيين المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام ، كذكر الديار واندثار بقاياها بعد فراق أهلها وابتعادهم عنها ، فضلاً على أَنَّ شعراء قريش قد استثمروا هذه المعاني و ذكروها كثيراً في أشعارهم ، لذا يمكن أن نعدّه امتداداً واستمراراً لهذا الشعر عند الشعراء القرشيين ، نجد ذلك في شعر أبي طالب(عليه السلام) وعبد الله بن الزبعرى ...، أما شعراء قريش في عصر بني أمية فالأطلال عندهم على قسمين ، قسم يقف فيه على المنازل والديار ويبكيها على طريقة الشعراء القدامى ولذة الشوق والحنين واللهفة إلى أحبائهم ، نجد ذلك في شعر أبي دهبل الجمحي ، وعبد الرحمن الزهري ، والفضل بن العباس اللهبي ... ، وقسم آخر ينهج نهجاً جديداً ، إذ جاء الطلل رمزاً للخلافة ومقرها الحجاز، نجد ذلك عند الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات ، والوليد بن يزيد .

(1) مقدمة القصيدة العربية في العصر الأموي : د. حسين عطوان 58 .

نخلص من ذلك أنّ الأطلال حملت دلالات نفسية مخصوصة ، اشبه ما تكون بالأرضية الخام التي تستمد من مدلولاتها الرمزية قوتها ، فهي الملجأ الذي يأوي اليه الشاعر، مُحملاً بذكرى الماضي وجور الزمان ، فضلاً على أنّه وجد في الأطلال مجالاً للتعبير عن انفعالاته النفسية الكفيلة بخلق علاقة تأثرية بين الشاعر والمكان ، فالأطلال محمول نفسي في ذات الشاعر وذا دلالة مخصوصه به مُجسداً في الغالب مواقف شعرية سيطرت عليه عند مروره أو وقوفه عليها.

المبحث الثاني: رمزية المرأة

رمزية المرأة:

لقد كوّنت المرأة عند شعراء قريش نسقاً فنياً مهماً ، إذ أولوها عناية مخصوصة في أشعارهم ، وانطلاقاً من فكرة النسق تأتي الدراسة لبيان ما تؤديه المرأة في مخيلة الشاعر القرشي خاصة والعربي عامة ، من رموز ودلالات إذ وقف الشعراء منها في عدة مواقف رمزوا إليها بكلمات خلابة شاعرية تجذب المتلقي وتشدَّه وتلفت انتباهه نحوها [1] فالمرأة يجذبها الاسناد الفكري في موقف معين فهي تقف خلف البطل وهي الزوجة والحبيبة و اللائمة والعاذلة والمطلقة ، وهي طيف الخيال ، والمرثوّة والمهجوّة ... وفي ضوء ذلك فإنّ حضور المرأة عند الشعراء القرشيين كان حضوراً حقيقياً ((ورمزاً في آن واحد... لأنها رمزٌ للعطاء ، والجمال ، والحياة ، والمتنفس الوحيد الذي يتكأ عليه الشاعر لإخراج ما في نفسه من ألم وقهر يبوح به في شعره)) [2] لذا وجد الشاعر في الرمز ((اشبه بالأرضية الخام التي لا تشكل باعث تأثير بذاتها قدر ما تستمد قوتها التأثيرية من مدلولاتها الرمزية التي تهيء للغرض الرئيس وترتبط معه))[3] حتى يصبح حبه لهذه الحبيبة جزءاً لا ينفصل عن دار الحبيبة كما في قول أبي قطيفة (ت70هـ) [4]: { من الخفيف }

---

(1) ينظر : الغزل عند العرب : حسان أبو رحاب : 67 .

(2) المكان في الشعر الفاطمي شعر تميم بن المعز لدين الله – انموذجاً – ضحى ثامر محمد الجبوري : 119 .

(3) رمزية الطلل والمرأة في القصيدة العربية قبل الإسلام (بحث) د. يحيى زكي عبد طه : 51 .

(4) تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر : ج46 /447 ، تاريخ المدينة لابن شبة :ج1/ 298 – 299 .

مَـــا أَرَى- إِنْ سَـــأَلْتَ - أَنَّ إِلَيْـــهِ يَـــا خَلِيلِـــي لِمَـــنْ بِحِمْـــص مَرَامَـــا
تِلْـكَ دَارُ الْحَبِيـبِ فِـي سَـالِفِ الـدَّهْرِ سَـــقَاهَا الْإِلَـــهُ رَبِّـــي الْغَمَامَـــا
زَانَهَـا اللَّـــهُ وَاسْـتَهَلَّ بِهَـا الْمُـزْنُ وَلَـــجَّ السَّـــحَابُ فِيهَـــا وَدَامَـــا
رُبَّمَـــا قَـــدْ رَأَيْـــتَ فِيهَـــا حِسَـــانًا كَالتَّمَاثِيـــلِ آنِسَـــاتٍ كِرَامَـــا
خُصَّـرَاتٍ مِـنَ الْبَهَالِيـلِ مِـنْ عَبْـدِ مَنَـــافٍ مُعَلَّقَـــاتٍ وِسَـــامَا
وَعِشَـــارًا مِـــنَ الْمَهَـــارِي رِقَاقًـــا وَعِتَاقًـــا مِـــنَ الْخُيُـــولِ صِـــيَامَا
وَإِذَا مَـــا ذَكَـــرْتُ دَهْـــرًا تَـــوَلَّى فَـاضَ دَمْعِـي عَلَـى رِدَائِـي سِـجَامَا

هذا النص الشعري كَشَفَ البعدُ المكاني عن توجه شعوري حسي من لدن الشاعر يتجه الى التجسيد والتشكيل المرئي ، مُتخذاً من خليله بحمص الوسيلة للوصول الى غايته ، والشوق الذي يظهر للمتلقي كأنه شوق لأمرأة كأنها في الحقيقية هي حبيبة الشاعر ، ولكن حينما نتمعن في سياق هذه الأبيات ، نراه قد جعل منها رمزاً يتغنى به حين يهيم شوقاً الى الدار التي تسكنها الحبيبة وهي ديار حمص التي تحتل مكانة كبيرة في قلبه ، مما جعل هذه الأبيات في حالة ارتباط كبير بين الحبيبة ومكانها ، و أسهم هذا في بلورة رؤية الشاعر للمكان عندما مزج حنينه بين الحبيبة ومكانها ، فمن أهم أحوال المحب بعد الغياب جعل روحه تهيم بذلك المكان مما يكشف عن مقدرة أدبية في وصف مكونات الطبيعة ((فالإنسان بمشاعره وعواطفه ومزاجه يأخذ من الطبيعة طقوسها وفصولها ما يساعد مشاعره وعواطفه على رسم المكان فإذا به كالفنان الذي يختار الألوان مما يساعده على تنفيذ لوحته الفنية))[1] التي كلما يتذكرها تفيض عينيه بالدموع عليها ، فيغلبها السهاد ، وبذلك احتوت دار الحبيب كل معالم العشق واظهرته بأجمل صورة ، ومن ذلك ما جاء به عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق في معرض ردّه على أخوال حبيبته

(1) جماليات المكان في الرواية العربية: شاكر النابلسي : 96.

وبيان حالها فحين يحن ويكتئب ويتألم يناديها بابنة الجودي قائلاً (ت53هـ) [1] :

{ من المديد }

يَابنَـــةَ الْجُـــودِيِّ قَلْبِـــي كَئِيـــبٌ مُسْـــتَهَامٌ عِنْـــدَها مـــا يُنيـــبُ

جَـــاوَرَتْ أَخْوَالَهَـــا حَـــيَّ عَـــكٍّ لِعَـــكٍّ مِـــنْ فُـــوَادِي نَصِـــيبٌ

ولقـــد قـــالُوا فقلـــتُ : دَعُوهَـــا إنَّ مـــن تَنْهَـــون عَنـــهُ حبيـــبُ

غصـنُ بـانٍ مـا خـلا الخصـر منهـا ثـــم مـــا أســـفل ذاك كثيـــب

إنَّمـــا أَبلـــى عِظَـــامي وجســـمي حُبُّهـــا والحُـــبُّ شَـــيءُ عَجِيـــبُ!

ويمكـن القـول أنّ الشـاعر عـرض المـرأة للتعبيـر عـن مشـاعره وحنينـه لـذلك المكـان التـي سـكنت فيـه حبيبتـه (حـي عـكٍّ) وبقـي ذلـك القلـب كئيبـاً مُسـتهاماً ، فـ(حـي عـكٍّ) هـو الأمـل الـذي يتعـادل رمزيـاً مـع المـرأة ومـا يتعلـق بـه مـن ذكريـات جميلـة تقربهـا اليـه ، فالشـاعر قـد جعـل مـن ابنـة الجـودي حبيبتـه وعشـيقته كمـا جعـل مـن (حـيَّ عـكٍّ) وطنـه وداره ، فمجـاورة أهـل الحبيـب أو أقاربـه أسـلوب مـن أسـاليب التشـويق، فقـد عمـد الشـاعر إلـى الوصـول لحيّهـا لإعطـاء الصـفات الدقيقـة لشخصـه الـذي تعـرض إلـى أقسـى أنـواع العـذاب مـن نـار الحـبِّ حتـى أدى ذلـك الحـب إلـى أن تُبلـى عظامـه وينحـلَ جسـمه مـع ذلـك يقـول دعوهـا فإنَهـا الحبيـب. وقـد يسـتأثر إحسـاس الشـاعر بالمكـان بفعـل العامـل النفسـي المتـأزم قِبـال مـا حصـل لـه مـن مواقـف يراهـا قـد تجـاوزت فـي الجـور عليـه كالنكـث للبيعـة نحـو مـا نجـده فـي قـول الحكـم بـن الوليـد بـن يزيـد (ت127هـ) وهـو فـي السـجن ، قـائلاً [2] :

{ من الوافر }

---

(1) الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى: د. مختار الغوث :515 .

(2) تاريخ الطبري (تاريخ الرسل والملوك): أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) ج311/7 .

ألاَ مـــن مُبلـــغٌ مـــروانَ عَنِّـــي وَعَمِّـــي الغَمـــرَ طـــالَ بـــذا حَنينـــا!

....

ولـــو شَـــهِدَت لُيُـــوثُ بنـــي تَمـــيمٍ لمـــا بِعنـــا تُـــراثَ بنـــي أبينـــا

أتُنكـــثُ بيعتـــي مِـــن أجـــلِ أُمِّـــي وقـــد بـــايَعتُمُ قَبلـــي هجِينَـــا؟

إنّ رمز المرأة في هذا النص جاء عن طريق توظيف لغوي مبني على توافق أسلوبي الاستفهام الاستنكاري والتعجب ، وهو بهذا الأسلوب يثير عواطف الممدوح ، يعني أنّ الشاعر يتخذها وسيلة للكشف عن محور الألم الذي أصابه وهو الظلم وما الظلم هنا إلا ولاية البيعة المسلوبة منه التي تركت في نفسه شحنات الألم والحزن لإقصائه عن الولاية ، فالشاعر لم يرد في القصيدة العتاب لذاته فالمرأة هنا ليس إلا رمزاً لنكث البيعة منه ،فهو ينعى نفسه من حرمانه للبيعة ، وإيكال أمره الى أخيه من غير أمّه وهو يرى أنه الأجدر بها ؛ وهم يرون غير ذلك كون أمُّه أمَّ ولد[1] في حين أنهم بايعوا من كان قبله هجينا ، فهذا النص جاء انعكاساً للحالة النفسية التي يعانيها الشاعر الذي أضناه الألم والحسرة ، وكأنه يستعطف ممدوحه ويستلين قلبه من أجل أن يخرجه من السجن، وربما ربما يتخذ الشاعر من المرأة الداخلة في الإسلام رمزاً للخيانة فزوجة الشاعر هبيرة بن أبي وهب المخزومي[2](أم هانيء) دخلت الإسلام وعاتبته وجارت عليه بالعتاب والهجر لذلك أرسل إليها عتاباً معولاً عليه أن تعطف عليه وتواصله قائلاً [3] : { من البسيط }

---

(1) وهي المرأة التي تلد من سيدها .

(2) كان من رجال قريش المعدودين، وكان شديد العداوة للإسلام ، ولما فتحت مكة هرب منها ، وظل على كفره حتى مات : ينظر : طبقات فحول الشعراء : ابن سلام الجمحي: ج257/1 . ولم اعثر على سنة وفاته .

(3) السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت 213هـ) : ج131/2 ، البداية والنهاية : ابن كثير القرشي الدمشقي (ت 774 هـ): ج5/ 467 .

مـا بَـالُ هـمِّ عَميـدٍ بـاتَ يُطرقُنـي ... بـالوُدِّ مـن هِنـدَ إذ تَعـدُو عَواديهـا؟

باتـت تُعـاتِبُني هِنـدٌ وَتَعـذُلُني ... وَالحـربُ قَـد شَـغَلَت عَنَّـي مَوَاليهَـا

مهـلاً فـلا تَعـذلُينِي إنَّ مِـن خُلُقـي ... مَـا قَـد عَلَمـتِ وَمَـا إن لسـتُ أُخفِيهَـا

مُسَـاعِفٌ لِبنَـي كَعـب بِمَـا كَلِفُـوا ... حَمَّـالُ عِـبءٍ وأَثقَـالٌ أُعَانيهَـا

لعلنا من البداية نشعر أن هناك شيئاً ما حدث عِبر هذا النص وأنّ علاقة الشاعر هبيرة المخزومي بالمرأة لم تكن توحي بالسعادة والهدوء النفسي ، فكأنّ الشاعر أراد بهذا أن ينبه المتلقي لما حدث في هذا الزمان والمكان (معركة أحد) ولبيان ذلك الهم الذي جاءه وهو يقاتل كاشفاً عن حزنه العميق بواسطة (ما) الاستفهامية في صدر البيت الأول حيث جعلها الشاعر وسيلة لإقامة حوار مع حبيبته التي كانت تعاتبه وتعذله وهذا العتاب يتوجع منه ويترك ألماً في نفسه ، فالشاعر جعل من المرأة زوجته وجعل منها قوّته وصلابته في المعارك ، فطاف معها بكل المعارك وأصبحت عنده رمزاً لكل الحروب ، فهذه الأبيات بشكل عام توضح لنا حالة الشاعر النفسية المتأزمة وما حلَّ به من أرق .

وفي موضعٍ أخر نجد عاصم بن عمر بن الخطاب (ت 70هـ)حينما ذهبت زوجته أم عَمَّارة الى الحج ، جعله ذلك يفقد صبره ، ولهذا راح يصف ذلك الركب يتمنى لو توقف حتى يتيح له اللحاق بها [1] : { من الطّويل }

ولمـا رأيـتُ أنَّنـي غيـرُ صـابِرٍ ... وَأَن فَـاتَنَي يَـاأَمَّ عمَّـارَةَ الرَّكـبُ

حَلَسـتُ عَلَـى وَجنَـاءَ جَلـسٍ فأدركَـتْ ... بـيَ الرَّكبَ مِردَاةُ عثَانِينُها صُهبُ(2)

علـى شرفِ البيداءِ حينَ تَطَخطَخَ الظ ... ظـلامُ وَدُونَ الشَّمسِ مِن طُخيـةٍ جُلبُ

---

(1) الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى : د. مختار الغوث: 767.

(2) والعثانين : جمع عثنون ، وهو شعيرات طويلة تحت حنك البعير: ينظر: لسان العرب : ابن منظور : ج8/8 ، ج14/ 319 ، ج13/ 276 .

ربما يُوَثق الموقف على الشاعر فَقَدَ صبره ، حينما يدرك أن تلك الديار التي خلت منها حبيبته لا تعني شيئاً من دونها ، فهو يرفض العيش فيها من دون تلك الحبيبة ، فالشاعر يودُّ أن ينقل للمتلقي ما يحسه حينما رحلت مع الركب، فهذا الركب وفرَّ للشاعر فرصة الانتقال الى حيث الماضي حيث عهده بزوجته (أم عمارة) مُتخذاً من رحيل زوجته الى حج بيت الله الحرام وسيلة للالتحاق بركب حبيبته الذاهب الى الحجاز وقد اتخذ من الركب دالة مكانية ترشده في هذا الليل المظلم الى مكان حبيبته ؛ لذلك اسهم في تغير حالته ، فمسيره معها في هذا الركب زاده ارتياحاً . ومثل ذلك قول أبي بكر بن عبد الرحمن الزهري (ت94هـ) [1] : { من الخفيف }

عَـــادَ قَلْبِـــي مِـــنَ الطَّويلـــةِ عِيـــدُ واعترانـــي مـــن حُبِّهـــا التَّســـهيدُ

مِـــن عِشـــاءٍ أُراقـــبُ الـــنَّجمَ حتَّـــى لاحَ مِـــن واضـــحِ الصَّـــباحِ عَمُـــودُ

وَلَهَـــا مـــن مَحَاسِـــنِ الظَّبيـــةِ الأدْ مَـــاءِ تَرعَـــى البرِيـــرَ عَـــينٌ وَجِيـــدُ

اتَّـــقِ اللهَ يَـــا طَويـــلَ فَـــإنَّ الـــ ـــقَلبَ رَهـــنٌ لـــدَيكُمُ مَعمُـــود

أباحت ذات الشاعر في هذه المقطوعة لنفسها أن تصور كل هذا الشوق الذي يحمله للأرض والذي يصفها بـ (الطويلة) واستعمال الإيحاءات والدلالات للتعبير عن مشاعر الحب والاشتياق لذلك المكان ، وهذا أسهم هذا في استحضار الشاعر المكان عندما مزج شوقه بين الحبيبة والأرض ،إذ ترتبط المرأة بالأرض ارتباطاً وثيقا وبذلك نقل لنا صورة مراقبته للنجم بطريقة أسلوبية درامية جعلت لهذه المقطوعة انفتاحاً واستيعاباً لِمّا ورد من صيغ كقوله (اعتراني) فضلاً على أسلوب خطاب الأمر الذي أسهم في تعزيز تجربة الذات ، ولاسيّما إنّ نداءه باسمها بعد التحذير بقوله (اتقِّ الله يا طويل) كشف

(1) جمهرة نسب قريش وأخبارها : الزبير بن بكار القرشي الزبيري ، حققه وعلق عليه د. عباس هاني الجراخ : ج315/1 .

بها عن إحساسه بأنَّ قلبه اسيرٌ عندها ، ولعل الشعر والإيحاء قد غيَّر مفهوم الصورة الى رمز الشوق والمحبَّة .

نستخلص مما تقدم أنّ رمز المرأة قد كوّن رافداً مهماً لتجربة الشاعر في الشعر القرشي ، وكان الباعث الرئيس على ذكر المرأة عندهم لكشف كوامنه النفسية من حبٍّ ، وبغض ، فبسببها عانى الشاعر الحزن والغربة ، وبذلك استطاع الشاعر القرشي عبر استدعائه المرأة أن يجعل منها مكاناً روحياً يتصل مع ذاكرته الماضية ، تاركاً صُلب زمنه الحاضر مُتخذاً من الماضي الوسيلة للتعبير عمّا في داخله.

المبحث الثالث : رمزية الحيوان

رمزية الحيوان :

من يقرأ الشعر القديم قراءة شاملة يكتشف أن الحيوان قد حظي باهتمام العرب من أقدم الأزمان ، حتى بلغ الأمر عند الشعراء الجاهليين أن يشاركوا الحيوان ، فقد كان يقاسمهم المنزل والمأكل ،وأحيانا يفضلوا الحياة مع الذئاب والوحوش على الحياة مع القبيلة [1] وبقت محاولا الشعراء تشمل حركات الحيوان وسكناته وطباعة ، فما من شاعر عربي إلا وللحيوان أثر مهم في شعره ولكنهم متفاوتون في هذا المضمار ، وكان لعلاقتهم بالحيوان (الحمام ، الغراب ، الظبي ، الذئب، الخيل ...) أثر في دقة وصفهم وملحظهم بطريقة معبرة ذات دلالات مائزة ، كشفت عن مهارته وبراعته في جودة التصوير ، معتمداً على الرمز والإيحاء ، كالنوح والحنين والغربة وغيرها ، وتتمثل أيضاً في بعض حوادث معينة رافقت اطواراً في حياة الإنسان وتمثلت كذلك في أماكن مخصوصة شهدت جانياً من الحياة ، وفي كل هذه الحالات يكون الحمام وغيره هو مبعث الاحساس والمشاعر وليست هذه الأشياء سوى وسائل للرمز اليه .

ومن النصوص التي انمازت برمزية الحيوان أبيات من قصيدة للزبير بن عبد المطلب عرض فيها بمكانة بيته من بني هاشم، قائلاً [2] : { من الوافر }

لقد علم القبائلُ أنّ بيتي تفرَّعَ في الذّوائبِ والسَّنامِ
وأنّا نحنُ أولُ من تبنَّى بمكّتها البيوتَ مع الحمامِ

(1) ينظر : ديوان الشنفري : 67 .

(2) الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ(ت255هـ) : ج3 / 96 ، ديوان الزبير بن عبد المطلب ، جمعه الحسين بن محبوب الهاشمي : 29

في هذين البيتين وظّف الزبير بن عبد المطلب مكانة بيته الذي تفرّع من بيوت بني هاشم عبر رؤيته التي تخص ما وردَ له من مشاركة بيته وتفضيله على البيوت الأُخر من غير بني هاشم فاقتربت الأفعال والضمائر بشكلٍ واضح لتفضي إلى ردة فعله ودافع تجاه البيوت الأُخر ، فالبيت الأول وإنْ تضمّن قضايا فردية مخصوصة إلاّ أنّ وجهة النظر أو الرؤيا التي عند الشاعر جاءت للتعبير عن واقع بيوت بني عبد المطلب فَهُم أول من تبنّى تلك البيوت بمكتها مع الحَمَام ، ودليل ذلك قوله (علم القبائل) وبذلك أدّى هذا الاستدعاء أثره المناسب في تعظيم (بيت الله الحرام) حيث ((أَنّه ليبلغ من تعظيم الحمام لحرمة البيت الحرام، أنّ أهل مكة يشهدون عن آخرهم أنّهم لم يروا حماما قطّ سقط على ظهر الكعبة، إلّا من علة عرضت له ، فإن كانت هذه المعرفة اكتسابا من الحَمَام ، فالحمام فوق جميع الطير وكلّ ذي أربع ، وإن كان هذا إنّما كان من طريق الإلهام، فليس ما يلهم كما لا يلهم)) [1] ، وبذلك جعل الشاعر من الحمام رمزاً لإثبات تميّز الهاشميين وتفرَّدهم في تبنيهم بيت الله الحرام .

وقد جاءت رمزية الحَمَام في خطاب محمد بن الحنفية بن الإمام علي بن أبي طالب عندما قُتِل الإمام الحسين (عليهما السلام) ومن معه في واقعة كربلاء قائلاً[2] : { من الطّويل }

---

(1) الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ) :ج3/ 194

(2) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : شمس الدين أبو المظفر المعروف بـ (سبط ابن الجوزي) (ت 654 هـ) : ج131/7 ، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت 1111هـ ج3/ 102.

سـأبكيكَ مـا ناحـت حمامـةُ أيكـةٍ وما اخْضَرَّ فـي دَوْحِ الريـاضِ قضيبُ

غريــبٌ وأَكنــافُ الحجــازِ تحوطُــهُ أَلا كــلُّ مَــنْ تحــت التــرابِ غريــبُ

إنّ التلاحم بين الزمان والمكان في هذين البيتين يوضح ملامح فاجعة كربلاء وما تحويه من شدة الفاجعة والمصيبة ، وهذا ما حصل عند محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب (عليه السلام) عندما أظهر حزنه وآلامه وكمده يوم الطف لفراق الأحبة ، وقد رسم مهاماً داخل الخطاب الشعري ساعدت على تنامي الحدث واستمراره عِبر ذلك النوح والبكاء ، ولاسيّما أن شعور الحزن والألم قد ظل مسيطراً على نفسيته ، فصوت الحمامة ينشّط لديه ملكة الاسترجاع ، إذ لا يمكن أن ينسَ فاجعة كربلاء وما جرى فيها من مظلومية وعلى وفق هذا استثمر رمزية الحمامة ليتفاعل مع غرضه والقصد منه سرمدية البكاء لآل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وتجدد الذكرى الأليمة ، فكلما ناحت حمامة الأيكة تجدد البكاء ، ومن ثمَّ فإن رمز الحيوان مهما كان نوعه ومهما كانت طريقة نوحه وبكائه يبقى في الشعر حاملاً روحية قد تخضع لاعتقاد البشر أو لا تخضع لكنها على أي حالٍ تظل معبرة عن دلالة حزينة وأليمة لواقع حقيقي في مرحلة تاريخية معروفة وقد تستجيب لدوافع نفسية وفنية بحته لما تثير من أحاسيس وكوامن عند الشعراء ولما تقدمه من مادة جديدة وطريقة للتمثيل والتصوير[1] وفي موضوعٍ آخر نجد كثير بن كثير السهمي[2] يلعَن من يسبّ علياً وحسيناً (عليهما السلام) قائلاً [3] : { من الخفيف }

(1) ينظر : الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره: د .صلاح عبد الحافظ: 93

(2) وكان شاعرا قليل الحديث ، وتوفي وليس له عقب : ولم اعثر على سنة وفاته : ينظر : سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي (ت 784هـ): ج6/ 64 .

(3) نسب قريش : لأبي عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت236هـ): 60 – 61 ، الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى: د. مختار الغوث :777

لَعــنَ اللَّـــه مـــن يَسُـــبُّ عَليًّـــا وحُسَـــيْنًا مـــن سُـــوقةٍ وَإمـــامِ
أيُســـــبُّ المطيّبـــــون جـــــدودا والكـــــرامُ الأخـــــوالِ والأعمـــــامِ
يَـــــأْمَنُ الظَّبْـــــيُ وَالْحَمَـــــامُ وَلَا يَـــأْمَنُ أَهْـــلُ النَّبِـــيِّ عِنْـــدَ الْمَقَـــامِ
طِبْـــتَ بَيْتًـــا وَطَـــابَ أَهْلُـــكَ أَهْـــلًا أَهْـــلَ بَيْـــتِ النَّبِـــيِّ وَالْإِسْـــلَامِ
رَحْمَـــــةُ اللهِ وَالسَّـــــلَامُ عَلَـــــيْكُمْ لَّمَـــــا قَـــــامَ قَـــــائِمٌ بِسَـــــلَامِ
حَفِظُـــــوا خَاتَمًـــــا وَجُـــــرْدَ رِدَاءٍ وَأَضَـــــاعُوا قَرَابَـــــةَ الْأَرْحَـــــامِ

يتحول المكان (المقام) الى رمز لدلالتين متضادتين ، هما سكن الحَمَام يمثل له الألفة لاحتواء الطمأنينة والهدوء والسكينة ، وهذه الحشائش الصغيرة والأتربة تتحول الى دفءٍ لها ولصغارها ، ذلك هو المكان الذي يشعر به الحيوان بالألفة ، فتتضح علاقة المعاداة وعدم الراحة بينه وبينهم مبيناً حجم الامتعاض الذي ينمُّ عن نفسية الشاعر تجاه الوضع السياسي المتردي في عصره ، وهذا التحول في معنى المكان من الأُلفة الى المعاداة يومئ الى واقع الحكم ، فصورة الحَمَام تكوِّن واقعاً حسياً ودليلاً على ما قصده الشاعر ، وعن أي البيوت قد تحدَّث أنّه بيت آل النبيِّ باعثاً في نفس المتلقي الحيرة واللوعة للتعرف إليه عبر ما ورد من خطاب موضوعي ، فتوَلَّدت بذلك حالة من الأمن غير متوازنة بين المكانين ، ولهذا وفق الشاعر في ((إخضاع الطبيعة لحركة النفس وحاجاتها وعندئذ يأخذ الشاعر كل الحق في تشكيل الطبيعة والتلاعب بمفرداتها وبصورها الناجزة كذلك كيفما شاء على وفق تصوراته الخاصة إذا ما رأى أنَّ ذلك هو الطريق الوحيد أو الأسلوب الأصدق في التعبير عمّا في نفسه)) [(1)] ، لذلك وظّف الشاعر الرمز بوصفه عاملاً موضوعياً لتلك الحال[(2)] .

(1) ينظر : الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) د. عز الدين إسماعيل : 126 .

(2) ينظر : الرمز الشعري عند الصوفية : د. عاطف جودة نصر : 177

يرى الباحث أنَّ الشاعر القرشي وظّف رمزية المكان التاريخي تارة بالدلالة السلبية تارة أُخرى بالدلالة الإيجابية وهذا ما وجدناه بوضوح عند ذكر (المقام) وهو مكانٌ آمن للحيوان ، فإسقاطات الشاعر النفسية وشكواه عمّا حصل لأهل البيت (عليهم السلام) منحته القدرة على استدعاء الحيوان بما يناسب لواعجه في التعبير عن مشاعره وأحاسيسه كاشفاً في الوقت نفسه المنظومة الأخلاقية والفكرية لواقع الحكم آنذاك.

وفي موضع آخر كشف لنا الشاعر عَبْدُ اللَّـهِ بْنُ الزِّبَعْرَى (ت15هـ)من صوت الغراب شعوراً بالشؤم ونذيراً للفرقة فِي يَوْمِ أُحُدٍ وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ بَعْدُ: [1] : { من الرمل {

يَـا غُـرَابَ الْبَـيْنِ[2] أَسْـمَعْتَ فَقُـلْ ... إِنَّمَـا تَنْطِـقُ شَـيْئًا قَـدْ فُعِـلْ

إِنَّ لِلْخَيْـرِ وَلِلشَّـرِّ مَـدًى ... وَكِـلَا ذَلِـكَ وَجْـهٌ وَقَبَـلْ

وَالْعَطِيَّـاتُ خِسَـاسٌ بَيْـنَهُمْ ... وَسَـوَاءٌ قَبْـرُ مُثْـرٍ وَمُقِـلْ

كُـلُّ عَـيْشٍ وَنَعِـيمٍ زَائِـلٌ ... وَبَنَـاتُ الـدَّهْرِ يَلْعَـبْنَ بِكُـلّ

يجعل ابن الزبعرى الشؤم مقصوراً على الغراب ؛ لأنه يتشاءم به بوصفه نذير للفرقة ، ولما يتمتع به من نذير شؤم ، وإنَّ شدِّة الصدمة وحرارة الانفعال الصادمة الغارقة في الحزن واللوعة ، ولا سيّما إنّ المشركين من قريش قتلوا عدداً من المسلمين القرشيين

---

(1) شعر عبد الله بن الزبعرى : د. يحيى الجبوري: 41 .

(2)، فقد رأى العرب قديما إنّ هذا الاسم لحق الغراب؛ لأن الغراب إذا بان أهلُ الدَّار للنُّجْعة وقَع في موضع بيوتهم يتلمس ويتقمم، فتشاءموا به، وتطيروا منه، إذ كان لا يعترى منازلهم إلاّ إذا بانوا، فسمّوه غراب البين، ومن أجل تشاؤمهم بالغراب، اشتقوا من اسمه الغُرْبَة والاغتراب والغَرِيب، وليس في الأرض بَاوِح، ولا نَطِيح، ولا قَعِيد، ولا أَعْضَب، ولا شيء مما يتشاءمون به إلا والغُرَابُ عندهم أنكَدُ منه، ويرون أن صياحه أكثر أخباراً، وأن الزجر فيه أعمُّ . ينظر : مجمع الأمثال : أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري (ت 518هـ):1/ 383-285.

وكذا خلاف ذلك في أُحد ، وهذا مثير للألم ، فالشاعر في حالة أسى عميق لا يستطيع التعبير عن هذا إلاّ بنذير الشؤم ، فأوكل هذه المهمة لهذا الغراب (غراب البين) ليجد في نعيقه وصوته مصدراً للفرقة يشعره بعدم الراحة والاطمئنان ((فابن الزبعرى يذكر غراب البين والموت وزوال كل نعيم ومصائب الدهر التي تذهب بالسعادة، ولكن هذا الاستهلال الحزين لقصيدة فخر يعبر عن تجربة انفعالية صادقة، وينسجم مع ما يجول في نفس الشاعر، وفي نفوس المشركين ، ينسجم مع الألم العميق الذي يحز في تلك النفوس لمقتل ساداتهم في بدر وكان لايزال يعتمل في الصدور ولم تقدر فرحة الانتصار في أحد على طمس آثاره)) [1] فهذه اللحظات تُعيده الى زمن ماضٍ يستذكر امجاده وامجاد قومه ويشعر فيه بالنشوة فيوظف له (غراب البين) ليقدم معها حواراً يجسد فيها حالته النفسية ؛ لأنه يعلم أن كل عيش ونعيم زائل فهذه النهاية الحتمية .

ويبدو أنّ الشاعر أبا دهبل الجمحي (ت63 هـ) حاول إسقاط ما في نفسه على الغراب عن طريق التحاور معه لغرض إيصال فكرته التي أراد الوصول اليها والتعبير عنها بإسلوب حواري هادئ كاشفاً عن أفعال الأمويين وما انطوت عليه سرائرهم وسياستهم، إذ يقول[2] : { من الطّويل }

أصات غرابُ البين فيهم فأصبحت ... من الشجو لا تأوي العمارة بومُها

فقصر فما طول الكلام ببالغ ... مداها رمى بالعي عنها كليمُها

فما حملت أم الرزايا بمثلها ... وإن ولدت في الدهر فهي عقيمُها

فالغراب وإنْ كثر نعيقه لا يكفي حزناً لما جرى على أهل البيت(عليهم السلام) في واقعة كربلاء ، فهذا الحدث أدّى الى انفعال الشاعر مؤججاً في داخله الانكسار ، ولاسيّما إنَّ محور الحدث قد أخذ من أحاسيسه حيزاً كبيراً حيث توالت خيبة الأمل التي بسطت

(1) شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام : د. فاروق أحمد اسليم : : 181

(2) ديوان أبي دهبل الجمحي :89.

ظلّها عليه بكل أعبائها، ولا شكَّ أن صيحات الثأر تعالت في شعره انتقامًا من السلطة الحاكمة ، وردا انفعاليا لما كان يعانيه أهل البيت (عليهم السلام) من ظلم ، فكان تحديه واضحا وموقفه حاداً يعبِّر عن الحب والوفاء عِر نفوس مملوءة بالثورات الداخلية التي بينها الشاعر عبر أداة النفي دلالة على عدم الرضا بالواقع[1] ، ومن ثَمَّ استعماله فنَّ الاستعارة في البيت الأخير فأنتجت عناية وتناغماً فاعلاً في النص كشخصية رامزة [2] ، ويبدو أنّ إشارة الشاعر إلى مثل هذا الموضوع كانت واضحة للدلالة على القُرب الروحي والوجداني القائم بين الشاعر وأهل البيت (عليهم السلام) ، مُستثمراً رمزية غراب البَين ؛لأنَّ ((سماع صوت الغراب يحرك خيال المتلقي لتتوارد عليه الخواطر ، وتتداعى إلى ذهنه الصور ، ذلك أنَّ هذا الصوت بارتباطه بالتشاؤم والفراق ، يولّد في ذهن المتلقي صوراً تترك في نفسه الحزن والتطيّر...وقد حاول الشاعر لتكون الصورة سمعية بقصد المبالغة في هذا الوصف بإضافة رمز آخر من رموز التشاؤم ، وهو البوم ، الذي يتطيّر منه السامع عادة ، لأن صوته يبعث على الضيق والانحباس ، والشاعر أتى برمزيه هنا للدلالة على الديار التي هجرها أهلها)) [3] ولما للرمز من قدرة على جعل الصوت يثير جملة من الانفعالات القوية زادت من تواشج المعنى الذي أراده الشاعر ، ولكن نجد بعضهم اتخذ من الحيوان (الغراب) بعداً مغايراً فنراه حين يسمع صوت الغراب يشعر بالتفاؤل والبشرى ، نحو قول الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات (ت75هـ) [4] :

{ من مجزوء الخفيف }

---

(1) ينظر: الأثر السياسي في شعر أبي دهبل الجمحي: محمد دوابشة :242 – 243.

(2) ينظر : البنى والدلالات في لغة القصص القرانية (دراسة فنية) د. عماد عبد يحي : 353.

(3) حركة الشعر في ثورة التوابين وإمارة المختار الثقفي : د. حسن حبيب الكريطي : 321 .

(4) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات 67 –68 .

بَشَّـــر الظَّبـــيُ وَالغُـــرابُ بسُـــعدَى مرحبًـــا بالَّـــذي يَقُـــولُ الغُـــرَابُ

قـــالَ لـــي إنَّ خيـــرَ سُـــعدى قريـــبٌ قـــدْ أنّـــى أنْ يكـــونَ منـــهُ اقتـــرابُ

قلـــتُ أنَّـــى تكـــونُ ســـعدى قريبـــاً وعليهـــا الحصـــونُ والأبـــوابُ

حبَّـــذا الـــرِّيمُ والوشـــاحانِ والقصـــ ـــرُ الَّـــذي لا تنالـــهُ الأســـبابُ

لعـلّ شـعور التفـاؤل والفـرح سـيطر علـى نفـس الشـاعر حينمـا سـمع صـوت الغُـراب ، إذ بشـر [1] بـ(سـعدى) فيقـول مرحبـاً بالـذي يقولـه ، فنَشُـطت لديـه ملكـة الاسـترجاع ،إذ لـم ينسَ أنَّ سـعدى هـي محجـوزة مـن ضـمن الحصـون ومُغلّقـة عليهـا الأبـواب ، وعلـى هـذا المركـوز الـذهني اسـتثمر ذلـك التبشـير ليكـون إرهاصـة لحـدثٍ بشّـر بـه الغـراب ، فاسـتطاع الشـاعر بـذلك أن يحـاكي العـالم الخـارجي لبيـان مـا فـي داخلـه مـن شـوق وحنـين بطريقـة فنيـة وشـعورية معتمـداً فـي ذلـك علـى الاسـتفهام الاسـتنكاري ، ولعلـه اسـتوحى هـذا المعنـى مـن الـنص القرآنـي [2] وإن الصـورة كانـت غيـر بعيـدة ولا تحتـاج الـى تأويـل أو تـدقيق ؛ لأنّهـا قامـت علـى تجربـة قـد عاشـها الشـاعر نطقـت بنفسـها عاطفـة ونطقـاً وشـعوراً مـن قبـل أنْ تكـون ألفاظـاً وأبياتـاً وصـوراً ، فضـلاً علـى الأثـر النفسـي الـذي تركـه صـوت الغـراب فـي الشـاعر، فَـ(سـعدى) قريبـة مـن الشـاعر إلاّ انـه لا يـرى فـي قربهـا نفعـاً، او سـبيلا لوصـالها مادامـت تحجبهـا عنـه تلـك الحصـون المنيعـة. فجعـل مـن الحيـوان بشـرى جميلـة يخاطـب بهـا حبيبتـه سـعدى فسـعدى رمـز للحـب والعطـاء وهـذا الخيـر لا يبشـر بـه إلاّ الغـراب ، وهـذا الأمـر ينقلنـا إلـى أمـر مهـم ، وهـو انتقـال دلالـة المكـان

---

(1) الغراب : طائر اسود يتشاءمون به وذكر الجاحظ أن الغراب يكون بشير خير أو نذير شر: الحيوان: لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت255هـ): 3/ 445 .

(2) (أنى) والمقصود (من أين) جاء في كتاب الله (عزّ وجل) { قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا } سورة مريم : 20 ، وكذلك { قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ } سورة آل عمران : 47.

(الحصـون) مـن مكـان يثيـر الألـم والفـراق الـى مكـان يثيـر فـي الـنفس البشـرى والسعادة ، فالغراب أصبح رمزاً وعلامة لخروج حبيبته من تلك الحُصُون المنيعة.

ويسـتدعي معاويـة بـن أبـي سـفيان رمزيـة الحيـوان جـاعلاً منهـا رمـزاً للسـخرية حينمـا قـام بـعزل مـروان بـن الحكـم عـن الحجـاز ، وولـي سـعيد بـن العـاص، فغضـب مـروان، وقـدم علـى معاويـة، وتلاحيـا، ثـم أسـمع مـروان معاويـة مـا يكـره، وقـال لـه مفاخرا ومهددا: إني لأبي عشرة، وأخي عشرة، وعم عشرة [1] :

فـــإنْ أَكُ فـــي شـــرارِكُم قلـــيلاً فـــإنّي فـــي خيـــاركُم كثيـــرُ

بُغـــاث الطّيْـــر أكثرهـــا فِراخـــاً وأمُّ الصّـــقْرِ مِقْـــلاتٌ نَـــزُورُ

اسـتعان الشـاعر فـي بيتـه الثـاني برمزيـة الحيـوان ليجعلـه دلـيلاً وحجـة فـي إيصـال مـا يصـبوا إليـه، فالشـاعر أراد مـن بغـاث الطيـر أن تكثـروا بضـعافها وسـفلتها فإنـا سـنكتفي بالقليـل مـن الأولاد أي بمعنـى أنّ هـؤلاء مـا كـان ينبغـي لهـم أنْ يصـلوا إلـى الحكـم، وهـو مـا كشـف عـن قدرتـه الفنيـة وتمكنـه مـن اسـتخدام رمـز الحيـوان ، فضـلاً علـى سـعة اطلاعـه . ويلجـأ الشـاعر ايضـاً فـي موضـع آخـر إلـى رمزيـة الحيـوان (حيـة صـماء) ليحمّلـه المعطيـات التـي آلـت الـى إظهـار عيـوب بنـي أميـة الماضـية علـى لسـان عقيـل بـن أبـي طالـب فسَـرت أقوالـه بـين النـاس حتـى دعـا معاويـة عمـرو بـن العـاص ، فقـال : ويحـك ، يـا عمـرو ، هـذا الـذي زعمـت أنـه أهوج بني عبد المطلب ! ثم أنشد معاوية الأبيات قائلاً [2] : { من الوافر }

(1) ديوان معاوية بن أبي سفيان: 130.

(2) المصدر نفسه : 111 – 112.

أَلا يـــا عمـــرو عمـــرو قَبيـــلِ سَـــهْمٍ لقـــد أخطـــأتَ رأيـــكَ فـــي عَقيـــلِ[1]

بُليـــــتَ بِحَيّـــــةٍ صَـــــمّاءَ باتَـــــتْ تَلَفّـــتُ أيـــنَ مُلْـــتَمَسُ القبيـــلِ

بِعَـــيْنٍ تَنْفُـــذُ البيـــداءَ لحظـــاً ونـــابٍ غيـــرِ موصـــولٍ كليـــلِ

وقـــد كانـــتْ تُرَجِّمُـــهُ قـــريشٌ علـــى عَميـــاءَ مِـــنْ قـــالٍ وقيـــلِ

أَلا للهِ درُّ أبـــــــــي يَزيـــــــــدٍ لِهَـــرْجِ الأَمْـــرِ والخَطْـــبِ الجليـــلِ

فمـــا خاصَـــمْتُ مِثْلَـــكَ مـــن خصِـــيمٍ ولا حاولـــتَ مِثْلَـــكَ مِـــنْ حَويـــلِ

أتـــــاني زائـــــراً ورأى عَلِيّـــــا قَليـــلَ المـــالِ مُنْقَطِـــعَ الخَليـــلِ

فقيـــل لـــه :معاويـــةُ بـــنُ حـــربٍ فمـــالَ أبـــو يزيـــدَ إلـــى مُميـــلِ

فأَجْزَلـــتُ العطـــاء لـــه ودَبّـــتْ عَقَارِبُـــهُ لِسَـــالِفَةِ الـــدّخولِ

استعان معاوية بن أبي سفيان في بيته الثاني في هذه النص الشعري برمزية الحيوان الذي تقدَّم ذكرها ليجعلها دليلاً وحجة في إيصال طروحاته لعمر بن العاص التي أرادها حينما أشار الى معاوية ((عندك عقيل بن أبي طالب ، ثم اجتمع الناس عند معاوية ، ودخل عليه عقيل ، فجرى بين الرجلين حوار ، نال فيه عقيل من معاوية ، ثم قال معاوية لعقيل : الحق بأهلك ، حسبنا ما لقينا من أخيك : فقال له عقيل : أما – والله – لقد تركت مع علي الدين والسابقة ، وأقبلت إلى دنياك ، فما أصبت دينه ، ولا نلت من دنياك طائلاً))[2] وبيان حاله بعد ما فعله عقيل بن أبي طالب أي بمعنى أن عقيلاً كان ذكياً فطناً ولا يمكن للمال أنْ يُغيره .

---

(1) عمرو هو عمرو بن العاص السهمي القرشي.

(2) ديوان معاوية بن أبي سفيان : 111 .

وفي قصيدة ضرار بن الخطاب الفهري(ت13هـ) حاول بها إظهار ما للخيل من أثر واضح في المعارك قائلاً [1] : { من البسيط }

القــومُ أعلــمُ لَــوْلَا مُقْــدَمِي فَرَسِــي ... إذْ جَالَـتْ الْخَيْـلُ بَـيْنَ الْجِـزْعِ وَالْقَـاعِ

مَـا زَالَ مِنّـا بِجَنْـبِ الْجَـرَّ مِـنْ أُحُـدٍ ... أَصْـوَاتُ هَـامٍ تَزَقّـى أَمْرُهَـا شَـاعِي

وَفَـارِسٌ قَـدْ أَصَـابَ السَّـيْفُ مَفْرِقَـهُ ... أَفْــلَاقُ هَامَتِــهِ كَقــرْوَةِ الرَّاعِــي

إنِّــي وَجَــدُّكَ لَا أَنْفَــكَ مُنْتَطِقًــا ... بِصَـارِمٍ مِثْـلَ لَـوْنِ الْمِلْـحِ قَطَّـاعِ

تختلف صورة الحيوان (الخيل) ورمزيته من شاعر إلى آخر باختلاف الحالات النفسية ، فإن الشعور بالحماس تجاه المعركة لآثارها السريعة وموقفها الإيجابي ، جعل الشاعر يرسم لها صورة من واقع المعركة لها حيثية لمرجعية قرآنية ذات دلالة صريحة وواضحة مقتبسة من قوله تعالى { عَلَى شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارَ بِهِ فِي نَارِ } [2] ، فكان تلك الآية الكريمة دليلاً على ما قصده الشاعر، فلولا إقدامي بفرسي ما زال من قومنا قتلى بجوار جبل أحد [3] ، فتخلّق من ذلك حالة من التوازن بين مكان الحرب وأدواته المتكوِّنة في اللغة وما يُمكن أنْ تتجلى في الواقع من مشاهدة مكانية ، ومكان الحرب إنما يعكس حقيقة الشخصية [4] ، فمعركة أُحُد بوصفها واحدة من الوقائع الحربية المهمة في تاريخ المسلمين ومشركي قريش.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أنَّ مكان الخيل التي تشارك في المعارك هو مكان غير أليف (معادٍ) فيما يخصّ الخيل مما يجعل شعوره في داخل المعركة يتَّسم بالعدائية

---

(1) ديوان ضرار بن الخطاب الفهري : 68 – 69 .

(2) سورة التوبة : من الآية : 109 .

(3) ينظر : ديوان ضرار بن خطاب الفهري : 68 .

(4) ينظر : جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، محبوبة محمدي محمد آبادي : 149 .

نتيجة عدم تقبل الخيل تلك الضغوط التي يسلِّطها ذلك المكان التي تكثر فيه الدماء ، والقتل ، والآت الحرب ... مما يجعل الخيل مرغماً على الهروب من أجل الدفاع عن نفسه ، لذا اتخذ منها رمزاً للهرب من القتل أو الانتصار.

وفي نصٍ آخر ولربَّما يكون مصداقاً لِمَا ذُكر آنفاً من رمزية الحيوان مع معادة المكان ، ومنها قول الفضل بن العباس اللهبي (ت96هـ) قائلاً [1] : { من الطويل }

أتطلب ثأرا لست مِنْهُ وَلا لَهُ ... وأين ابن ذكوان الصفوري من عَمْرو!
كما اتصلت بنت الحمار بأمها ... وتنسى أباها إذ تُسامي أولي الفخر
أَلا إن خير الناس بعد مُحَمَّد ... وصي النَّبِيّ المصطفى عِنْدَ ذي الذكر
وأول من صلى وصنو نبيه ... وأول من أردى الغواة لدى بدر
فلو رأت الأنصار ظلم ابن عمكم ... لكانوا لَهُ من ظلمه حاضري النصر
كفى ذاك عيبا أن يشيروا بقتله ... وأن يسلموه للأحابيش من مصر

وقد يكون الغرض مثلاً يُفيد منه الشاعر ليتفاعل مع غرضه والقصد منه النصح والتوجيه ، ويبدو هذا واضحاً أنّ النبرة الاستفهامية الآمرة التي أجاب بها الفضل بن العباس اللهبي الوليد بن عقبة[2] على أبيات له يرثي بها عثمان ويحرِّض على مخالفة الإمام علي (عليه السلام) في هذا النص ((تضمن فعلاً وردّ فعل ودافعاً واستجابة ... وإداء بمعلومات ... وشخصيات تفصح عن خواصها))[3] الذاتية ، فالشاعر سخر قدرة الاستفهام الانشائية لإثارة المتلقي وشدِّة الى الحدث كاشفاً لنا بعض جوانب هذه الشخصية المغترة ، وربطها بـ

(1) ديوان الفضل بن العباس اللهبي : 27 –28 ، الصفوري : نسبة الى صفورية إحدى قرى الشام.
(2) والوليد : هو ابن عقبة بن أبي معيط بن أبي عمرو . واسمه ذكوان بن أمية بن عبد شمس ، وقد ذكر بعض النسابين أن ذكوان كان مولى لأمية بن عبد شمس ، فتبناه وكناه أبا عمرو ، فبنوه موال وليس من بني أمية . ينظر : الديوان :28 .
(3) الدراما بين النظرية والتطبيق : حسن رامز محمد رضا : 425.

(ببنت الحمار) للتنكيل به والحط من شأنه عبر تصويره للموقف المعادي للإمام علي (عليه السلام) ، وكأن الشاعر عن طريق هذا التصوير المعبر عن ذلك يريد أن نعِيَ ما يقول، ولكي تكون درجة الوعي أعمق فإنّه جسّد لنا تلك المعاني عِبر رمز الحمار محاولاً في ذلك بيان أسباب ذلك الفعل أو الوصول الى نتيجة ما ، ولكن لا أسباب لما نتج من فعل بحق أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) إلا الحقد الدفين والضلالة لِما هو حق ، متجاوزاً بعد ذلك في البيت الأخير انذار هؤلاء القوم وبشكل مباشر مُبيناً دناءة ما يخططون لفعله.

يتضح مما ذُكر آنفاً أنَّ الشاعر جعل من تلك الوقائع التي كُشفت عن طريق الخيل والحمير أداةً للتعبير عن صورة المكان الذي اكتسب خصائصه من أحاسيس الشاعر ، فالأحاسيس هي التي توظّف المكان وتجعله يكتسب دلالات مختلفة .

وربما تجعل الظروف الصعبة سواء أكانت (اقتصادية اجتماعية سياسية ...) لقبيلة ما تشعر بالسأم فتترك قبيلة قريش وتبتعد عنها أم خلاف ذلك حينما تودع قريش البلاد فإن هذه الأحياء التي كانت تحت حمايتها ورعايتها تصبح من دون حماية ، ومن ثمَّ نجد الشاعر يرسم صورة مؤلمة لهذه القبائل فتصبح ذليلة مذمومة ، ومن أجل أن تصل هذه المذمة الى المتلقي بصورة أسرع وتترك فيهم أثراً أقوى ، ويرسم الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات لهم صورة الأغنام التي غاب عنها راعيها وأصبحت فريسة سهلة للذئاب ، كما في قول [1]:

{ من الخفيف }

(1) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : 43

إِن تُــوَدِّع مِــنَ الــبِلادِ قُــرَيشٌ لا يَكُــن بَعــدَهُم لِحَــيٍّ بَقــاءُ

لَــو تُقَفّــي وَتَتــرُكُ النــاسَ كــانوا غَـنَمَ الـذِئبِ غـابَ عَنهـا الرِعـاءُ

لخّص الشاعر في البيت الثاني عظمة قريش إذ أصبحت وسيلة من وسائل التوازن بينها وبين الأحياء القريبة منها ، وفي ذلك المكان أُلفة وعداوة فهو أليف في حالة وجودها بين هذه الأحياء وعدوا حينما تبعد عن هذا المكان كالأغنام التي غاب عنها راعيها ، فالحيوان ما هو إلا إشارة رمزية الى خلود فضائل قريش وهي كنواة رحم في ذاكرة الشاعر ، قد استطاع الشاعر عبر ما رسمه من وصف تلك الأحياء وحالها من دون قبيلة قريش، فغَنَمُ الذِئبِ ما هو إلاّ انعكاس لقبيلته وما تسقطه هذه القبيلة على الأماكن الأخرى التي تحيط بقبيلة قريش من استباق الأحداث ولربما أراد الشاعر الوصول الى هذه النتيجة، فبقاء القبائل الأُخر مرهون بوجود قبيلة قريش .

حرص شعراء قريش على استحضار رموز الحيوان وتوظيفها توظيفاً مُجاوزاً لطرائق التعبير المألوفة بوصفها ميداناً رحباً لتلبية حاجات روحية وعقلية مُستلهمة من واقعه المعاش ، ولا سيّما إنّ بعض الحيوان ذات علاقة مع الانسان ولها ابعادٌ متعددة ، نابعة من تجربته الآنية معها ، فمن هنا كان استحضار الحيوان إحدى الوسائل التعبيرية التي لجأ اليها الشعراء ، وأصبحت رموزاً حاضرة في أفق الشاعر حضوراً مؤكداً سواء في القصيدة العربية قبل الإسلام او بعد مجيء الإسلام فرمزية الاطلال والمرأة والحيوان كوّنت رموزاً مكانية للقصيدة الجاهلية كما هو الحال في القصيدة الإسلامية .

في نهاية المطاف نستشف أن شعراء قريش قد استعملوا رمزية المكان في شعرهم ، فكانت خير مُعين لهم للتعبير عمّا يدور في وعيهم ومقدار تأثير ذلك فيهم ، حيث كانوا يحرصون على أن يذكروا بعض الأماكن وإن لم يزوروها ، وهنالك اماكن لم يفصح عنها الشاعر بل رمز إليها بمدلولات أُخر كدلالة(الطلل) وإنّ رمزية الطلل كانت أكثر محركاً

لقريحة الشاعر بوصفه رمزاً مُهيمنا على الرموز الأُخر فاحتلت الأطلال مساحة من شعرهم تخطّت ظاهرة الحجارة والربع والطلوع الى الماضي السعيد حيث المكان الذي يفيض بالذكرى والشوق للأهل والأحبة ، وكذلك دلالة المرأة إذ مثلت المرأة جزءاً من المكان وسبباً من اسباب وجودها فيه ، وهذا أسهم في تكوين رؤية الشاعر للمكان عندما مزج شوقه بين الحبيبة والأرض التي سكنتها فحملت رمزا للاستقرار ، وكذلك رمزاً للهروب من الواقع (الخير) والدخول في الشرِّ حينما عشق حليلة غيره ، ولاسيّما وإنّه دعا على زوجها بالموت لإرواء غلة في نفسه من الرجل ، وإنّه اتخذ منها رمزاً للتقديس ولكل من ينتمي إليها .

أما فيما يخص رمزية الحيوان فإن شعراء قريش لم يقفوا عند طورٍ محدّد في رمزية الحيوان ، فنجد الشاعر القرشي يصف الحَمَام والغراب ، والظبي ، والخيل ، والحمار والأغنام ، والذئب ، فكانت التشكيلة الوصفية للحيوان تحقق أغراضاً وظيفية متعددة ، تخدم الغاية الشعرية التي يسعى إليها الشاعر القرشي لتحقيقها، وكذلك استطاع الشاعر القرشي أن يُوثق جزءاً من سلوك بعض الحيوانات ، ويرسمونها في لوحاتهم الشعرية بطريقة إيحائية تترجم على أنها محاكاة لأفعال إنسانية تجمع بين الخوف والأمان ، ويحشّد مجموعة من المعوقات والصعوبات التي تتحقق هذا الأمان فواقع الحكم يعيق هذا الأمان ، كالحمام الذي يبيت بمكة والمقام ليكون جزءاً من التعبير عن منظومة المعاناة والوجع التي يقاومها أهل البيت (عليهم السلام) بالصبر وانتظار الفرج ، فالغراب، لم يعد حضوره مرتبطاً بالنذير الشؤم فحسب ، واحياناً يتخذه الشعراء نذير التبشير بالخير وذلك لخروج حبيبته من الحصون المنيعة ، فصوته بشارة الخير والتفاؤل بلقاء المحبوبة بوقت قريب، والحمار جعلها رمزاً يعبِّر بوساطته عن سيرورة السلوك الإنساني فأفعال سلوك(بنت الحمار) بتركها أبيها ولحاقها بوالدتها ، هو نكران ذاك الأب ، وأما غنم الذئب فنجده يطور دلالة الذئب لتصبح رمزاً موحيّاً بكل ما هو سلبي للأحياء والقبائل

القريبة من قريش فعند ابتعادهم منها يصبحون في مصدر خوف وقلق ليدلّ على حاجة القبائل الأُخر لقبيلة قريش ، والخيل حينما تجسِّد قوتها وصبرها في ساحات القتال في الكر والفرِّ ، لذا كانت التشكيلة الرمزية للحيوان التي ربط بها شعراء قريش في شعرهم بين أوصاف بعض الحيوانات والأمكنة تحقق دلالات رمزية متعددة تخدم الغاية الشعرية التي يسعى إليها الشاعر القرشي.

الفصل الرابع : موقف الشاعر القرشي من المكان

المبحث الأوّل : المكان الملاذ

مما لا شكَّ فيه أنّ للمكان الملاذ تأثيراً كبيراً على حياة الإنسان ، إذ يفضي إلى إحساسٍ ما يُشعر بالأمان وإحساساً بالطمأنينة ، فبدونه يصبح الإنسان خائفاً ، ولا يقتصر المكان الملاذ على مكان محدد فالمكان الملاذ متعدد ومتنوع ، ولا غرو من أن تتقارب أشكال المكان الملاذ عند شعراء قريش ما قبل الإسلام وما بعده ، فشعراء قريش حالهم حال الشعراء الآخرين الذين خاضوا تجربة المكان عن طريق ترحالهم من مكان إلى آخر فضلاً عن الحروب التي حدثت في العصر الإسلامي والأموي .

وفي شعر شعراء قريش نجد المكان الآمن أو الملاذ قد اكتسب أهميته ودلالته ، نتيجة ظروف تخصّ الشعراء تعرضوا لها مُجسدة في داخلهم إحساساً بالأمن والطمأنينة وإظهار حقيقة ذاته ، لذا يعنى في هذا المحور دراسة المكان الملاذ الذي أشاروا اليه الشعراء الذي جسد في داخلهم أحاسيس الأمن من القتل ومن الجوع والعطش ومن الرقاب ومن الخوف من الوعيد والارتياح وغيرها والتعرف على ردود أفعالهم ، ومثل ذلك قول عبد الله بن الزّبعرى (ت 15هـ) حينما ينادي بالرجل المحوّل رحله أن ينزل بآلِ عبد مناف قائلاً [1] : { من الكامل }

(1) شعر عبد الله بن الزبعرى:54.

يـــا أَيُّهـــا الرَجُـــلُ المُحَـــوِّلِ رَحلَـــهُ هَـــلّا نَزَلـــتَ بِـــآلِ عَبـــدِ مَنـــافِ

الآخِـــذونَ العَهـــدَ مـــن آفاقِهـــا وَالراحِلـــــونَ بِرحلَـــــةِ الإيـــــلافِ

وَالخـــــالِطونَ فَقيـــــرَهُم بِغَنِـــيِّهم حَتّـــى يَعـــودَ فَقيـــرُهُم كَالكـــافي

وَالمُطعِمـــونَ إِذا الريـــاحُ تَنَاوحَـــت وَرِجـــالُ مَكَّـــةَ مِســـنِتونَ عِجـــافُ

وَالمُفضِـــلونَ إِذا الريـــاحُ تَنَاوَحَـــت وَالقـــــائِلونَ هَلُـــــمَّ لِلأَضـــــيافِ

هَبَلَتـــكَ أُمُّـــكَ لَـــو نَزَلَـــت بِـــرحلِهِم مَنَعـــوكَ مِـــن عُـــدمٍ وَمِـــن إِقـــرافِ

وَيُكَلِلـــــونَ جِفـــــانَهُم بِسَـــــديفِهِم حَتّـــى تَغيـــبَ الشَـــمسُ فـــي الرِجّـــافِ

الشاعر في النص الشعري زاوج بين المكان واللائذ به ، فنظرة الشاعر عبد الله بن الزبعرى إلى المكان بألفة إنما كانت لآل عبد مناف الذين ذكرهم بالنص فهؤلاء هم أهل السيادة والنصرة للمظلوم ، فوجد الشاعر في إسلوب النداء متنفساً له لمخاطبة الأشخاص الذين هم بأمس الحاجة للمساعدة، ويلتمسهم بأن يحوّلوا رحالهم إليهم، وهنا تكمن براعة الشاعر في اضفاء أحاسيسه على ذلك المكان الذي يشعر معه بالانتماء والتوحد ومن ثمَّ فإنَّ هذه البيوت تعالج الحزن بالفرح ، والهم بالأمل ، وتعالج الكراهية بالحب ، والصداقة ، والخوف بالشجاعة ، والثقة ، وتهدئ الشك باليقين ، والاعتقاد الراسخ بأنّ لا يدانيهم أحد ، لذلك اندرج البيت الأخير في سياق هذه الدلالة .

وبهذه الطريقة الجميلة جعل من المكان أحد العوامل إن لم يكن أكثرها احتواءً لمضامين التجربة الشعرية المرتبطة بالنفس ؛ لذلك لا يظهر المكان في الشعر شيئاً معزولاً ، أو تكويناً مجرداً ، أو بناءً أجوفاً ، إنما يظهر لكونه ممارسة ونشاطاً انسانيين مرتبطين بالفعل البشري ، ويحمل من بين ما يحمله مواقف وعواطف وخلجات ومشاعر وانفعالات الكائن الإنساني ، الذي يتعامل معه كجزء لا يتجزأ من واقعه الإنساني والثقافي، ويتخذه محورًا لتعبيره عن الأفكار والمشاعر والتجارب البشرية بكل تفاصيلها الصغيرة والكبيرة المعلنة

والمختفية الواقعية والمتخيلة والممكنة للإنسان عبر تاريخه العام والخاص [1] وبفضل هذه الرؤية الشاعرية يصبح المكان عنصرًا حيويًا في الشعر يساهم في خلق صورة شاملة للإنسان وعالمه المحيط .

من الطبيعي أن يعاني الانسان الخائف من الرقباء والوشاة أن يبحث عن مكان آمن ، فالإنسان بطبعه ميال إلى الطمأنينة والاستقرار، وهذا ما يجعل المكان الملاذ يأخذ قيمة كبرى من الشخص اللائذ به ، وهذا عمر بن ابي ربيعة (ت93هـ) تلوذ به صاحبته بين نخيلات خشية الرقباء في قوله [2] : { من الطويل }

تَصابي وَما بَعضُ التَصابي بِطائِلِ وَعاوَدَ مِن هِندٍ جَوى غَيرُ زائِلِ
كَما نُكِسَت هَيماءُ أُحدِثَ رَدعُها بِمُستَنقَعٍ أَعراضُهُ لِلهَوامِلِ
عَشِيَّةَ قالَت صَدَّعَت غُربَةُ النَوى فَما مِن لِقاءٍ بَينَنا دونَ قابِلِ
وما أَنسَ مِلاَّ شَياءِ لا أَنسَ مَجلِساً لَنا مَرَّةً مِنها بِقَرنِ المَنازِلِ
بِنَخلَةَ بَينَ النَخلَتَينِ تُكِنُّنا مِنَ العَينِ خَوفَ العَينِ بُردَ المَراجِلِ

إنَّ ما حصل في النخيلات كان بمنزلة إعلان مخصوص لإيجاد مكانٍ للإلتقاء فما كان بينه وبين الحبيبة من شدّة اشتياق ، حافزٌ له يتخطى به كل المعرقلات وصولاً إلى النخيلات القريبة من المنازل ، فالقصة وما فيها من مغامرة عاطفية مثلت لنا لحظة شعورية ((لا تقل خطورة على صاحبها من حاجات الطريد ، فقد تؤدي مغامرة عاطفية بحياة صاحبها حين الظفر به ، ولذا فإن المكان الملاذ يأخذ قيمة عالية في نفس اللائذ به))[3] ولم يقف الشاعر

(1) ينظر: إشكالية المكان في النص الأدبي : ياسين النصير:393-394
(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة : 273 .
(3) المكان في الشعر الأموي : جميل بدوي حمد الزهري : أطروحة دكتوراه : 70 .

عمر بن أبي ربيعة عند هذا الحد من البحث عن المكان الآمن ، بل يذهب إلى مكان أكثر أمنا ، فنراه يلوذ خلف البئر بعيداً عن أعين الناس خشية مقالة الواشي ، قائلاً [1] : { من الكامل }

نَزَلَت بِمَكَّةَ مِن قَبائِلِ نَوفَلِ وَنَزَلتُ خَلفَ البِئرِ أَبعَدَ مَنزِلِ

حَذَراً عَلَيها مِن مَقالَةِ كاشِحٍ ذَرِبِ اللِسانِ يَقولُ ما لَم تَفعَلِ

إنَّ الموقف أو الجو النفسي الذي أراد عمر بن أبي ربيعة أن يصوره في هذين البيتين هو أن الظروف المحيطة به والمتمثلة بالرقباء والوشاة والحساد كانت تمنعه من اللقاء مع الحبيبة ، التي كانت – في الوقت نفسه – سبباً لأن يصف عذابه في الحب ، ولا بد للحبيب الخائف على حبيبته أن يبحث عن مكان أشد أمناً تحسباً من لسان الناس ، فهو يخشى التشهير والتشنيع بسمعتهما ، لذلك نزل خلف البئر ، وهو مكان بعيد عن المنازل ؛ لأن حالة المغامرة العاطفية قلّما تحافظ على حياة صاحبها ، إلاّ إذا كانت المغامرة محكمةً حينما ينكشف أمره .

وفي موضع آخر نجد بعض الشعراء يحاولون أن يجدوا أماكن آمنة تؤمن لهم حياتهم ، فضلاً عن أن الملتجئ اليه يحمل مكانة قدسية لقربه من رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على نحو ما ورد في قول الفضل العباس بن اللهبي (ت96هـ) [2]: { من الطويل }

بِعَمّي سَقى اللَهُ الحِجازَ وَأَهلَهُ عَشِيَّةَ يَستَسقي بِشَيبَتِهِ عُمَر

تَوَجَّهَ بِالعَبّاسِ في الجَدبِ راغِباً فَما كَرَّ حَتّى جاءَ بِالديمَةِ المَطَر

---

(1) شعر عمر بن أبي ربيعة : 305

(2) ديوان الفضل بن العباس : تحقيق مهدي عبد الحسين النجم : 28 .

وقال أيضاَ [1] : { من البسيط }

كـــأنهم ورفـــاق البـــيض تحملهـــم وقـــد تولـــوا لأرض قصـــدها عمـــرُ

توجه الشاعر في هذه الأبيات إلى تحديد صفة الشرف والمنزلة وما انماز به ممدوحه في الفضائل والمزايا ، ولا سيّما أيام القحط والجدب من دون أي مقدمات مُخبراً عن كرامتهم عند الله (سبحانه وتعالى) حيث استجابة الدعاء والتوسل بالعباس بن عبد المطلب من الخليفة عمر بن الخطاب في حادثة الاستقاء[2] فهذه الحادثة تُعدّ واحدة من مفاخر آل الرسول من بني هاشم (عليهم السلام) على العالمين، وكأن الشاعر متوجهاً إلى جماعةٍ أراد إخبارهم بتلك الأحقية والأفضلية ولإيصال الفكرة إلى من توجه اليهم بالخطاب ، وبهذا كانت بعض قصائد الشاعر بمنزلة وثائق مجسدة لأحداث التاريخ ، فضلاً عن ذلك أنه وأثبت بيان حقهم وفضلهم على العالمين ، وقد أوضح ذلك ابن

---

(1) المصدر نفسه : 28 .

(2) حادثة الاستسقاء: عن ثمامة بن عبد الله بن أنس، عن أنس: أن عمر خرج يستسقي، وخرج بالعباس معه يستسقي، يقول: اللهم إنا كنا إذا قحطنا على عهد نبينا توسلنا إليك بنبينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا (صلّى الله عليه وآله)، وقد رواه البخاري، حديث (3434)، عن الحسن بن محمد، عن محمد بن عبد الله به، ولفظه عن أنس: أن عمر كان إذا قحطوا يستسقي بالعباس بن عبد المطلب فيقول: اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا فاسقنا، ، وعند ابن حبان والحاكم عن عمر زيادة يعظمه ويفخمه ويبر قسمه "فاقتدوا أيها الناس برسول الله –صلى الله عليه وسلم– في عمه العباس فاتخذوه وسيلة إلى الله، وفيه": حتى سقاهم الله ، قال الحافظ: ويستفاد من هذه القصة استحباب الاستشفاع بأهل الخير والصلاح وأهل بيت النبوة، ينظر : شرح الزرقاني على المواهب اللدنية بالمنح المحمدية : أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن شهاب الدين بن محمد الزرقاني المالكي (ت 1122هـ) : ج2 :152 ، ينظر: البداية والنهاية: ابن كثير الدمشقي (ت 774هـ) : 7/ 92، وينظر: الطبقات الكبرى: ابن سعد أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ت320هـ):28/4، سيرة أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ):91/2.

طباطبا العلوي (ت 322هـ) بقوله ((وليست تخلوا الاشعار من أن تقتص فيها أشياء هي قائمة في النفوس والعقول ، فيحسن العبارة عنها وإظهار ما يمكن في الضمائر منها فيبتهج السامع ... وما أتت به التجارب منها أو تضمن صفات صادقة وتشبيهات موافقة ، أو أمثال مطابقة تصاب حقائقها))[1] من دلالات وتناسب قصديّة الشاعر في الفخر بنفسه وقومه فراح يستحضر ذلك في شعره.

(1) عيار الشعر: محمد أحمد بن طباطبا العلوي (ت322هـ) : 125

المبحث الثاني : أنسنة المكان :

تظهر أنسنة المكان في النص الأدبي بوصفه عنصراً حيويّاً يمتلك حياة إنسانية في غير الإنسان ويتم تحقيق هذا الأمر عِبر ((إحياء المواد الحسية الجامدة وإكسابها إنسانية الإنسان وأفعاله))[1] وحين تسبغ على الأمكنة تحولها إلى فضاء يضم الأحداث والزمن والشخصيات إلى كائن واعٍ يدرك ما يجري حوله أو هو كما قال الدكتور ياسر فضل العامري في كتابه (التشكيل الجمالي للمكان) : ((تقنية فنية من تقانات تقديم المكان وتشكيله جمالياً في النص الشعري ، يستثمرها الفن ليرتقي بالمكان درجات تبعده عن جمود المادة فيتفاعل وجدان الشاعر مع مظاهر الوجود ، ويجري أسراره بمشاعره العميقة الخلاقة عن طريق إسقاط آماله وآلامه على ما حول من مظاهر الطبيعة)) [2] وبهذا يصبح المكان ككائن حي يعبر عن طبيعة الأحداث ويكشف عن مدى الترابط النفسي بين الإنسان والأِشياء فـ ((خطاب الأشياء التي لا تخاطب في العادة أمر وثيق الصلة بالموقف الشعوري الذي يعيشه الشاعر))[3].

وقد اشتملت تجربة الشاعر القرشي على كثير من الأمكنة فقد توجّه إليها الشعراء في أنسنتهم إياها مُفضين عليها صفة التشخيص الذي هو نوعٌ من الاستعارة [4] ، وقد تضمنت تجارب شعراء قريش الكثير من الأمكنة المؤنسنة ، فقد زادوا عليها الخصائص

---

(1) الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث : بشرى موسى صالح ، 125 .

(2) التشكيل الجمالي للمكان وبناؤه الفني في الشعر العربي الحديث 1940 – 2000م : د. ياسر فضل العامري : 160 .

(3) تشكيل الخطاب الشعري (دراسات في الشعر الجاهلي) : د. موسى ربابعة :12

(4) ينظر: معجم المصطلحات الأدبية : إبراهيم فتحي: 85 .

الإنسانية ، ومن ذلك ما قاله أبو دهبل الجمحي(ت63هـ) بعدما استشهد الإمام الحسين (عليه السلام) وقد أصبحت الأرض بفقده مريضة مقشعرة [1] : { من الطّويل }

أَلَـــمْ تَـــرَ أَنَّ الأَرْضَ أَضْـــحَتْ لِفَقْـــدِ حُسَـــيْنٍ وَالْـــبِلادُ اقْشَـــعَرَّتِ

مَرِيضَـــــــــــــــــــــــــــــــةً .....

..... فَلَـم تَصـحُ بَعـدَ الـدَّمعِ حَتَّـى ارمَعَلَّـتِ

فجالَـت عَلـى عَينـي سَـحائِبُ عَبـرَةٍ مـا أكثَـرَت فِـي الـدَّمعِ لا بَـل أقَلَّـتِ

تَبكَـــي عَلـــى آلِ النَّبِـــيِّ مُحَمَّـــدٍ وأنجمُهَـــا ناحَـــتْ عليـــهِ وصَـــلّتِ

أسبغ الشاعر أبو دهبل الجمحي صفات الإنسان على الأرض فهي تعول وتبكي وتنوح وتصلي ، وثبات هذه الصورة المعينة تكمن في أسباغ الشاعر على نصه صفات العقلاء مع مكونات المكان ، ناقلاً إلينا صورة شعرية وافية عِبر توظيفه الاستعارة التشخيصية عندما أسبغ عليها حالة المرض على الارض وهي صفة تضفى إلى (الموجودات الحيّة) فما جرى على آل النبي في كربلاء ليس بالأمر الهين، ولهذا راح يُجسد إسلوب الاستفهام للتعبير عمّا في داخله من حسرات وأوجاع ، وقد ((أعار الجمادات (الأرض والبلاد) صفات ذات أرواح من الكائنات الحية التي تكون مستجيبة للمؤثرات المحيطة بها من الخارج ، ولذلك فإنها تمرض استجابة لهذه المؤثرات))[2] ، فالأرض هنا مريضة على الإمام (عليه السلام) ، فضلاً عن شيعته ومحبيه ، وحينما يقول: (جالت على عيني سحائب عبرة) هذا من باب المجاز وهو تعبير عن الكثرة والمبالغة، إذ أشرك السحائب للعين وهي في الحقيقة من لوازم السماء ، فهذه تصدر من الإنسان العويل والبكاء والنياح إلاّ أن هذه المعاني التي عرضها تصدر من ظواهر

(1) ينظر: ديوان أبي دهبل : 62.

(2) حركة الشعر في ثورة التوابين وإمارة المختار الثقفي : د. حسن حبيب الكريطي : 305 .

الطبيعة فهي تدلّ على أن الشخص المرثي عظيم كعظم تلك الظواهر الطبيعية [1] . فهذا عمر بن أبي ربيعة (ت93هـ)، يستهل قصيدته باستنطاق المكان إذ اضفى عليه صفة العقلانية حين جعل المكان طرفاً من طرفي الحوار قائلاً [2] : { من البسيط }

قُــل لِلمَنــازِلِ بِــالظَهرانِ قَــد حانــا أَن تَنطِقــي فَتُبينــي القَــولَ تِبيانــا
رُدّي عَلَينــا بِمــا قُلنــا تَحيَّتَنــا وَحَــدِّثينا مَتــى بــانَ الَّــذي بانــا؟
قالَـت وَمَـن أَنـتَ أُذكُـر قـالَ ذو شَـجَنٍ قَـد هـاجَ مِنــهُ نَحيــبُ الحُــبِّ أَحزانــا
قالَــت فَأَنــتَ الَّــذي أَرسَــلتَ جارِيَــةً وَهنــاً إِلــى الرَكــبِ تُــدعى أُمَّ سُــفيانا؟
ثُــمَّ أَنَخــتَ وَراءَ العِــرقِ أَبعِــرَةً أَتَــينَ مِــن رَكبِــهِ الأَعلــى وَرُكبانــا
ثُــمَّ أَتَيــتَ تَخَطّــى الرَكــبَ مُســتَتِراً حَتّــى لَقيــتَ لَــدى البَطحــاءِ إِنســانا
قُلــتُ نَعَــم فَــأَبيني فــي مُحــاوَرَةٍ وَحَــدِّثيني حَــديثَ الرَكــبِ مَــن كانــا
حَتّــى إِذا الرَكــبُ ريعــوا قُمــتُ مُنصَــرِفاً مَشــيَ النَزيــفِ يَكُــفُّ الــدَمعُ تَهتانــا

في النص الشعري حاول الشاعر أن يؤنسن المنازل لتُشاركه الرأي عن طريق الحوار ، فالحوار مع المنازل يكشف خلفهُ بواطن انفعالية نتيجة أحداث مأساوية ألمت به بأُناسٍ هم أحب الناس إلى قلبه ، لذا نراه يضفى صفة من صفات الآدمية على تلك المنازل في ذلك المكان (الظهران) حين طلب منها أن تتكلم مفصحة عن اولئك الراحلين بعد ان يأس من العثور على انسان يسأله عن وقت رحيل الاحبة ، ولم يكن الشاعر في هذه النص مُبتكراً لهذه التركيبة الحوارية عبر الأدوات (قل – قال – قلت) بل سلفهُ شعراء أسبغوا صفات إنسانية لهذه الطبيعة (المنازل) فجعلوها تسأل وتجيب معبرين بذلك عن مشاعرهم ، ((فمحاورة أشياء لا تُحاور في الحقيقة تبرز حقيقة تُفيد بأن

(1) ينظر : المكان في شعر حسام الدين الحاجري (ت 632هـ) دراسة تحليلية : صادق جاسم محمد جاسم : 103 .
(2) ديوان عمر بن أبي ربيعة : 392 – 393 .

الموقف الشعوري يتدخل في طريقة الصياغة ، ولذلك فإن مخاطبة الطلل لا تخرج عن الرؤية العامة التي كان الشاعر الجاهلي يراها عندما يقف عند شواهد الخراب والموت))[1] ، وبذلك فقد كوّن المكان في هذه النص شخصا آخر، ورقيبا على حركات الشاعر، وسكناته، وأماكن لقاءاته مع من يحب، وبعد ان يتلقى الشاعر اجابة عن تساؤلاته من تلك المنازل التي اخبرته بكل ما جرى تظهر هي الاخرى حزنها على فعل الزمان باهل تلك الديار، وهذه جميعها أحاسيس ومشاعر انسانية أظهر الشاعر عن طريقها حالة الشجن الذي هاج منه هذا الكم الهائل من الشوق تجاه من يحب .

وقد يستأثر إحساس الشاعر ومحبّته للقبر الذي دُفن فيه أحبته، فيبيّن أن الموتى قد شرّفوا هذه الأرض وكرموها على كل المقابر وهذا ما عمله الفضل بن العباس اللهبي (ت 96هـ) حينما بيّن فضل موتى قبيلته على غيرهم قائلاً [2] : { من البسيط }

أبا الفضل تقي فينا ومَكرُمَة تَنافسُ الأرضُ مَوتانا إذا قُبِرُوا

ترى بِنِا فضلَها عن كلِّ مَقبَرةٍ إذا العِبادُ لِفضلٍ بينهم حُشِرُوا

تبكِي السَّماءُ عَلينا في مَقَابِرنا إذا تُسوَّى على أَمواتِنا الحُفَرُ

والشَّمسُ تَبكي على هُلاَّكِنا جَزَعاً لَو تَستَطيعُ لَهُم نَشراً لقد نُشِرُوا

في هذه الأبيات كشف البعد عن المكاني عن توجّه شعوري حسي من الشاعر الفضل بن العباس اللهبي ينحو إلى التجسيد والتشكيل المرئي مُتخذاً من موتى قبيلته الوسيلة للوصول إلى غايته ، وبث مشاعر الفخر لشخصياتها ،

---

(1) تشكيل الخطاب الشعري (دراسات في الشعر الجاهلي): د. موسى ربابعة : 15 – 16.

(2) أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه : أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي ، (من علماء القرن الثالث الهجري) : ج4 / 61 ، ولم اجد هذا النص في ديوان (الفضل بن العباس اللهبي) .

وبيـان ذلـك الفضـل إلـى قبـورهم ؛ لأن هـذه الأرض جمعـت العليـاء مـن كـل جهاتهـا لمـا أسـبغته موتـاهم عليهـا مـن المجـد والرفعـة ، وبـذا نجـد السـماء تبكـي علـيهم فـي مقـابرهم وكـذا الشـمس ، وهـذا يعنـي توسـعاً فـي الحركـة الدلاليـة أي إنَّ المـوتى قـد أصـبحوا الأداة للتنـافس عـن الأرض ومـن فيـه بدلالـة نفسـية وواقعيـة [1] فـالمقبرة هنا مكان الخصب ومجاورتهم هي الأمان من هذه الدنيا .

وبذلك نجد أنسنة المكان قد كوّنت بمختلف أنواعها ملمحاً فنياً استعمله شعراء قريش في انتاج كثير من الصور المفعمة بالحياة ، مُجسدةً في الغالب مواقف شعورية ارتكزت على موجودات الطبيعة عناصر التشخيص والتجسيد ، فبدت كأنها ، تحس وتتنكر ، وتسيل ، وتتكلم ، وتتخطى ، وتبكي ، وتناقش ، وتمرض ، وتعول ، وتبكي ، وتنوح ، وتصلي ، وغير ذلك من صفات الأحياء.

(1) ينظر: بنية قصيدة الشخصية في الشعر العراقي الحديث من مرحلة الريادة حتى عام 2000م ، علي عز الدين مطر (أطروحة دكتوراه) : 214 – 215 .

المبحث الثالث : الغربة والاغتراب

مـن المؤكـد أن الغربـة ليسـت خاصـة بوقـت أو مكـان محـدد ، وإنمـا تـرتبط بطبيعـة أوضـاع المجتمـع السياسـية والاقتصـادية والاجتماعيـة ، لـذا فـلا غرابـة مـن أن يعـاني الانسـان فـي حياتـه مـن الغربـة ، فهـذا أمـرٌ طبيعـي ، فطبيعـة بعـض النـاس تميـل إلـى الانتقـال مـن مكـان إلـى آخـر، ولاسـيّما إنَّ الإنسـان العربـي ذو عاطفـة قويـة نظـراً لمـا عُـرف عنـه مـن رقّـة الإحسـاس فحـين يقـرر الابتعـاد عـن أهلـه وديـاره يعمـد إلـى تصـوير عاطفتـه ويعبـرُ عنهـا شـعراً ، وذلـك لأنّ الشـعر انفعـال نفسـي يـنفس بـه المـرء عـن نفسـه [1] ، فيبـدأ بتصـوير ذلـك الانفعـال ، ويعكـس هـاجس الخـوف وحالـة القلـق الشـديد والألـم والحسـرة ، والضـياع الـذي اعتـراه نتيجـة ابتعـاده عـن بـلاده ، فالغربـة هـي المصـدر الأسـاس للاشـتياق والحنـين ولهـا الأثـر البـالغ فـي إظهـار المشـاعر والأحاسـيس، فعـن طريقهـا يبنـى الشـاعر معانيـه ليخلـق بعـد ذلـك عالمـه، وهـي بـذلك تكـون أداة فاعلـة ووسـيلة مهمـة تحـوّل الاشـتياق والحنين من خطرات في الذهن إلى عالم تدركه الحسرات والمعاناة .

لقـد كـان للغربـة مسـاحة فـي شـعر الشـعراء القرشـيين ؛ لإتصـاله بالعامـل النفسـي ، ولـذا أغلـب قصـائد الأغتـراب التـي لهـا انتشـار فـي قصـائد الشـعراء هـي بـ(الأهل والأحبـة والأرض والـوطن...) ومنهـا مـا يقتـرب لمواقـف صـدرت عـن أصـحابها فحملـت أشـعارهم هـذه المعـاني بوضـوح ، نجـد ذلـك فـي قـول عُثْمَـان بْـنُ

(1) ينظر: الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث : فوزي المعلوف انموذجاً (رسالة ماجستير) : 32.

مَظْعُونٍ (ت3هـ) وهو يُعَاتِبُ أُمَيّةَ بْنَ خَلَفِ بْنِ وَهْبِ بْنِ حُذَافَةَ بْنِ جُمَحٍ، وَهُوَ ابْنُ عَمّهِ وَكَانَ يُؤْذِيهِ [1] : { من الطّويل }

أَتَيْمَ بْنَ عَمْرٍو لِلَّذِي جَاءَ بِغْضَةً وَمِنْ دُونِهِ الشَّرْمَانُ وَالْبَرْكُ أَكْتَعُ

أَأَخْرَجْتَنِي مِنْ بَطْنِ مَكَّةَ آمِنًا وَأَسْكَنْتنِي فِي صَرْحِ بَيْضَاءَ تَقْذَعُ

تَرِيشُ نِبَالًا لَا يُوَاتِيكَ رِيشُهَا وَتُبْرَى نِبَالًا رِيشُهَا لَكَ أَجْمَعُ

يتضح من النص الشعري علاقة الشاعر بابن عمّه غير جيدة ؛ لذلك أُضطر أن يخرج من مكة ويسكن دار الغربة ، فالمعاناة والشعور بالظلم من الغربة والوحدة تشكل سمة واضحة في سلوك المغتربين ((فالكل يعلم أن الظلم لو جاء من الغريب لكان أمراً طبيعياً ولكن أن يأتي من القريب فهذا ما لا يمكن تصوره أو قبوله)) [2] فضلاً عن ذلك أنّ الشاعر حُرّم من الحقوق كلها، ولاسيّما السكن في مكة قرب أهله وأحبته ، ثم لم يكتفِ بهذا بل آتى بمن هو أقل منزلة ومرتبة منه ، وعلى هذا فإن الشاعر عمد إلى بيان ما بدر من ابن عمّه من بغضٍ واعتداء فزاد ذلك حزنه حزنا .

لم يكن الطلاق أقل وحشة من قطع صلة الأرحام مع الأقارب ، بل التحسر والندم عليها يثير انعطافة واسعة في خيال الشاعر ونفسيته ، لذا نجد بعض الشعراء ينتقي الفاظاً مناسبة لدلالة تعلقه بها (لا أنساك ، ما ذرّ شارق ، ما ناح قُمري ، ما حجّ راكبٌ ، ما لاح نجم ...) ومن ذلك قول عبد الله بن أبي بكر الصديق (ت 11هـ) حين

(1) السيرة النبوية لابن هشام : عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري (ت 213هـ) : 176.

(2) ينظر : الغربة في الشعر الجاهلي (دراسة) : عبد الرزاق الخشروم : 239 .

طلق زوجته ورحلت عنه ثم ندم وصار يحن اليها ويتغزل بها ويتذكرها كلما ناح قُمري إذ يقول [1] : { من الطّويل }

أعاتِــكُ لا أنســاكِ مــا ذرَّ شــارِقٌ ومــا نــاح قُمْــرِيٌّ الحمــام المُطَــوَّقُ

أعاتــكُ لا أنســاكِ مــا حــجَّ راكــبٌ ومــا لاح نجــمٌ فــي الســماء محلــقُ

أعاتــكُ قلبــي كــلَّ يــومٍ وليلــةٍ إليــك بمــا تخفــي النفــوسُ معلــقُ

ولــم أر مثلــي طلَّــق اليــومَ مِثلَهــا ولا مِثلَهــا فــي غيــر جُــرْمٍ يُطَلَّــقُ

لهــا خُلُــقٌ جَــزْلٌ وحِلْــمٌ ومَنْصِــبٌ وخَلْــقٌ سَــوِيٌّ فــي الحيــاة ومَصْــدَقُ

لم تكن غاية عبد الله بن أبي بكر الصديق رصد الإطار الخارجي للمشهد بقدر ما كانت غايته إظهار شوقه وحنينه اليها ، متخذاً من أسلوب النداء بالهمزة منفذاً للبوح عن خبايا مشاعره التي طفحت بذكرها في بداية الشطر الأول والثاني والثالث ، فيكون النص من ذلك مناسباً لإعطاء الحركة العاطفية التي تستوعب كمّ المشاعر التي تملكته ، فسياق الخطاب موجّه نحوها وبصورة مباشرة عبر ضمير المخاطب (الكاف) في قوله (لا أنساكِ) للتعبير عن عظمة ذلك الحدث (الطلاق) فالشاعر استعمل هذه الضمائر للكشف عن محور الألم الذي أصابه نتيجة الفراق ، وهذا الفراق يدفع القلب كل يومٍ وليلة إلى حبيبته التي تُعدّ أداة الجذب الحقيقية ، ومن هنا تصاعد التركيز على (خُلُقٌ جزلٌ ، ورأيٌ ومنطِقٌ ، وخَلقٌ مَصُونٌ...) وهو حديث قائم على التوازي بينه وبينها وقد اظهرا تماسكاً بينهما، فلا يجد مثلها ولا تجد مثله ، وفي النتيجة هي مصدر السعادة الذي يحرّك في نفس الشاعر حب الحياة ، فمازالت زوجته (عاتكة) ملهمته ، وكوّنت عنده ثيمة

(1) أسد الغابة في معرفة الصحابة : ابن الأثير (ت 630هـ): ج2 /183 ، مرآة الزمان في تواريخ الأعيان: ابن الجوزي (ت654هـ) : ج5 / 48 ، المردفات من قريش: أبو الحسن على بن محمد المدائنى (ت225هـ) :62

تخصّه يحيّ ذكراها نوح ذلك القُمري الذي امتلك القدرة على الفعل والإنفعال ، وبذلك فإن مسألة طلاق الشاعر عن زوجته التي أحبها ليس بالأمر الهين ، ولكن الأقسى من ذلك عندما تتزوج من شخص آخر ومنها قول أبي قطيفة (ت70هـ) حينما تزوج شخص عراقي امرأته التي طلقها قائلاً[1] :{ من الوافر}

فيـــا أسَـــفا لِفُرقـــةِ أم عمـــرو وَرِحلَـــةِ أَهلِهـــا نحـــوَ العِـــرَاقِ!

فلـــيسَ إلـــى زِيارتهـــا سَـــبيلٌ ولا حتَّـــى القِيَامـــةِ مِـــن تـــلاقِ

وعـــلَّ الله يَرجِعُهـــا إلينـــا بِمـــوتٍ مِـــن حَلِيـــلٍ أو طـــلاقِ

فـــأَرجِعَ شـــامِتاً وتَقـــرَّ عَينـــي ويُجمَـــعَ شَـــملُنا بَعـــدَ افتـــراقِ!

ففي النص كانت وقفة الشاعر واضحة لوصف حاله بعد طلاق زوجته (أَم عمرو) فهو لم يجد وسيلة للتعبير عمّا في نفسه إلاّ التأسّي والندم الذي كشف عن إحساس الذات بالوحدة والصراع والمعاناة ، حتى أصبح ضحية ذلك القرار فيأسف ولهذا الأسف مسوغات (علَّ الله يرجعها الينا بموت من حليل أو طلاق، ارجع شامتاً، تقرّ عيني ، يجمع شملنا) ، كلها إشارات بالأمل للحصول عليها ، ويعزّز ذلك نبرة التأسي واللوعة والحزن الشديد ، فراح يندب حظه ، لعدم استطاعته زيارتها عندما رحلت إلى العراق بعد أن طلّقها مؤمِّلاً نفسه على أملٍ ورجاء أن يرجعها الله إليه ، فهذا المكان المرتبط برحيل زوجته أوحى له بها ، فذهل من ذكراها فلم يستطع الرحيل معها إلى العراق ، بل ظل يأمل رجوعها ويمني النفس باجتماعهما مع علمه أنّ ذلك لم يتحقق في الحقيقة إلا أن حاجته في التعويض عن رغباته المكبوتة ، وإنْ كان تعويضاً وهمياً ، ولا سيّما انتقالات الشاعر عبر الأزمنة بين ماضي جمعه معها ، وحاضر يخلو منها ، ما هو إلا لتوطيد الفكرة الرئيسة وتعزيزها لدى المتلقي ، فكل ما أصابه من حزن ولوعة جراء

(1) أبو قطيفة شاعر الحنين إلى الوطن: د. محمد عرفة المغربي : 367 .

ابتعاده عنها لم يأت من عدم وإنما ندمه الشديد على طلاقها ، وعلى الرغم من ذلك فهو يتأمل رجوعها إليه سواء بموت من حليلها أو بالطلاق متأملاً الخلاص من زوجها .

وقد يتوسع الشعراء في الاغتراب عن الأهل ويتعدى هذا الشوق زوجته واطفاله وأهل بيته ، فيشمل أقاربه، وخير تمثيل عن ذلك أبيات لأبي طالب (عليه السلام)(ت10هـ) في رثائه مسافر بن أبي عمرو الأموي يبين اغترابه وموته في أرض غريبه عن موطنه وعن أهله ، وأحبته فيقول شعراً تفيض حزناً وأسى من الغربة [1] :{ من الخفيف }

لَيتَ شِعري مُسافِرَ بنَ أَبي عَمـ ـرٍو وَلَيتٌ يَقولُها المَحزونُ
أَيُّ شَيءٍ دَهاكَ أَوغالَ مَرآ كَ وَهَل أَقدَمَت عَلَيهِ المَنونُ
أَنا حاميكَ مِثلَ آبائِيَ الزُهـ ـرِ لِآبائِكَ الَّتي لا تَهونُ
مَيتُ صِدقٍ عَلى هُبالَةَ أَمسَيـ ـتُ وَمِن دونِ مُلتَقاكَ الحُجونُ
رَجَعَ الرَكبُ سالِمينَ جَميعاً وَخَليلي في مَرمَسٍ مَدفونُ
بورِكَ المَيِّتُ الغَريبُ كَما بو رِكَ نَضرُ الرَيحانِ وَالزَيتُونُ

فالشاعر لا يجد شيئاً يدفع عنه الحزن، فهو يشكو حال غربة أبن عمّه ، وصدره تتردد فيه الحسرات ؛ لأن خليله مات غريباً في مرمسٍ بعيداً عن أهله وأرضه ، فمن أشد ما يقاسيه المرء إيداع اعز إنسان عنده في مكان بعيداً عن أحبته ، وأقسى من ذلك كله حينما لا يُعرف مكان قبره، فضلاً عن صدمتهِ المفجعة التي ألمت به بعد سماعه لهذا الخبر فراح يندبه ويدعو لقبره بالبركة بعدما تركه الركب في لحد موحش يعاني الاغتراب المكاني .

(1) ديوان أبي طالب(عليه السلام) : 93 .

وقد كان لأبي دهبل الجمحي(ت63هـ) قصيدة يقارن فيها بينه وبين الحمامة فيخلع عليها مشاعر الحزن واللوعة ، إذ يقول [1] : { من الطّويل }

أفـــى كـــل عـــام غُرْبـــةٌ ونُـــزُوحُ ... أمـــا للنَّـــوى مـــن وَنْيـــةٍ فتُـــريحُ

لقـد طلـح الْبَـين المشـتّ ركـائبي ... فهـل أريـنَّ البـين وهـو طلـيح

وأرَّقَنـــي بـــالري نـــوحُ حمامـــة ... فُنحـــتُ وذو البـــثِّ الغريـــبُ ينـــوحُ

علـى أنهـا ناحَـتْ ولـم تُـذْر دمعـةً ... ونحـــتُ وأســـرابُ الـــدموع سُـــفُوحُ

وناحـــتْ وفَرْخَاهـــا بحيـــثُ تراهمـــا ... ومـــن دون أفْرَاخـــي مَهَامـــهُ فـــيحُ

ألا يـــا حَمـــامَ الأيْـــك الفُـــكَ حاضِـــر ... وغُصْـــنُكَ مَيّـــادٌ ففـــيمَ تَنـــوحُ

أفـق لَا تَـنَح فـي غيـر شـيء فـإنني ... بَكَيْـــت زَمَانـــا والفـــؤاد صَـــحِيح

ولوعـــاً فشـــطت غربَـــة دَار زَيْنَـــب ... فهـــا أَنـــا أبكـــى والفـــؤاد قـــريح

عسـى جـودُ عبـدِ الله أنْ يعكـسَ النَّـوى ... فتضـحى عصـا التسـيارِ وهـي طـريحُ

فـــإنَّ الغِنَـــى يُـــدني مـــن صـــديقهِ ... وعُـــدْمُ الغِنـــى بـــالمُقترين طَـــروح

انبثقت المدينة بوصفها مفردة مكانية تعبِّر عن رؤيا الشاعر وتشير إلى الوجع الذي يعيشه بجانب هذه الحمامة ، فهي ذات معان روحية تضج بذلك الفضاء الذي ينتمي إلى محور الألم ، ومن مثيرات ذلك الألم والوجع قوله : نوح الحمامة ، أسراب الدموع ، عبر من طريقها عن شدّة ما يلحقه من ظلم وحزن ((وكما كان الحَمَام في سجعه وشجوه ونواحه محركاً لأشجان الشعراء ومثيراً لأشواقهم ولواعج صدورهم ومهيجاً في نفوسهم مكامن الأشواق وذكريات الشباب والمرح واللهو بعد تقدم السن))[2] ، ولا يخفى على القارئ أن يدرك أن تعلق الشاعر بعواطفه فرض عليه أن يوظف هذه الألفاظ (بكيتُ زماماً) و (أبكي

(1) ديوان أبي دهبل الجمحي : 76 .

(2) وصف الحيوان في الشعر الأندلسي : د. حازم عبد الله خضر:121.

والفؤاد قريح) لِما لها من مكنونات نفسية ولهفة وتحسر، فالمكان في هذا النص هو بناء نفسي أو حصار داخلي عندما يخاطب (حمام الأيك) ، ولكن الشاعر حمّلها أرقه والآمه إذ لا يمكن لها أن تنوح وتذرف وصغارها في احضانها وهي حرة طليقة ، فبذلك النوح قلبه يستعر ألماً وحرقة ، حينما يرى أنها نائمة مستقرة ومطمئنة على اطفالها وهو بعيدٌ عن أهله وأبنائه فهو يذكر نزوحه وغربته وحنينه إلى دياره ويشرك الحمام في شوقه وحنينه[1] ، وهذا ينم عن حرص الشاعر الجمحي على إثارة المتلقي وإشراكه في محاولة منه لإيجاد ما يستدعي تأثره بصوت الحمام الذي وفّر له مساحة واسعة لطرح أفكاره وعَرْضها على المتلقي .

وكذلك نجد بعض شعراء قريش قد أثرت طبيعة المكان تأثيراً واضحاً في شعرهم فاتخذوا من اختلاف الأماكن وتغير رسومها وسيلة لإيقاد عواطفهم وأحاسيسهم ، ومن هؤلاء أبو قطيفة (ت 70هـ) [2] إذ يقول [3] :{ من الخفيف }

---

(1) ينظر : الحنين والغربة في الشعر العربي : د. يحيى الجبوري : 54.

(2) هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي شاعر مدني، كان في من نفى عبد الله بن الزبير من المدينة من بني أمية إلى الشام، فأكثر من الحنين إلى المدينة حتى أعاده ابن الزبير إليها، لقب أبا قطيفة لوفرة شعر رأسه ينظر : الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ): ج87/5 .

(3) حماسة القرشي: عباس بن محمد بن مسعود القرشي النجفي (ت 1299هـ) : 437 – 438 . بلين: اسم واد و برام اسم موضع ، عقام : من ناقة عقام ، وهي البازل الشديدة أو من العقم ، والمراد أنها من شدتها لا تبقي على شيء.

ليـــتَ شـــعري وأيـــنَ مِنّـــي ليـــتُ؟ أعلـــى العهـــد يَلـــبُنٌ فبَـــرامُ ؟

أم كعهـــدي العَقيـــقٌ ؟ أم غَيَّرَتـــهُ بَعـــدي الحادِثـــاتُ والأيّـــامُ؟

منـــزلٌ كُنـــتُ أشـــتهي أن أَراهُ مـــا إليـــهِ لِمـــن بِحِمـــصٍ مَـــرَامُ!

حـــالَ مـــن دُونِ أَن أحُـــلَّ بـــه النَّـــأ ي وَصَـــرفُ الهَـــوَى وحَـــربٌ عَقَـــامُ

وَتَبَـــدَّلْتُ مِـــنْ مَسَـــاكِنِ قَـــوْمِي وَالْقُصُـــورِ الَّتِـــي بِهَـــا الْآطَـــامُ

كُـــلُّ قَصْـــرٍ مُشَـــيَّدٍ ذِي أَوَاسٍ تَتَغَنَّـــى عَلَـــى ذُرَاهُ الْحَمَـــامُ

وَبِـــأَهْلِي بُـــدِّلْتُ لَخْمًـــا وَعَكًّـــا وَجُـــذَامًا وَأَيْـــنَ مِنِّـــي جُـــذَامُ

أَقْطَـــعُ اللَّيْـــلَ كُلَّـــهُ بِاكْتِئَـــابٍ وَزَفِيـــرٍ فَمَـــا أَكَـــادُ أَنَـــامُ

نَحْـــوَ قَـــوْمِي إِذْ فَرَّقَـــتْ بَيْنَنَـــا الـــدَّا رُ وَحَـــادَتْ عَـــنْ قَصْـــدِهَا الْأَحْـــلَامُ

جعل الشاعر من الأساليب الانشائية في النص الشعري وسيلة له لبيان ما في نفسه تجاه ذلك المنزل الذي كان يتمنى ان يراه كما هو ؛ لأن الأماكن كلما تقادمت تغيرت نظرتنا إليها ، إذ إنّ الحاضر يُكسبها الواناً جديدة ، وأبعاداً متغيرة ((وبذلك لا يبقى الطلل مجرد صورة للموت والخراب ، بل صورة أكثر حياة ، وأشد حركة ؛ يبني من خلاله عالم قصيدته بأدواته الخاصة ، أو بتصويرة المتميز ، وهكذا نصبح أمام طلل خاص يتغير بتغير الشاعر وتجربته ورؤيته وهكذا يصبح الطلل محركاً لقريحة الشاعر ، ومنبعاً لمنجزه في القصيدة ، وجسراً يتواصل من خلاله مع المتلقي)) [1] وهنا تكمن براعة الشاعر في الإضفاء بأحاسيسه إلى منازل الأحبَّة التي ابتعدت عنه ، ومن ثمَّ تأججت في داخله العواطف والأحاسيس وهذه العلاقة بين الإنسان والمكان تذهب في الاتجاهين النفسي والحسي وتتسم تبعاً لذلك ببعض التقارب والتفاعل بين الداخل

(1) الغديريات في الشعر العربي : د. حربي نعيم محمد الشبلي : 57 .

والخارج [1] ، لذا كانت وقفته على الذكريات استحضارا للتاريخ الذي عاشه في مرحلة الصبا [2] : { من الطّويل }

الآ ليــتَ شــعري، هَــلْ تَغَيَّــر بَعْــدَنَا جَنُــوبُ الْمَصَــلّى أَمْ كَعَهْــدِي الْقَــرَائِنُ ؟

أم الــدُّورُ أَكنــافَ الــبَلاطِ[3] عَــوامِرٌ كَمــا كُــنَّ ؟ أَمْ هَــلْ بِالمدينــة ســاكِنُ ؟

أحِــنُّ إِلَــى تِلْــكَ الــبِلاَدِ صَــبَابَةً كَــأَنِّي أَسِــيرٌ فِــي السَّلاسِــلِ رَاهِــنُ

بــلادٌ بهــا أهلــي ولهــوي ومَوْلِــدي جَـرَتْ لِـي طُيُـورُ السَّـعْدِ فِيهَـا الْأَيَـامَنُ

إِذَا بَرَقَــتْ نَحْــوَ الحِجــازِ غَمامَــةٌ دَعَــا الشَّــوْقَ مِنِّــي بَرْقُهــا المتيــامِنُ

وَمَــا أَخْرَجَتْنَــا رَغْبَــةٌ عَــنْ بِلادِنَــا وَلَكِــــنْ مــــا قــــدّر اللهُ كــــائِنُ

ولكــــن دَعَــــا للحــــرب داعٍ وعَفَنــــا معايــــبُ كانــــت بينَنــــا وضــــغائنُ

ويكثر شوقه وحنينه إلى المدينة ويذكر مواضعها ويسأل عمّا حلَّ بها بعد فراقها ، ويتمنى لو عاد إليها إلاّ أنَّ أبا قطيفة لا يمكن له أن يعيد تلك الأيام واللحظات، وأمنياته ضرب من المستحيل ؛ الذي لا يجدي شيئاً ، ولذلك فإن توظيف هذا الأسلوب الإنشائي ؛ عكس روح الألم ، والحسرة التي تعتصر نفسه ؛ على ما مضى من أيام عمره ؛ المنتشي بمولده، وألق الصبابة [4] فالشاعر حينما يلمح برق سحابة ناحية الحجاز

---

(1) ينظر : سطوة المكان وشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد (دراسة في تقنيات السرد) 88 : الأخضر بن السايح ، فلسفة المكان في الشعر العربي: (قراءة موضوعاتية جمالية) : د. حبيب مؤنسي : 20 .

(2) تاريخ المدينة المنورة لابن شبة (ت 262هـ): ج1 /297 .

(3) البلاط: موضع بالمدينة بين المسجد النبوي والسوق. والدور التي يسأل عنها ثلاث دور(لعبد الرحمن بن عمرو): أقر قومي السلام إن جئت عني: معجم البلدان : ياقوت الحموي (ت 626هـ) : ج477/1 . عرف، تسمى (القرائن)، موضع بالمدينة قرب المسجد، وهو بركة وقصر ينظر : معجم البلدان: ياقوت الحموي (ت 626هـ) : ج319/4 .

(4) ينظر : حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية : د. محمد حسين المهداوي : 280 .

تتحرك اشجانه شوقاً إليها ولكن هيهات، فقد أُخرج منه قسراً وهو بالشام غريباً وقلبه متعلق بها[1] ، ولذا نجده يحاط ذلك يتمني أن يعود حال قريش إلى ما كانت عليه من الألفة والتصافي فيعود إلى بلاده ، ولاسيّما إذا كانت هذه البلاد تحوي أبعاد الشاعر الإنسانية – الولادة –الأهل– الانتماء– حياة الصبا ، وغيرها من شأنها أنْ تُشعره بحالة من التجانس الذاتي والموضوعي مع المحيط ، فالمدينة عنده مكاناً جغرافياً وفيها أهله ومولده ولهوه وسعده ويذعن لقدر الله الذي جعله يبتعد عنها [2]، وتبدو علاقة الإنسان بالمكان المفقود علاقة حميمة ، فاغتراب الشاعر عن بلاده سبب لديه إحساساً بالحُزن والأسى. وحين يتعرض الشاعر إلى الخطر يهاجر من بلده هارباً مغترباً على الرغم من اشتياقه إلى بلده ، وهذا ما كان من عبد الله بن عامر بن كريز(ت58هـ) [3] فالسفن كانت للشاعر تجربة مريرة قاسية إيقول [4] : { من الطّويل }

بكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الْفُلْكَ قَدْ مَضَتْ تَهَادَى بِنَا فَوْقَ ذِي لُجَجٍ خُضْرِ

وَحَنَّ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ حَنَّةُ لِمِصْرٍ وَهَيْهَاتَ الْمَدِينَةُ مِنْ مِصْرِ

فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا تَقَرُّ قَرَارًا مِنْ جَهَنَّمَ فِي الْبَحْرِ

إنَّ هذه المقطوعة برمتها هي حنين إلى تلك المدينة التي فارقها بعد أن شاهد السفن، فالشاعر يحنُّ إلى ذلك المكان ، فكل ما في المدينة ينماز عن

---

(1) الحنين والغربة في الشعر العربي د. يحيى الجبوري : 83

(2) ينظر : أبو قطيفة شاعر الحنين إلى الأوطان : د. محمد عرفة مغربي : 263 .

(3) عبد الله بن عامر صحابي ، ولي البصرة لعثمان توفي بمكة سنة 57 وقيل 59هـ ينظر : تاريخ مدينة دمشق: لأبن عساكر (ت 571هـ): ج 29 / 247 .

(4) تاريخ المدينة المنورة (ت262هـ) : لأبن شبة : ج1/ 284 . وفي رواية تاريخ دمشق لأبن عساكر (ت 571هـ) ، في البيت الأول (قد قربت) والبيت الثالث (نفر فراراً): 29 / 250 .

غيرها من الأمكنة حيث كانت المدينة تمثل له ليس محيطًا جغرافيًا فقط ، بل عالمًا مكونًا من طبيعتها وأحداثها وذكرياته التي لا تزول ، لذلك نادراً ما يتحدث الشاعر عن مدينة يحنّ إليها ، إلا ويذكر السبب الذي جعله يهاجر منها .

والمدن كانت – في كثير من أحوالها– عالم الشاعر وبيئته والتحدي الذي يواجهه الشاعر هو عجزه عن التكيف مع واقع جديد (مصر) يختلف كليًا عن عالمه الذي مضى(المدينة) فالشاعر كشف في النص الشعري عن لواعج نفس صاحبه بعد أن أذرف الدموع موجهاً خطابه في الوقت نفسه إليه بصورة مباشرة ، فاغتراب صاحبه عن أهل المدينة سبب ما لديه من إحساسٍ بالحُزن والأسى ، فرؤية المدينة تذكره بأحبائه وأيامه التي خلتْ وبكل شيء يدلّ على ألفته .

ويرى الباحث أنّ شعر الغربة لا يتناسب وما مرّ عليها من حوادث باستثناء عصر ما قبل الإسلام حينما حوَّل قصي قريش إلى قبيلة مستقرة عامرة بعد أنْ كانت متفرقة في أطراف مكة ،وقال لهم ((أرى أن تصبحوا بأجمعكم في الحرم حول البيت فو الله لا تستحمل العرب قتالكم ولا يستطيعون إخراجكم منه وتسكنونه فتسودوا العرب ابدا)) [1] ففي هذا القول وضوح كامل لسياسة قصي وأهدافه البعيدة فإنّه يريد أن يجنب سياسة الحرب عن قريش من جهة ، والحفاظ على القيادة والتمسك بأمور الكعبة من جهة أخرى فهو يرغب في قيادة شبة الجزيرة العربية بأكملها بشكل جديد ومختلف، فهذه الأسباب تثبت لها الاستقرار وعدم التغرب عن الأوطان ، أما لو انتقلنا إلى عصر صدر الإسلام فالأمر مختلف فشعرهم كما قلنا لا يتناسب وما مرّ عليها من حوادث ووقائع تستدعي الغربة عن الأوطان والأهل والديار، وكانت هجرتهم من مكة إلى المدينة فراراً بدينهم من

(1) العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين : تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي (ت 832 هـ): ج1 :181 .

القضايا الكبرى التي تستدعي الحنين والشوق إلى الديار، إلاّ أننا لا نجد شعراً بحسب علمنا في شعر قريش سوى أبيات قليلة كأبيات عثمان بن مضعون ، فهذه الأحداث التي ذكرناها لم تلقِ صداها أيضاً عند الشعراء القرشيين في العصر الأموي ، إلاّ في شعر أبي قطيفة حينما يبدأ بالسؤال عن أحياء المدينة ومعالمها وما يلقى من الوحشة والهم في منفاه ، ومن هنا كانت الغربة مؤثرة ولها بعد نفسي ، كقول عبيد الله بن قيس الرقيات (ت 75هـ) [1] : { من الخفيف }

قَطَنَت مَكَّةَ الحَرامَ فَشَطَّت ... وَعَدَتني نَوائِبُ الأَشغالِ
إِن تَرَيني تَغَيَّرَ اللَونُ مِنّي ... وَعَلا الشَيبُ مَفرِقي وَقَذالي
فَظِلالُ السُيوفِ شَيَّبنَ رَأسي ... وَطِعاني في الحَربِ صُهبَ السِبالِ
وَاِغتِرابي عَن عامِرِ بنِ لُؤَيٍّ ... بِبِلادٍ كَثيرَةِ الأَقتالِ
كُلَّ يَومٍ أَلقى اِبنَ شانِئَةٍ لَي ... سَ عَنِ الشَرِّ ما اِستَطاعَ بِآلي
حَولَهُ قَومُهُ وَقَومي بِأَرضٍ ... حَرَمٍ دونَهُم حَنينُ الشَمالِ
وَمُلوكٌ فارَقتُهُم أَفرَدوني ... وَصُروفُ الأَيّامِ بي وَاللَيالي
أَقفَرَت مِنهُمُ الفَراديسُ فَالغو ... طَةُ ذاتُ القُرى وَذاتُ الظِلالِ
فَضُمَيرٌ فَالماطِرونَ فَحَورا ... نُ قِفارٌ بَسابِسُ الأَطلالِ
لَم تُجِبني مِنها الطُلولُ وَلَم أَم ... لِك دُموعاً تَسيلُ كَالأَوشالِ
وَتَذَكَّرتُ مَعشَري وَهُمُ كا ... نوا مُلوكاً في سالِفِ الأَحوالِ

إنَّ ظاهرة المرور بالمدن وما شاهدوه من أحداث وحروب ألقت بظلالها على الشعراء وجعلت من الاستدعاء رافداً يغذّي النص الشعري لما تحمله من عواطف على فراق الأحبة، فالشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات يذكر حياته بمكة وغزله بمن يحب ثم رحله وما نزل به من غربة ، وما شهد من أحداث وحروب ويذكر المدن التي مرّ بها

(1) ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات: 179 – 181 .

وعانى الآم النقلة والسفر ويحكي ما نزلت به مصائب واحداث، فهو الآن غريب عن الوطن [1] ، لذلك انعكست هذه الصورة الموحشة على نفسية الرقيات فأحس بتبدل المكان وتحويله إلى آخر حيث شعر بالوحدة والغربة وبكاء المدن وشكوى الزمان ، لتصبح المدن وما جرى عليها من أحداث منبعاً لمنجز القصيدة وجسراً يتواصل عِبره للمتلقي.

وفي موضع آخر يشتاق الفضل بن العباس اللهبي(ت96هـ) إلى حبيبته سليمى فيحن إلى دياره وديار حبيبته حنين العود في الشول والنزاعِ ، فنجده يبكي شوقاً وحناناً والماضي السعيد ، إذ يقول [2] : { من الوافر }

وإنك والحنين إلى سُلَيْمى حنين العَوْد في الشَّوْل النِّزاعِ

تحنّ ويزدهيها الشوق حتى حنا جرهُنّ كالقصب اليرَاعِ

فالوقوف على ذكريات المكان علامة على استعادة تاريخ المكان، لذلك يقف حزيناُ متألماً ، وتداعيات من هذا النوع تكون مصحوبة بتدفق وجداني ليجعل من ذلك المنزل وسيلة للحديث عن المعاني المتضمنة بقايا المكان واثاره، وعن تاريخه ، و احلامه، ووجوده المفقود، فيغدو ذلك المنزل الذي كان شاخصاً وماثلاً في مدينة حمص لحظات تأمل واستحضار لعوالم لم يستطع تقادم الزمن محوها .

(1) ينظر : الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان : د. يحيى الجبوري : 84

(2) ديوان الفضل بن العباس اللهبي : 32

الخاتمة

الحمد لله قبل الإنشاء ، والآخر بعد فناء الأشياء ، والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبد الله وعلى آله ومن والاه ، وسلم تسليمًا كثيرًا .

أما بعد...

حظيت قريش بأهمية كبيرة في كتب الأخبار والروايات التاريخية سواء قبل الإسلام أم بعده ، بحكم وجودها في مكة وما تحتله من أهمية في نفوس العرب ، لوجود بيت الله الحرام الذي أصبح محج العرب ، أما في الإسلام لارتباطها بنبي الرحمة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) مما جعلها محط احترام وتقدير لدى القبائل العربية وتحظى بمعاملة متميزة عن غيرها من القبائل ، وبهذا يكون المكان مرتكزاً للشعر القريشي، ومرآة عكست لنا الواقع بدءاً من العصر الجاهلي الى سنة 132 هـ ، ومن أهم ما تمخضت عنه تجربة الباحث من النتائج الرئيسة لهذه الدراسة :

1- ما وصل الينا من شعر البطون المكثرة أغلبها من بني مخزوم وبنو أمية وبنو هاشم وبنو أسد بن عبد العزى ، أما البطون المقلة للشعر فكانت كثيرة ولا سيّما لبني سهم وبني جمح وبني عامر بن لؤي وبني عبد مناف وبني زهرة وبني فهر وبني عدي ، ولهذا باتت بطون قريش ومنازلهم تفرض وجودها ونفوذها بشكل واضح على مكة المكرمة منذ أيام قصي بن كلاب ، وعلى ما يبدو أن النشأة الأولى لزعيمها قصي في بلاد الشام قد أسهمت وبشكل كبير في تكوين آرائه وافكاره وعلاقاته مع القبائل العربية الأخرى وبشتى المجالات حتى تحولت مكة من مجرد وادٍ يحتضن مقامًا دينيًا للحج الى مركزًا دينيًا وسياسيًا وتجاريًا رئيسًا نتيجة التطور والنمو الذي رافق القبيلة.

2- لم يقتصر المكان عند الشعراء القرشيين على مكة فحسب ، وإنّما خرج إلى مدن أخرى كالحجاز والعراق والشام ، ولكن الأنظار كانت متجهة نحو مكة بحكم ما تحمله من أهمية

في نظر العرب ، وذلك لوجود بيت الله الحرام ، إذ اصبح محجة القبائل العربية ، فضلاً على موقع مكة كمحطة على الطريق التجاري العربي وأما في الإسلام لإرتباطها بنبينا الكريم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وكل هذا جعل من أماكنها مسرحاً للأحداث فكان الشعر الذي يقال فيها محط إهتمام الناس.

3- لسيادة قريش أثر واضح وصريح في الشعر القرشي فضلاً عن دلالات بيوت الشرف والكرم فهي من أهم الروافد في إثراء دلالات المكان وسيادته إذ تجلت براعة بعضهم في مزج هذه الدلالات بالمادة الشعرية، وكان ذلك بدافع اعلاء شأن القبيلة والفخر بها والحفاظ على ما كانت تتمتع به من الوظائف كالرفادة والسقاية وسدانة البيت وعمار المسجد وغيرها من الوظائف وايصالها الى المتلقي بأجمل صورة وبأساليب بسيطة مفهومة.

4- لقد هيمنت وتعددت الدلالات الدينية الدالة على المكان في الشعر القرشي، فقد طغى عليها – في الأغلب – أسلوبا القسم برب البيت وبيت الله والإستعاذة به اللذين كانا عوناً لنفس الشاعر وتعبيرا صادقاً عمّا يعتلج في نفوسهم من مشاعر وأحاسيس وانفعالات ، فكانت هذه الأساليب معيناً لا ينضب عند محاورتهم للأخرين..

5- تجسدت الأماكن المعنوية عند الشعراء القرشيين بأشكال حسيّة تعبيريّة، تعبر عن قيم الشجاعة والسيادة والكرم والرفعة فضلاً عن بيان المنزلة الاجتماعية للممدوح ، وذلك عِبر تصوير المعالم الطبيعية بأبعادها الجغرافية والزمانية ، ودمجها بعناصر أخرى كبيت الدين وقناة الدين وحوض الحب... والتنوع في مضامينها وكيفية التعامل معها وذلك لإبراز ارتباطها بالقيم والمعاني التي يرغب في التعبير عنها.

6- ثم رصد البحث مواقف الشعراء من المكان، فالمكان مع الشاعر في القصيدة أو المقطوعة يمثلان توحداً وانتماءً ، فتارة يظهر لنا المكان المفتوح أو المغلق محبباً للشاعر وتارة يكون معادياً له؛ لأنّ المكان يرتبط ارتباطاً وثيقاً بنفسية الشاعر، فمن أكثر الأماكن ألفة للشاعر هي المدينة والبستان والمنزل والحانوت... أو معادياً كالحروب والوقائع والأوبئة والأمراض

وغيرها وأن هذا التحول المكاني عند الشعراء من الألفة إلى المعادات هي انعكاس لنفسية الشاعر .

7- تمظهرت في نصوص الشعر القرشي رمزية المكان واستثمرها الشعراء فجعلوها بؤرة مكانية للتعبير عن انفعالاتهم النفسية الكفيلة بخلق علاقة تأثرية بين الشاعر والمكان ، واشتملت على رمزيات متعددة وكانت الصدارة لرمزية الطلل، فالطلل محمول نفسي في ذات الشاعر وذا دلالة خاصة به مُحملاً بذكرى الماضي وجور الزمان ، أما رمزية المرأة فقد فرضت وجودها في معظم قصائدهم الغزلية حتى أصبحت جزءاً لايتجزأ من المكان في حين أن رمزية الحيوان اشتملت على ميزة جمالية تشويقية وهي أن شعراء قريش لم يقفوا عند طورٍ محدّد في رمزية الحيوان ، فنجد الشاعر القرشي يصف الحمام والغراب والظبي والخيل والحمار والأغنام والذئب ، بأوصاف تشكيلية تحقق أغراضاً وظيفية متعددة تخدم الغاية الشعرية التي يسعى إليها الشاعر لتحقيقها .

8- تبيّن من دراسة الشاعر القرشي للمكان قد عانى من الغربة والاغتراب في حياته ، وقد كشف عن الأثر النفسي الذي يثيره الحس المكاني عند بعض هؤلاء الشعراء والتي جاءت مليئة بالأسى والمشاعر المريرة مما أدى به الى تمنى العودة للوطن واللقاء بالأهل والأحبة ، فيما كان المكان الملاذ يعكس إحساساً بالأمان والأريحية ويأخذ قيمة عالية في نفس اللائذ به.

9- تبنى الشعراء القرشيين طرقاً متعددة لعرض تجربتهم الشعرية على كثير من موجودات الطبيعة وأنسنتها فقد أضفى عليها صفة العقلانية حين جعل المكان طرفا من طرفي الحواركمخاطبة أهل القبور وبكاء السماء والشمس والجبال مُجسدةً في الغالب مواقف شعورية نابضة بعواطف واختلاجات آدمية فبدت كأنها ، تحس وتتنكر ، وتسيل ، وتتكلم ، وتتخطى ، وتبكي ، وتناقش ، وتمرض ، وتعول ، وتبكي ، وتنوح ، وتصلي ، وغير ذلك من صفات الأحياء.

ملحق بأسماء الشعراء

5-ابْنِ حُذَافَةَ بنِ جُمَح بنِ عَمْرِو بنِ هُصَيْصِ بنِ كَعْبٍ الجُمَحِيُّ، أَبُو السَّائِبِ، مِنْ سَادَةِ المُهَاجِرِيْنَ، وَمِنْ أَوْلِيَاءِ اللهِ المُتَّقِيْنَ، الَّذِيْنَ فَازُوا بِوَفَاتِهِم فِي حَيَاةِ نَبِيِّهِم، فَصَلَّى عَلَيْهِم وهو أول من دُفن من المهاجرين بالبقيع .ينظر : نسب قريش : 393 ، سير أعلام النبلاء: شمس الدين الذهبي :ج1/ 153-154 ، أسد الغابة ج598/3 .

6-ابن عباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي، أبو العباس :حبر الامة، الصح أبي الجليل. ولد بمكة. ونشأ في بدء عصر النبوّة، فلازم رسول الله صلّى الله عليه وسلم وروى عنه الأحاديث الصحيحة. وشهد مع علي الجمل وصفين. وكف بصره في آخر عمره، فسكن الطائف: الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) : ينظر ج4/ 95 .

3- أبو بكر الصديق : هو عتيق بن أبي قُحافة، وهو عثمان بن عامر بن همرو بن كعب بن سعد بن تيم، وأمّه أمّ الخير ابنة صخر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة : سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ) : ج355/2 ، العقد الفريد : ج9/5 .

4- أبو بكر بن عبد الرحمن الزهري: هو أبو بكر بن عبد الرحمن بن المسوّر بن مخرمة من بني زهرة بن كلاب من قريش ، إسلامي مقلّ وهو أحد الفقهاء الذي يؤخذ عنهم العلم من أهل المدينة وكان يسمى الراهب وكان من سادة قريش واجوادهم ، ينظر : نسب قريش : 303 ، التبيين في انساب القرشيين : 321 .

5- أبو دهبل بن ربيعة بن جمح الجمحي القرشي المكي، من مشاهير شعراء مكة المكرمة ومن الشعراء العشاق المعروفين، واحد أشراف بني جمح، وكان

شاعرا محسنا، ولد في مكة سنة 20 هـ وأكثر مقامه بالحجاز، ولّاه عبد الله بن الزبير بعض أعمال اليمن، خرج مع التوابين ورثى الإمام الحسين(عليه السلام) عندما جاؤوا إلى قبره، توفي بموضع في تهامة باليمن أيام سليمان بن عبد الملك سنة 96هـ. ينظر: الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ): ج2/ 600 ، مشاهير شعراء الشيعة:254/5 – 255 .

6- أبو سفيان بن حرب : هو أبو سفيان بن حرب بن أبو أمية بن عبد شمس ، أبو معاوية وزوج هند بنت عتبة أدرك الإسلام وكان شديداً على المسلمين قاد المشركين في معركة بدر ، ومعركة أحد : نسب قريش : 123 ، سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ) : ج406/3 ، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : د. حاكم حبيب الكريطي: 112.

7- أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب: ابن عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان يهجو ثم أسلم يوم الفتح ، وشهد معه حنيناً توفية بالمدينة سنة عشرين: ينظر : التبيين في أنساب القرشيين : 84 – 86 .

8- أبو طالب : مخضرم عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ، وهو أبو الإمام علي (عليه السلام) ادرك الإسلام وأسلم وكان شديداً في الدفاع عن عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اشتهرت قصيدته التي يمدح بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) طبقات فحول الشعراء : ج1/ 244 . معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين :135 .

9- أبو قطيفة واسمه عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط وإنما قيل له أبو قطيفة لأنه كان كثير شعر الرأس ثائره عظيم اللحية وكان ممن سيره ابن

الزبير إلى الشام، ينظر : تاريخ مدينة دمشق : ابن عساكر (571 هـ) :ج46 /447 .

10- الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام): هو سيد الشهداء ابن أمير المؤمنين علي (عليه السلام) استشهد في كربلاء سنة (60هـ) ومعه حوالي (70) رجلاً من أهل بيته واصحابه .

11- الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) : هو أمير المؤمنين وإمام المتقين اشهر من يترجم له .

12- جعفر بن الزبير بن العوام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، أمه زينب بنت بشر بن عمرو بن مرثد الضبعية ، ولي المدينة لأخية عبد الله ، ومات في آخر خلافة سليمان بن عبد الملك، ينظر : نسب قريش : 236 ، التبيين في أنساب القرشيين : 236 – 237 . الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ت320هـ) :ج7/ 183

13- الحارث بن خالد المخزومي : هو الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب القرشي المكي ، كان شريفاً شاعراً ، من شعراء الغزل في الحجاز ذهب بشعره مذهب عمر بن أبي ربيعة المخزومي، ولاه عبد الملك بن مروان مكة ثم هرب بعد أن قويت خلافة ابن الزبير ، وذهب الى الشام فلم يجد عن الخليفة عبد الملك ما يحبّ فعاد الى مكة واستوطن فيها ، معجم الشعراء الإسلاميين : د. حاكم حبيب الكريطي : 56 ، ينظر : نسب قريش : 312 ، جمهرة أنساب العرب : 146 معجم تراجم الشعراء : د. يحيى مراد : 192 .

14- حذافة بن غانم : هو ابن عامر بن عبد الله من ولد عويج بن عدي بن كعب القرشي العدويّ ، ويُعرف بحذافة العدوي ، شاعر معروف في الجاهلية ، وقد عرف بكرمهِ وشجاعته واشتهر بمحبته لبني هاشم ومدحهم ، مات في

حيـاة عبـد المطلـب : ينظـر : نسـب قـريش : 374 ، الرسـائل السياسـية : الجاحظ (ت 255هـ) : 411 .

15- الحكم بـن الوليـد بـن يزيـد: أبـو الخليفـة الأمـوي الوليـد بـن يزيـد بـن عبـد الملـك بـن مـردان . عـاش فـي آواخـر دولـة بنـي أميـة .ينظـر : معجـم الشـعراء الجاهليين : 65 .

16- حمـزة بـن عبـد المطلـب : وهـو عـم رسـول الله (صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) كـان يقـال لـه : أسـدُ الله وأسـدُ رسـوله ، يكنـى أبـا يعلـى ، وابـا عمـارة بابنيـة ، واسـلم فـي السـنة الثانيـة مـن المبعـث ، وكـان أعـز قـريش وأشـدها شـكيمة ، ينظـر : التبيـين فـي أنسـاب القرشـيين :119 ، سـير أعـلام النـبلاء: شـمس الـدين أبـو عبـد الله محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان بـن قَايْمـاز الـذهبي (ت 784هـ): ج111/3 .

17- خالـد بـن المهـاجر المخزمـي : هـو خالـد بـن المهـاجر بـن خالـد بـن الوليـد ابـن المغيـرة المخزومـي ، اتهـم معاويـة بـن أبـي سـفيان بأنـه دسّ إلـى عمـه عبـد الـرحمن بـن خالـد بـن الوليـد طبيبـاً ، يقـال لـه (أبـن أثـال) فسـقاه فـي شـربةً سُـماً فـاعترض (ابـن اثـال) فقتلـه وقيـل أن الـذي قتـل ابـن أثـال هـو خالـد بـن عبـد الـرحمن بـن خالـد بـن الوليـد ، كـان مـع ابـن الزبيـر ونابـذ بنـي أميـة ، وقـد انقـرض وَلَـد خالـد بـن الوليـد فلـم يبـقَ مـنم أحـدٌ : نسـب قـريش : 327 – 328 ، معجم الشعراء الاسلامين : د. حبيب حاكم الكريطي : 74.

18- الخطـاب بـن نفيـل: الخَطَّـاب بـن نُفَيـل بـن عبـد العُـزَّى العَـدَوي القُرَشـي مـن سـادات قـريش، وسـفيرُهم فـي عُكـاظ. شـارك فـي حـرب الفِجـار، وكانـت وفاتـه قبـل البعثـة بـأعوامٍ قليلـة : ينظـر : سـير أعـلام النـبلاء: شـمس الـدين أبـو عبـد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ): ج1/ 183 .

19- الزبير بن عبد المطلب : أكبر أعمام النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أدركه النبي، في طفولته. وكان يعدّ من شعراء قريش إلا أن شعره قليل، التبيين في أنساب القرشيين :116، الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) :ج42/3 .

20- سعد بن أبي وقاس : مخضرم هو سعد بن أبي وقاص (واسم أبي وقاص مالك) بن وهيب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب ، عاش أيام معاوية بن أبي سفيان ، كان قائد جيش المسلمين في معركة القادسية ، وفتح مدائن كسرى : جمهرة أنساب العرب : 129 / معجم الشعراء القريشيين والمخضرمين : 109 .

21- سلمة بن الحر: هو سلمة بن الحر بن يوسف بن يحيى بن الحكم : شاعر أموي نسباً وزمناً ، كان يسكن في بادية قرب المدينة تسمى الثعلبية ، قتله الضحّاك بن قيس الحروري . ينظر: نسب قريش : 172 ، جمهرة انساب العرب : 110 .

22- سليمان بن قته العدوي القرشي، واسم أبيه حبيب بن محارب ، كان يعرف بأمّه قتّة بالتاء كما ذكره ابن قتيبة في كتاب المعارف، وله في مراثي الإمام الحسين الشعر الفخم الجزل ، وكان من أوائل الراثين له، توفي في دمشق سنة (127هـ): الطليعة من شعراء الشيعة: العلامة المؤرخ الشيخ محمد السماوي :1/ 385-386 .

23- ضرار بن الخطاب بن مرداس بن كثير بن عمرو بن حبيب بن عمرو ابن شيبان بن محارب بن فهر: أسلم يوم الفتح ، وكان رئيس بني فهر ومن فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المجودين ، حتى قيل فارس قريش وشاعرهم ، ويقدمونه على أبن الزبعرى لأنه أقل منه سقطاً وأحسن صنعة

وهو أحد الأربعة الذين وثبوا الخندق ، قتل في معركة إجنادين .نسب قريش : 232 ، طبقات فحول الشعراء : ج1 / 250 – 253 .

24- العاص بن وائل السهمي : جاهلي وهو العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم وأمه سلمى بن البلوية من بَلِيّ من قضاعة وكان نديماً لهاشم بن المغيرة أدرك الأسلام ، ويعد من (المستهزئين) ومن (الزنادقة) الذين ماتوا كفارا وثنيين. وكان على رأس بني سهم وظل على الشرك ومات بالأبواء بين مكة والمدينة: نسب قريش : 408 ، الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) : ج247/3 .

25- عاصم بن عمر بن الخطاب : وليد في حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان شاعراً مفوهاً : توفيّ بالربذة سنة (ت 70 هـ):معجم الشعراء: 117 : الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) :ج284/3.

26- العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان بن الحكم:أحد أمراء ورجال بني أمية. قاد الجيش مع عمه مسلمة بن عبد الملك إلى أن قتل يزيد بن المهلب. وافتتح مدنا وحصونا كثيرة، من بلاد الروم. واستعمله أبوه على حمص. وولاه المغازي غير مرة .قال المرزباني :كان يتهم في دينه. وأورد له شعرا. وكان له ثلاثون ابنا ذكورا، سماهم ابن حزم. وسجنه مروان ابن محمد، في)حران (فمات سجينا).الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) : ج3/ 267 – 268 .

27- العباس بن عبد المطلب: مخضرم عمّ الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وكان مع المشركين في يوم بدر ، وقع أسيراً في أيديهم أسلم وجاء (أبو لافحٍ) مولى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بشره بأسلام عمه فأعتقه : معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384 هـ) : 262، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : 143 .

28- عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق :مخضرم كان أسمه في الجاهلية(عبد الكعبة) فسمّاه الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (عبد الرحمن) كان أسنَّ ولد أبي بكر الصديق شاعراً غزلاً في الجاهلية أحبّ ليلى بنت الجودي الغسّانية ، وتزوجها بعد فتح مكة ، عمّر الى أيام معاوية بن أبي سفيان ، وحينما أراد معاوية البيعة لإبنه يزيد قال عبد الرحمن (أهرقلية كلّما مات قيصر كان قيصر مكانة لا نفعل والله أبداً ، فبعث اليه معاوية ألف درهم فرّدها وخرج الى مكة ومات فيها قبل البيعة ليزيد سنة(53هـ) ودفن في الحرم . نسب قريش : 276 / معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : 144 .

29- عبد الرحمن بن الحكم : هو أخو مروان بن الحكم ، وكنيته ، أبو مطرف ، وهو متوسط الحال في شعراء زمانه ، كان مأمون الجانب وادعاً ، ماثلاً الى الراحات : معجم الشعراء الإسلاميين : د. حاكم حبيب الكريطي : 132: التبيين في أنساب القرشين : 156،

30- عبد الله بن أبي بكر الصديق: شقيق أسماء بنت أبي بكر وقد أسلم صغيراً بمكة ، ولم يسمع بمشهد إلا الفتح ، وحنين ، والطائف ، فرماه أبو محجن في يوم الطائف بسهم فَدمُل حتى انتفضَ به في أول خلافة أبيه في شوال سنة إحدى عشر ، فمات به : التبيين في انساب القرشيين : 278

31- عبد الله بن الزبعرى: مخضرم وهو عبد الله بن قيس بن عدي بن سعد بن سهم جده سعد سيد قيس في زمانه ، شاعر قريش في الجاهلية ، وحينما ظهر الإسلام كان شديداً على المسلمين ، رثى قتلى قريش في معركة بدر الكبرى ، وحينما فتحت مكة هرب الى نجران ثم عاد وأسلم واعتذر من النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : طبقات فحول الشعراء :1/ 235 ،

جمهـرة أنسـاب العـرب : 265 ، معجـم الشـعراء الجـاهليين والمخضـرمين : 146 .

32- عبـد الله بـن جـدعان التيمـي: أحـد أجـواد العـرب المطعمـين الممّـدحين ، كانـت لـه جفنـة يأكـل منهـا الفـارس والقـائم ، وهـو رئـيس بنـي تـيم فـي عصـره : التبيـين في أنساب القرشيين : 302

33- عبـد الله بـن عـامر بـن كريـز عبـد الله بـن عـامر بـن كريـز بـن ربيعـة الأمـوي، . ولـد بمكـة. وولـي البصـرة فـي أيـام عثمـان (سـنة ٢٩ هـ). وقتـل عثمـان، وهـو علـى البصـرة. وشـهد وقعـة الجمـل مـع عائشـة، ولـم يحضـر وقعـة صـفين. وولاه معاويـة البصـرة ثـلاث سـنين. ثـم صـرفه عنهـا فأقـام بالمدينـة ومات بمكة : الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) : ج94/4 .

34- عبـد الله بـن عـروة بـن الزبيـر تـابعي. وهـو أكبـر ولـد عـروة بـن الزبيـر ومـن الخطبـاء. كـان يشـبّه بعبـد الله بـن الزبيـر فـي لسـانه وجلـد: التبيـين فـي أنسـاب القرشـيين: 231-232، ينظـر: سـير أعـلام النـبلاء: شـمس الـدين أبـو عبـد الله محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان بـن قَايْمـاز الـذهبي (ت 784هـ): ج195/4، الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ): ج103/4 .

35- عبـد الله بـن معاويـة بـن عبـد الله بـن جعفـر بـن علـي بـن أبـي طالـب (عليـه السـلام) ويكنـى أبـا معاويـة ، أمـه أسـماء، وهـي أم عـون بنـت العبـاس بـن ربيعـة بـن الحـرث بـن عبـد المطلـب ، ثـار فـي الكوفـة علـى الحكـم الأمـوي سـنة 127هـ مطالبـاً بالخلافـة فبـايعوه أهلهـا وخلفـوا طاعـة آل مـروان ، خـاض معركـة ضـد والـي الأمـويين فـي الكوفـة عبـد الله بـن عمـرو فانسـحب الـى المـدائن ثـم غلـب علـى حلـوان وهمـذان والـري واصـفهان ، التحـق بثورتـه بنـو هاشـم كلّهـم ، وكـان أبـو جعفـر المنصـور فـي عـداد مـن أنظـم الـى ثورتـه ، أقـام باصـطخر . أرسـل اليـه ابـن هبيـرة والـي العـراق جيشـاً فظفـر أول مـرة ثـم انتقـل الـى هـراة ، فقـبض

عليه عاملها وقتله خنقاً بأمر أبي مسلم الخراساني ، كان عبد الله بن معاوية جوادا فارسا شاعرا وأديباً .ينظر : مقاتل الطالبيين : أبو الفرج الأصبهاني(ت 356هـ) ، المحقق: السيد أحمد صقر: 161 – 169 ، معجم الشعراء الإسلاميين : حاكم حبيب الكريطي : 141.

36- عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو الحارث :زعيم قريش في الجاهلية، وأحد سادات العرب ومقدميهم. مولده في المدينة ومنشأه بمكة. وهو جدّ رسول الله (صلّى الله عليه وآله وسلم) قيل :اسمه شيبة و عبد المطلب لقب غلب عليه. مات بمكة عن نحو ثمانين عاما أو أكثر: الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ): ج154/4 .

37- عبيد الله بن قيس بن شريح بن مالك بن ربيعة بن أُهيب بن ضباب بن حجير بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي المعروف بـ ابن قيس الرقيات، وهو من أصحاب ابن الزبير وخرج مع مصعب بن الزبير على عبد الملك بن مروان وطعن في بني أمية ولما قتل مصعب انحاز الى عبد الملك ومدحه ، زعم محقق الديوان أنّ سنة وفاته كانت (75 هـ) ، بينما ذهب صاحب الأعلام إلى أنها نحو(85 هـ) ينظر: الأغاني :ج7/ 78 – 111 ، الاعلام 4 /352 ، ديوان أبي دهبل الجمحي :49 – 50 .

38- عثمان بن مضعون بن حبيب بن وهب الجمحيّ، أبو السائب :صحابي، كان من حكماء العرب في الجاهلية، يحرم الخمر. وأسلم بعد ثلاثة عشر رجلا، وهاجر إلى أرض الحبشة مرتين. وأراد التبتل والسياحة في الأرض زهدا بالحياة، فمنعه رسول الله، فاتخذ بيتا يتعبد فيه، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فأتخذ بعضادتي البيت، وقال :يا عثمان إن الله لم يبعثني بالرهبانية)مرتين أو ثلاثا (وإن خير الدين عند الله الحنفية السمحة. وشهد بدرا. ولما مات جاءه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقبله ميتاً، حتى

رؤيت دموعه تسيل على خد عثمان. وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين وأول من دفن بالبقيع منهم: ينظر : سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ) : ج3/ 100 ، الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ): ج214/4 .

39- عروة بن الزبير :هو عروة بن الزبير بن العوام خويلد بن أسد بن عبد العزى الأسدي القرشي ، أمه أسماء بنت أبي بكر ، ولد في حياة عمر بن الخطاب وتوفي(94هـ) : نسب قريش : 245 ، التبيين أنساب القرشيين : 231 ، معجم الشعراء الإسلاميين : د. حاكم حبيب الكريطي : 154 .

40- علي بن الحسين بن علي (عليهما السلام) استشهد في معركة الطف (ت60هـ)

41- عمر بن أبي ربيعة : شاعر الغزل في صدر الإسلام ودولة بني أمية ، أشتهر بتعرضه للنساء فنفاه عمر بن عبد العزيز إلى (دهلك) ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة التي كان فيها ومات غرقاً (93هـ) ، الشعر والشعراء لأبن قتيبة :ج2/ 539 ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموي :49 .معجم الشعراء الإسلاميين : د. حاكم حبيب الكريطي : 162 .

42- الفضل بن العباس اللهبي (الأخضر اللهبي): الفضل بن عباس بن عتبه بن أبي لهب عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم(شاعر الهاشميين)، نشأ في مكة، وشهد واقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين بن علي ومن معه من بني هاشم (عليهما السلام) فرثاهم رثاء حارا، واللَهبي بفتح اللام نسبة لجده أبي لهب، توفي سنة (96)هـ، ينظر: شعر الأخضر اللهبي: 3، المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم:35.

43- فهر بن مالك بن النضر: جاهلي ، وهو قائد كنانة ومن انظم اليها من مضر في حربها مع حسان بن عبد كلال الحميري الذي أراد نقل الحجر الأسود من الكعبة الى اليمن كي يحج اليها الناس الى بلاده فهزمت حمير وأسر شرحبيل بن عبد كلال وفِهر هو أبو قريش (القبيلة) وأمه جرهم : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : د. حاكم حبيب الكريطي : 190 – 191 .

44- قصي بن كلاب: وهو جد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو بيت قريش وشرفها : يقال أن اسمه(زيد) وإنما سمي قصياً لأنه قصا عن قومه فكان في بني عذرة مع أخيه لأمه : معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : د. حاكم حبيب الكريطي : 198 .

45- كثير بن كثير بن المطلب بن وداعه السهمي : من شعراء العصر الأموي ، له قصيدة يمدح بها الإمام محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) : معجم الشعراء الإسلاميين : 187.

46- محمد بن الحنفية محمد بن علي بن أبي طالب(عليه السلام) ، الهاشمي القرشي، أبو القاسم المعروف بابن الحنفية :أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية: التبيين في أنساب القرشيين :113 ، الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) ج6 ، 270 .

47- مسافر بن أبي عمرو بن أمية : كان من فتيان قريش جمالاً وسخاءً وشعراً ، وكان نديماً لأبي طالب بن عبد المطلب ، وكان أتي الحيرة حين أتهم بامرأة يُقال لها هند هارباً فأصابته الدُّبيلة(داء في الجوف) من شرب الخمر صِرفاً ، فخرج متوجهاً الى مكة فمات بهبالة (من مياه بني نمير) توفيّ نحو (10ق.هـ) ينظر : جمل من أنساب الاشراف : الإمام أحمد بن

يحيى بن جابر البلاذري (279هـ): 341 . معجم شعراء الجاهليين والمخضرمين :230 .

48- معاوية بن أبي سفيان : معاوية بن (أبي سفيان) صخر ابن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، القرشي الأموي : مؤسس الدولة الأموية في الشام: ينظر : سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ) : ج5/ 73، الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ): ج261/7.

49- المغيرة بن نوفل بن الحارث : ولد في عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بمكة : قيل أنه لم يدرك من حياة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلا ست سنين : ينظر : التبيين في انساب القرشيين : 80 – 81 .

50- الملثم بن حذافة العدوي المثلم بن حذافة بن غانم بن عامر، من بني عدي بن كعب، من قريش: شاعر من رؤساء قومه. مخضرم، عاش في الجاهلية وأدرك الإسلام. اشتهر بحمايته لرجل من بني النمر بن قاسط ، قتل رجلا من بني جمح، ولجأ إلى المثلم، فمنعه، وكادت تنشب فتنة بين الحيين (جمح، وعدي)بسببه : ينظر : سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ) :ج3/ 348 ، الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) : ج5 / 274- 275 .

51- المهاجر بن أمية المخزومي :أخو أمّ سلمة لأبويها كان أسمه الوليد، فقدم مهاجراً ، ثم بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الى الحارث بن كلاب الحميري ملك اليمن، واستعمله رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) على صدقات كندة .ينظر : التبيين في انساب القرشيين : 332، المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموي : 49 .

52- نبيه بن الحجاج السهمي : جاهلي وهو نبيه بن الحجاج بن عامر بن حذيفة السهمي القرشي: وهو من كبار المشركين من أهل مكة، قُتل يوم بدر كافراً وكان سيد بني سهم في الجاهلية ، ينظر : المقتضب من كتاب جمهرة النسب : 56 .

53- النعمان بن عدي بن كعب النعمان بن عديّ بن نضلة العدوي :شاعر، صحابي، من الولاة. هاجر مع أبيه إلى الحبشة، في بدء ظهور الإسلام. ومات أبوه فيها، فورثه النعمان، فكان أول وارث في الإسلام. ثم ولاه عمر بن الخطاب على (ميسان) وهي كورة واسعة بين البصرة وواسط. ولم يولّ عمر أحدا من قومه (بني عديّ) غيره، لما كان في نفسه من صلاحه. الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ):38/8 .

54- هبيرة بن أبي وهب المخزومي : كان من فرسان قريش وشعرائها ، واحد المشاركين في معركة الخندق ، هرب الى نجران بعد فتح مكة ومات هناك ،وابنه جعدة بن هبيرة نزل الإمام علي (عليه السلام) في بيته حينما نزل الكوفة : ينظر: نسب قريش :39 ، تاريخ الطبري 573/2 ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب: 52 ، معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : 254 .

55- ورقة بن نوفل: وهو من حكماء الجاهلية ، وكان قد قرأ الكتب ، وتبحر في التوراة والإنجيل ، وهو الذي بشّر خديجة (عليها السلام) بنبوة النبي حين أخبرته بأمره ووصفته له : نسب قريش : 207 ، المقتضب من كتاب جمهرة النسب لياقوت الحموي ، تحقيق د. ناجي حسن : 44 ، ينظر : التبيين في أنساب القرشيين ، حققه وعلق عليه محمد نايف الدليمي : 242

56- الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان، أبو العباس :من ملوك الدولة المروانية بالشام. ولي الخلافة (سنة 125 هـ)ـ بعد وفاة عمه هشام بن عبد

الملـك، فمكـث سـنة وثلاثـة أشـهر، ونقـم عليـه النـاس حبـه للهـو، فبـايعوا سـرا ليزيـد ابـن الوليـد بـن عبـد الملـك، فنـادى بخلـع الوليـد – وكـان غائبـا في(الأغـدف) مـن نـواحي عمّـان، بشـرقي الأردن – فجـاءه النبـأ، فانصـرف إلـى البخـراء، فقصـده جمـع مـن أصـحاب يزيـد فقتلـوه فـي قصـر النعمـان بـن بشـير. وكـان الّـذي باشـر قتلـه عبـد العزيـز بـن الحجـاج بـن عبـد الملـك. وحمـل رأسـه إلـى دمشـق فنصـب فـي الجـامع ولـم يـزل أثـر دمـه علـى الجـدار إلـى أن قـدم المـأمون دمشـق (سـنة 215هـ) فـأمر بحكّـه : الأعـلام : خيـر الـدين الزركلـي (ت 1396هـ) : ج8 / 122 – 123 .

57- وهـب بـن عبـد قصـي، وهـو أبـو كبيـر، وبجيـر بـن عبـد ، مـنهم طليـب بـن عميـر بـن وهـب بـن عبـد بـن قصـي، صـحب النبـي(صـلى الله عليـه وآلـه وسـلم) وشـهد معـه بـدراُ، وأمـه عمـة النبـي(صـلى الله عليـه وآلـه سـلم) أروى بنـت عبـد المطلـب والحـويرث بـن نقيـذ بـن بجيـر قتـل يـوم فـتح مكـة كـافراً لـم يبـق منهم أحد. ينظر: جمهرة النسب : ابن الكلبي : 223 .

58- يحيـى بـن الحكـم : أخـو مـروان بـن الحكـم . لمـا وُضـعت رؤوس الحسـين (عليها السلام) وأصحابه بين يدي يزيد بن معاوية في الشام :

(سـمية أمسـى نسـلها عـدد الحصـى وبنـت رسـول الله لـيس لهـا مـن نسـل) ، فضـرب يزيـد فـي صـدر يحيـى بـن الحكـم وقـال : اسـكت : ينظـر : سـير أعـلام النـبلاء: شـمس الـدين أبـو عبـد الله محمـد بـن أحمـد بـن عثمـان بـن قَايْمـاز الـذهبي (ت 784هـ) : ج106/6 ، معجـم الشـعراء الإسـلاميين : د. حـاكم حبيب الكريطي : 245 .

59- يزيـد بـن عبـد الملـك بـن مـروان: مـن ملـوك الدولـة الأمويـة فـي الشـام. ولـد فـي دمشـق، وولـي الخلافـة بعـد وفـاة عمـر بـن عبـد العزيـز (سـنة 101 هـ) بعهـد مـن أخيـه سـليمان بـن عبـد الملـك. وخـرج عليـه يزيـد بـن المهلـب، بالبصـرة،

فوجه إليه أخاه مسلمة فقتله. الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ): ج8/185 .

60- يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : ثاني ملوك الدولة الأموية في الشام. ولد بالماطرون، ونشأ بدمشق، وولي الخلافة بعد وفاة أبيه (سنة 60 هـ) وفي أيام يزيد هذا كانت فاجعة المسلمين بالسبط الشهيد الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) سنة (61هـ) وخلع أهل المدينة طاعته سنة (63هـ) فأرسل إليهم مسلم بن عقبة المري، وأمره أن يستبيحها ثلاثة أيام وأن يبايع أهلها على أنهم خول وعبيد ليزيد، ففعل بها مسلم الأفاعيل القبيحة، وقتل فيها كثيرا من الصحابة وأبنائهم وخيار التابعين. ومدته في الخلافة ثلاث سنين وتسعة أشهر إلا أياما: ينظر : سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ) : ج5/ 73 . الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ) : ج8 /189.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أولاً : الكتب والدواوين الشعرية

1. أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه : أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي المكي (ت275هـ) ،دراسة وتحقيق: عبد الملك بن عبد الله بن دهيش : دار خضر – بيروت ، ط2، 1414 هـ – 1994 م
2. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار : تصنيف الإمام الوليد محمد عبد الله بن أحمد الأزرقي(ت250 هـ) دراسة وتحقيق : أ.د. عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ، مكتبة الأسدي ، ط1 ، 2003م .
3. الأزمنة والأمكنة : أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت 421هـ) ،: دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1417هـ.
4. أساس البلاغة : جار الله أبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري ، قدّم هذه الطبعة د. محمود فهمي حجازي، الشركة الدولية للطباعة 6 أكتوبر ، القاهرة ، 2003م.
5. أسد الغابة في معرفة الصحابة : أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير (ت 630هـ)، تحقيق: علي محمد معوض – عادل أحمد عبد الموجود ، دار الكتب العلمية، ط1، سنة النشر: 1415هـ – 1993 م .
6. أسرار البلاغة في علم البيان : عبد القاهر الجرجاني (ت471هـ) ، تصحيح محمد رشيد رضا ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1988م.
7. أسواق العرب في الجاهلية والإسلام : سعيد بن محمد بن أحمد الأفغاني (ت 1417هـ) ، ط2، دار الفكر ، دمشق ،1960م.
8. الأشتقاق : لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد(ت331هـ) ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ، دار الجبل، بيروت ،ط1 ،1411هـ – 1991م.

9. أشكال التخيل (من فئات الأدب والنقد) : د. صلاح فضل ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، لونجمان ، القاهرة ، ط1 ، 1996م .
10. إشكالية المكان في النص الأدبي(دراسة نقدية) : ياسين النصير ، دار الشؤون الثقافية / بغداد، 1986م .
11. الإصابة في تمييز الصحابة : ابن حجر العسقلاني ، مصر ، مطبعة السعادة ،ط1 ، 1328هـ.
12. إضاءات في أدب التشيع (درامية الصراع وشعرية النص): د. رائد حميد البطاط، م. م تغريد خليل حامي، ط1، سوريا ، دمشق، 2019م .
13. الأعلام : خير الدين الزركلي (ت 1396هـ)، ط5 ، دار العلم للملايين ، بيروت ، 2002م.
14. الأغاني: لأبي الفرج الاصبهاني (356هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، ط1 ، 1994م .
15. الإغتراب في تراث صوفية الإسلام (دراسة معاصرة) : د. عبد القادر موسى المحمدي ، بيت الحكمة ، بغداد ، ط1 ، 2001م .
16. الأنساب: أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني (ت 562 هـ)، حققه وعلق عليه: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني ، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن – الهند ،ط1، (1382 هـ – 1962 م) .
17. البحر المحيط في التفسير : أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (ت 745هـ) ،المحقق: صدقي محمد جميل ، دار الفكر – بيروت ،1420 هـ.
18. البداية والنهاية : أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت 774 هـ): تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع

والإعــلان ،ط1، 1418 هــ - 1997 م ، و مكتبــة المعــارف ، بيــروت ، ط6 ، 1988م .
19. بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب : محمود شكري الالوسي ، 3 أجزاء في مجلد واحد، تصحيح محمد بهجة الاثري ، مصر ، 1342هـ .
20. البنى والدلالات في لغة القصص القرانية (دراسة فنية) د. عماد عبد يحي ، دار دجلة للنشر والتوزيع ، عمان – الأردن ، ط1 ، 2009م.
21. بنية السرد في القصص الصوفي –المكونات والوظائف والتقنيات (دراسة) ، د. ناهضة ستار ، إتحاد الكتاب العرب ، دمشق / 2003م .
22. بنية الشكل الروائي (الفضاء ، الزمن ، الشخصية) ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي ، بيروت – الدار البيضاء ط1 ، 1990م .
23. البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب:أحمد بن علي بن عبد القادر أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقريزي (ت 845هـ) تحقيق: فردناد واسطون فيلد Ferdinand Wüstenfeld (مستشرق ألماني) طبعة: جوتنجن، ألمانيا عام ١٨٤٧م.
24. تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد مرتضى الحسيني الزَّبيدي، تحقيق: جماعة من المختصين ، من إصدارات: وزارة الإرشاد والأنباء في الكويت – المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت ،أعوام النشر: (1385 – 1422 هـ) = (1965 – 2001 م) .
25. تاريخ ابن خلدون (العِبَر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر: عبد الرحمن بن بن خلدون (732 – 808 هـ)، أعتنى به أبو صهيب الكرمي ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس: أ. خليل شحادة، مراجعة: د. سهيل زكار ، دار الفكر، بيروت، ط1، 1401 هـ - 1981 م.
26. تاريخ الأدب العربي : عمر فروح ، ط1، دار العلم للملايين ، بيروت 1981م .

27. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ): تحقيق : عمر عبد السلام التدمري، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت ،ط2، 1413 هـ 1993 م.
28. تاريخ الشعر العربي حتى نهاية القرن الثالث الهجري : د. نجيب محمد البهبيتي ، القاهرة ، 1968م.
29. تاريخ الطبري = تاريخ الرسل والملوك : أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (ت310 هـ) ، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف بمصر ، ط2، 1387 هـ - 1967 م .
30. تاريخ المدينة المنورة: لإبن شبة ، أبو زيد عمر شبّه النميري (ت 262هـ) ، تحقيق: فهيم محمد شلتوت ، من منشورات دار الفكر ، ايران ، مطبعة القدس ، دار الفكر ، ايران ، 1410 ق- 1368ش.
31. تاريخ مدينة دمشق، وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها : أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (499 هـ - 571هـ) دراسة وتحقيق: محي الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، عام النشر: 1415 هـ - 1995 م .
32. التبيين في أنساب القرشيين : موفق الدين أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قُدامه المقدسي (620هـ) ، حققه وعلق عليع محمد نايف الدليمي ، ط1 / 1982م.
33. التذكرة الحمدونية : محمد بن الحسين بن محمد بن علي بن حمدون ، أبو المعالي البغدادي (ت562هـ) ، دار صادر ،ط1، 1417هـ.
34. التشكيل الجمالي للمكان وبناؤه الفني في الشعر العربي الحديث 1940 – 2000م : د. ياسر فضل العامري ، ط1 ،2019 ، نور حوران للدراسات والنشر والتراث ، دمشق ، سوريا .

35. تشكيل الخطاب الشعري (دراسات في الشعر الجاهلي): د. موسى ربابعة ، دار جرير للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ،ط2 ،2006م .
36. تفسير الطبري – جامع البيان عن تأويل آي القرآن: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت 310 هـ)، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، بالتعاون مع: مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر – د عبد السند حسن يمامة ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان – القاهرة، مصر، ط1، 1422 هـ – 2001 م.
37. جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب: ماهر مهدي هلال ، وزارة الثقافة والإعلام ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، 1980م .
38. جماليات المعنى الشعري : عبد القادر الرباعي، وزارة الثقافة ،عمان– الأردن ، ط1 ،1999م.
39. جماليات المكان : غاستون باشلر ، ترجمة غالب هلسا ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان، ط2، 1984م .
40. جماليات المكان في الرواية العربية : شاكر النابلسي ،ط1 ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ،1994م.
41. جماليات المكان في قصص سعيد حورانية ، محبوبة محمدي محمد آبادي ، وزارة الثقافة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، ط1 ، 2011م.
42. جمع الجوامع المعروف بـ (الجامع الكبير) : جلال الدين السيوطي (849 – 911 هـ) ،المحقق: مختار إبراهيم الهائج ، عبد الحميد محمد ندا ، حسن عيسى عبد الظاهر ، الأزهر الشريف، القاهرة – جمهورية مصر العربية ،ط2، 1426 هـ – 2005 م .

43. جمل من أنساب الأشراف : أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البَلَاذُري (ت 279هـ) ،تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي ، دار الفكر – بيروت ،ط1، 1417 هـ – 1996 م.

44. جمهرة اللغة: محمد بن الحسن بن دريد، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1 ،1987م .

45. جمهرة النسب : لأبي المنذر هشام بن محمد بن سائب الكلبي (ت 204 هـ) تحقيق : د. ناجي حسن ، عالم الكتب ، مكتبة النهضة العربية ، ط1 ، 1986 م ، وتحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مطبعة حكومة الكويت سلسلة التراث العربي – وزارة الإعلام بالكويت 1983 م .

46. جمهرة أنساب العرب : أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت 456 هـ)،تحقيق وتعليق: عبد السلام محمد هارون: دار المعارف – مصر: 1962م.

47. جمهرة نسب قريش وأخبارها : الزبير بن بكارين عبد الله القرشي الزبيري(ت262هـ) ، حققه وعلق عليه ، د. عباس هاني الجراخ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1/ 2010 م ، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني ، عام النشر: 1381 هـ .

48. الجوهرة في نسب النبي وأصحابه العشرة: محمد بن أبي بكر بن عبد الله بن موسى الأنصاري التِّلمساني المعروف بالبُرِّي (ت بعد 645هـ)،نقحها وعلق عليها: د محمد التونجي، الأستاذ بجامعة حلب، دار الرفاعي للنشر والطباعة والتوزيع – الرياض،ط1، 1403 هـ – 1983 م.

49. حركة الشعر العربي في مصر الفاطمية : أ.د محمد حسين المهداوي ، ط1، 2017م .

50. حركة الشعر في ثورة التوابين وإمارة المختار الثقفي : د. حسن حبيب الكريطي ، ، مركز كربلاء للدراسات والبحوث ، ط1 ، 1436هـ- 2015م .
51. حق الجار: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 748هـ) ، المحقق: أبي إسماعيل هشام بن إسماعيل السقا ،مراجعة: أبي عبد الله محمود بن محمد الحداد ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع ،عام النشر: 1405 هـ - 1985م .
52. حماسة القرشي: عباس بن محمد بن مسعود القرشي النجفي (ت 1299هـ) تحقيق : خير الدين محمود قبلاوي ، وزارة الثقافة ، الجمهورية العربية السورية، دمشق ، 1995م.
53. الحماسة في شعر الشريف الرضي : محمد جميل شلش . المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ط2 ، بغداد 1985 م.
54. الحنين والغربة في الشعر العربي الحنين إلى الأوطان : د. يحيى الجبوري ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، عمان ، الأردن ، ط1، 1428هـ- 2008م .
55. الحياة العربية في الشعر الجاهلي : د. أحمد محمد الحوثي ، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها ، ط3 ، 1956م .
56. الحياة والموت في الشعر الجاهلي : مصطفى عبد اللطيف جاووك ، دار الحرية للطباعة، منشورات دار الثقافة العربية، بغداد ،1977م .
57. الحيوان : أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت 255هـ) ،بتحقيق عبد السلام محمد هارون ، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ، ط2 ، 1424 هـ .
58. خطاب الحكاية (بحث في المنهج) : جيرار جينت ، ترجمة محمد معتصم ، وعبد الجليل الأزدي ، وعمر حلبي ،ط2 المجلس الأعلى للثقافة (المشروع القومي للترجمة) الهيأة العامة للمطابع الأميرية ،1997 م .

59. الدر المنثور: عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911هـ) دار الفكر – بيروت، 2011م .
60. الدراما بين النظرية والتطبيق : حسن رامز محمد رضا ، ط1 ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت لبنان / 1972م.
61. دليل الدراسات الاسلوبية : د. جوزيف ميشال شريم ، المؤسسة الجامعة للدراسات والنشر ، بيروت ، 1983م .
62. ديوان أبي بكر الصديق : حققه وشرحه محمد شفيق البيطار ، دار شراع للدراسات والنشر والتوزيع ،ط1 ، دمشق، 1993م .
63. ديوان أبي دهبل الجمحي : رواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق : عبد العظيم عبد المحسن، مطبعة القضاء، النجف الأشرف، ط1، 1392 – 1972 .
64. ديوان أبي طالب عمّ النبي (صلى الله عليه وآله) : جمعه وشرحه الدكتور التنوجي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1، 1994م .
65. ديوان أشعار التشيع الى القرن الثالث / التاسع، الطيب العشاش، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997م .
66. ديوان الحارث بن حلزة : جمعه وحققه أميل بديل يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ،1991م .
67. ديوان الزبير بن عبد المطلب ، جمعه : الحسين بن محبوب الهاشمي ، 1431هـ.
68. ديوان الشعر العربي : ادونيس ، المجلد الأول ، دار الثقافة للنشر والتوزع ، دمشق ، 1996م.
69. ديوان الشنفري : الشنفري ، تحقيق علي ناصر غالي ،ط1 ، الرياض ، مطبعة مجلة العرب ، 1998م.

70. ديوان الفضل بن العباس اللهبي : تحقيق مهدي عبد الحسين النجم ، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ط1، 1999م .
71. ديوان الوليد بن يزيد: جمع وترتيب المستشرق الإيطالي ف. جبربالي ، مطبعة ابن زيدون ، دمشق، 1937م؟
72. ديوان ضرار بن الخطاب الفهري : جمعه وحققه وشرحه : د. فاروق اسليم بن أحمد ، دار صادر بيروت ، ط1، 1996م .
73. ديوان عبد الباقي العمري الفاروقي الموصلي (ت1279 هـ) طبعه الفاضل كاظم الكتبي ، عني بتصحيحه وضبط أبياته الأستاذ أبو مصعب البصري ، انتشارات الشريف الرضي ، ط1 ، مطبعة أمير – قم ، 1412 – 1370 هـ .
74. ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات : تحقيق وشرح : عزيزة فوّال بابتي ، دار الجبل ، بيروت ، ط1 ، 1996م.
75. ديوان عمر بن أبي ربيعة : الدكتور فايز محمد ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط1 ، 1996م .
76. ديوان معاوية بن أبي سفيان : جمع وتحقيق وشرح : د. فاروق اسليم بن أحمد ، دار صادر ، بيروت ، ط1 ، 1996م
77. الرسائل السياسية : عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء الليثي ، أبو عثمان المعروف بالجاحظ (ت255هـ) ، دار ومكتبة الهلال ، بيروت (د . ت)
78. الرمز الشعري عند الصوفية : د. عاطف جودة نصر، ط1 ، دار الأندلس ، ودار الكندي للطباعة والنشر ، 1978م.
79. الرمز في الخطاب الأدبي (دراسة نقدية) حسن كريم عاتي ط1، الروسم للطباعة والنشر والتوزيع ، 2015م .
80. الرمز والرمزية في الشعر المعاصر: د. محمد مفتوح أحمد، الناشر ، دار المعارف ، ط3 ، 1984م .

81. الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السهيلي (ت 581هـ) ،المحقق: عمر عبد السلام السلامي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط1، 1421هـ- 2000م.
82. الزمان والمكان وأثرهما في حياة الشاعر الجاهلي وشعره(دراسة نقدية نصية) : د . صلاح عبد الحافظ ، دار المعارف للطباعة والنشر ، 1993م .
83. السرد القصصي في الشعر الجاهلي : أ.د. حاكم حبيب الكريطي ، ط1 ، 2011م
84. السنن الكبرى : أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي (ت 303هـ) ،حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، (بمساعدة مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة)، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت،ط1، 1421 هـ - 2001 م .
85. السنن الكبرى: أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت 458 هـ)،المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،ط1، 1424هـ - 2003م .
86. سير أعلام النبلاء: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (ت 784هـ) ، دار الحديث- القاهرة ، مصر، 1427-2006م ، والطبعة الأخرى بإشراف: شعيب الأرناؤوط، تحقيق قسم السيرة النبوية والخلفاء الراشدون: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، ط3، 1405 هـ - 1985 م.
87. السيرة النبوية (من البداية والنهاية لابن كثير): أبو الفداء إسماعيل بن كثير (ت774 هـ) تحقيق : مصطفى عبد الواحد ، عيسى البابي الحلبي، القاهرة ، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ، عام النشر: 1976م .
88. السيرة النبوية لإبن هشام :عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبو محمد، جمال الدين (ت 213هـ) تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد

الحفيظ الشلبي ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ، ط2، 1955م .

89. شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره أبو تمام حبيب بن أوس(ت 231 هـ) : يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، بو زكريا (ت 502هـ) ، دار القلم – بيروت .

90. شعر أبي طالب – دراسة أدبيّة : د. هناء عباس عليوي، ط1 ، مكتبة الروضة الحيدريّة ، النجف الأشرف، العراق ،2008م .

91. شعر الأخضر اللهبي : الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب ، جمع ودراسة : إبراهيم بن سعد الحقيل ، جامعة الملك سعود ، ط1 ، 2012م.

92. شعر الحارث بن خالد المخزومي : د. يحيى الجبوري ، ط1 ، مطبعة النعمان ، النجف الاشرف ،1972م.

93. الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية) د. عز الدين إسماعيل ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ط3 ، 1966م .

94. الشعر القرشي في القرون الثلاثة الأولى : جمع ودراسة د. مختار الغوث ، دار الدراسات الإسلامية واحياء التراث ط1 ، 2007م .

95. شعر سليمان بن قتة العدوي (ت 126هـ) : د. مثنى عبد الرسول مغير الشكري ، جمع وتوثيق ودراسة ، مركز تراث الحلة ، العتبة العباسية المقدسة ، (د . ت).

96. شعر عبد الله بن معاوية ابن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب : جمعه ، عبد الحميد الراضي ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، مؤسسة الرسالة ، 1975م .

97. شعر عبد الله بن الزبعرى : د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط2، 1981م .

98. شعر عمر بن أبي ربيعة : محمد محي الدين عبد الحميد ، ط2، مطبعة السعادة ، 1380 – 1960م.

99. شعر قريش في الجاهلية : د. مختار الغوث ، دار إدراك المعرفية للنشر والتوزيع ، المدينة العربية السعودية – المدينة المنورة ، ط1، 2023م .
100. شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (دراسة) : د. فارق أحمد اسليم ، منشورات دار معد للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا، ط1/1997م .
101. الشعر والشعراء: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت 276هـ) ، الناشر: دار الحديث، القاهرة ، عام النشر: 1423 هـ .
102. شعر يزيد بن معاوية بن أبي سفيان : جمعه وحققه صلاح الدين المنجد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت لبنان ، ط1 ،1982م.
103. شعرية أبي طالب (دراسة أدبية) : د. هناء عباس عليوي كشكول ، ، مكتبة الروضة الحيدرية ، النجف الأشرف ، ط1، 1429هـ –2008م .
104. صبح الأعشى في صناعة الإنشاء: أحمد بن علي القلْقشندي (ت 821 هـ)،شرحه وعلق عليه وقابل نصوصه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407 هـ – 1987 م.
105. صحيح وضعيف (تاريخ الطبري، للإمام أبي جعفر بن جرير الطبري (ت310 هـ)) حققه وخرج رواياته وعلق عليه: محمد بن طاهر البرزنجي : إشراف ومراجعة: محمد صبحي حسن حلاق ، دار ابن كثير، دمشق – بيروت ط1 ، 2007م.
106. صراع قريش مع النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : علي الكوراني العاملي، الناشر ، دار الهدى ، ط1، 1428هـ – 2007م .
107. الصورة الأدبية : د. مصطفى ناصف ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، د.ط ، 1983م .
108. الصورة الشعرية في النقد العربي الحديث : بشرى موسى صالح ، المركز الثقافي العربية ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1994م.

109. الطبقات الكبرى : أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري ت320هـ)، دار صادر، بيروت، ط1، 1968 م ، وتحقيق: الدكتور علي محمد عمر ، مكتبة الخانجي، القاهرة – مصر ، ط1، 1421 هـ – 2001 م .

110. طبقات فحول الشعراء: محمد بن سلّام الجمحي (ت 231هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر ، دار المدني – جدة .

111. الطبيعة في الشعر الجاهلي : د. نوري حمود القيسي، ط1 ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،1970م .

112. الطليعة من شعراء الشيعة : العلامة المؤرخ الشيح محمد السماوي (1370هـ) تحقيق ، كامل سلمان الجبوري ، دار المؤرخ العربي ، بيروت ، لبنان ، ط1، 2001م.

113. العصبية القبيلة وأثرها في الشعر الأموي : احسان النص ، دار الفكر ،ط2 ،1973م.

114. العقد الثمين فى تاريخ البلد الأمين: تقي الدين محمد بن أحمد الحسني الفاسى المكي ، (ت 832 هـ)،المحقق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998 م.

115. العقد الفريد : شهاب الدين أحمد أبي عمر أحمد بن محمد المعروف بأبن بن عبد ربة الأندلسي : شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته ورتب فهارسه: أحمد أمين ، أحمد الزين ، أبراهيم الأيباري ، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر: 1942م ، و تقديم الأستاذ خليل شرف الدين ، منشورات دار ومكتبة الهلال ، الطبعة الأخيرة 1999هـ .

116. العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده: أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456هـ) حققه وفصله وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الجبل للنشر والتوزيع ، ط2، 1981م.
117. عيار الشعر: محمد أحمد بن طباطبا العلوي (ت322هـ) ، شرح وتحقيق عباس عبد الستار ، مراجعة نعيم زرزور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 ، 1982.
118. عيون الأخبار: أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدنيوري (ت276هـ) ، المجلد الأول / مطبعة دار الكتب المصرية (1343هـ-1925م) .
119. الغديريات في الشعر العربي : د. حربي نعيم محمد الشبلي ، العتبة العلوية المقدسة.
120. الغربة في الشعر الجاهلي : عبد الرزاق الخشروم ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1982م .
121. الغزل عند العرب : حسان أبو رحاب ، لجنة البيان العرب ، شركة مساهمة مصرية ، القاهرة ، ط1 ، 1947م .
122. الفروسية في الشعر الجاهلي : د. نوري حمود القيسي ، عالم الكتب ، ومكتبة النهضة العربية ، ط2 ، 1404هـ – 1984م .
123. الفروق اللغوية : أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر (د.ت).
124. القاموس المحيط : مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت 817هـ)،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان ، ط8 ، 1426 هـ – 2005 م : 602 .

125. قبيلة قريش وأثرها في الحياة العربية قبل الإسلام : د. خضير عباس الجميلي / منشورات المجمع العلمي ، مطبعة المجمع العلمي ، العراق ، بغداد ، 2002م.
126. قراءات في الأدب والنقد (دراسة) د. شجاع مسلم العاني ، من منشورات إتحاد الكتاب العرب ،1999م .
127. القناع في الشعر العربي الحديث (دراسة في النظرية والتطبيق)، د. سامح الرواشدة ط1، مطبعة كنعان، جامعة مؤتة الأردن، 1995م.
128. الكامل في التاريخ : عز الدين أبي الحسن بن علي بن محمد بن عبد الكريم ابن الأثير الجزري (ت630هـ) دار بيروت للطباعة والنشر والتوزيع ، 1386 – 1966م ، و تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان ، ط1، 1417هـ / 1997م .
129. كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر) : أبو هلال العسكري الحسن بن عبد الله بن سهل (ت395 هـ) ، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة 1952م ، والمكتبة المصرية ، صيدا ، لبنان ،1986م
130. كتاب العين : أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت 170هـ) ،المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي ، دار ومكتبة الهلال .
131. كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال : علاء الدين علي بن حسام الدين ابن قاضي خان القادري الشاذلي الهندي البرهانفوري ثم المدني فالمكي الشهير بالمتقي الهندي (ت 975هـ) ،المحقق: بكري حياني – صفوة السقا ، مؤسسة الرسالة ، ط5، 1981م

132. لباب الآداب: أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، تحقيق: أحمد حسن لبج، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان، ط1، 1417 هـ – 1997 م.
133. لسان العرب : محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور (ت 711هـ) ،الحواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين ، دار صادر – بيروت ، ط3 ، 1414 هـ .
134. مباحث تأويلية في النقد العربي القديم: أ.د. حاكم حبيب الكريطي ،ط1، دار أمل الجديدة للطباعة والنشر والتوزيع ، دمشق ، سوريا :2020م.
135. المتخيل الشعري (أساليب التشكيل الشعري ودلالات الرؤية في الشعر العراقي الحديث) : د. محمد صابر عبيد ، ط1 ، الاتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق ، بغداد ، 2000م .
136. مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري(ت 518هـ) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت– لبنان (د.ت).
137. المحيط في اللغة: للصاحب إسماعيل بن عباد (ت385هـ) ، تحقيق الشيخ محمد حسن آل ياسين ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1 ، 1994م.
138. مختصر بصائر الدرجات : الحسن بن سليمان الحلي : منشورات المطبعة الحيدرية في النجف ، ط1 ، 1370هـ – 1950م.
139. مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الانصاري الرويفعى الإفريقى (ت 711هـ)، المحقق: روحية لنحاس، رياض عبد الحميد مراد، محمد مطيع،دار النشر: دار الفكر للطباعة ،التوزيع والنشر، دمشق – سوريا،ط1، ١٤٠٢ هـ – ١٩٨٤م .

140. المذاكرة في القاب الشعراء: تصنيف أبي المجد اسعد إبراهيم الشيباني الاربلي المعروف بمجد الدين النشابي الكاتب (ت657هـ) : تحقيق شاكر العاشور ، وزارة الثقافة والاعلام (افاق عربية) بغداد 1988م.
141. مرآة الزمان في تواريخ الأعيان : شمس الدين أبو المظفر يوسف بن قِزْأُوغلي بن عبد الله المعروف بـ «سبط ابن الجوزي» (ت 654 هـ) تحقيق ،محمد بركات، كامل محمد الخراط، عمار ريحاوي، محمد رضوان عرقسوسي، أنور طالب، فادي المغربي، رضوان مامو، محمد معتز كريم الدين، زاهر إسحاق، محمد أنس الخن، إبراهيم الزيبق ، دار الرسالة العالمية، دمشق – سوريا ،ط1، 1434 هـ – 2013 م
142. المردفات من قريش: أبو الحسن على بن محمد المدائنى (ت225 هـ): تحقيق: عبد السلام هارون، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط2، 1393 هـ – 1972 م .
143. مروج الذهب ومعادن الجوهر : أبو الحسن على بن الحسين بن على المسعودي (ت 346هـ) ،تحقيق: أسعد داغر، دار الهجرة – قم، تاريخ النشر: 1409هـ
144. المستطرف في كل فن مستطرف : شهاب الدين محمد بن أحمد بن منصور الأبشيهي (ت 852هـ) ، عالم الكتب – بيروت ،ط1، 1419 هـ .
145. معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ) ، دار صادر، بيروت ، ط2، 1995 م .
146. معجم الشعراء الجاهليين والمخضرمين : د. حاكم حبيب الكريطي : مكتبة لبنان ناشرون ، ط1، 2001م .
147. معجم الشعراء: للإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (ت 384 هـ) ،بتصحيح وتعليق : الأستاذ الدكتور ف . كرنكو ، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط2، 1402 هـ – 1982 م
148. معجم المصطلحات الأدبية : إبراهيم فتحي ، التعاضدية العمالية للطباعة والنشر ، صفاقس ، تونس ،1986م.

149. معجم قبائل العرب القديمة والحديثة : عمر رضا كحالة ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،ط8 ، 1997م.
150. معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع: أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (ت 487هـ)، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1403هـ.
151. معجم مقاييس اللغة : أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت 395هـ) المحقق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ،عام النشر: 1399هـ – 1979م .
152. المغانم المطابة في معالم طابة : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي (729 – 817 هـ) ،الناشر: مركز بحوث ودراسات المدينة المنورة ، ط1، 1423 هـ – 2002 م .
153. المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام: الدكتور جواد علي (ت 1408م)، دار الساقي ، ط4، 1422هـ/ 2001م .
154. المقتضب من كتاب جمهرة النسب: ياقوت الحموي (ت 626هـ) ، الدار العربية للموسوعات ،ط1 ،1987م .
155. مقدمة القصيدة العربية في الشعر الجاهلي : د. حسين عطوان ، دار المعارف بمصر، 1970م .
156. المكان في الشعر الفاطمي شعر تميم بن المعز لدين الله – انموذجاً – ضحى ثامر محمد الجبوري ، ط1 ، 2016 م.
157. مكونات الخطاب السردي (مفاهيم نظرية) : الشريف حبيلة ، عالم الكتب الحديثة ، أربد – الأردن ، ط1 ، 2011م : 43 .
158. المنازل والديار : أسامة بن منقد (ت584هـ) ، تحقيق الأستاذ مصطفى حجازي ، الجمهورية العربية المتحدة ، القاهرة ، 1378هـ-1968م .

159. منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم : لعلي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري (1057 – 1125هـ) ، دراسة وتحقيق : د. جميل عبد الله محمد المصري : جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، ط1، 1998م

160. المنتظم في تاريخ الأمم والملوك : جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت 597)، المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1، 1412 هـ – 1992 م.

161. المنمق في أخبار قريش : محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، بالولاء، أبو جعفر البغدادي (ت 245هـ) ، المحقق: خورشيد أحمد فاروق ، عالم الكتب، بيروت ،ط1، 1405 هـ – 1985 م .

162. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكُناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي (ت370هـ)، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار أحياء الكتب العربية، القاهرة، 1961م.

163. موسوعة القبائل العربية – بحوث ميدانية وتاريخية : محمد سليمان الطيب ، الناشر: دار الفكر العربي ، ط3، 1421 – 1431 هـ .

164. نجوم السحر في أنساب البشر : السيد عبد الرزاق كومة الحسيني: مؤسسة النبراس للطباعة والنشر والتوزيع ، العراق ، النجف الاشراق ، 1972م.

165. نسب قريش :لأبي عبد الله بن مصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري (ت236هـ) عني بنشره وتصحيحه والتعلق عليه إ . ليفي برفنسال ، دار المعارف ، القاهرة ، ط5، 2019م .

166. نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب: ابن سعيد الأندلسي، تحقيق: الدكتور نصرت عبد الرحمن، مكتبة الأقصى، عمان – الأردن .

167. نقد الشعر : قدامة بن جعفر البغدادي(ت 337هـ) ، تحقيق : كمال مصطفى ، مكتبة الخانجي ، مطبعة الرجوي ، ط2 ، القاهرة ، 1979م .

168. نهاية الأرب في فنون الأدب : أحمد بن عبد الوهاب بن محمد بن عبد الدائم القرشي التيمي البكري، شهاب الدين النويري (ت 733هـ) ، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة ، ط1، 1423 هـ.
169. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب : أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله القلقشندي (ت821هـ) عني بنشره وتحقيقه والتعليق عليه على الخاقاني ، مطبعة النجاح ، بغداد / 1958م
170. نهج البلاغة : جمعه ونسق أبوابه العلامة الشريف الرضي ، شرحه وضبط نصوصه محمد عبده ، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ط1، 1410هـ – 1990م
171. الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ) ،المحقق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث – بيروت ،عام النشر:1420هـ–2000 م .
172. الوَحشيَّات وهوَ الحمَاسَة الصُّغرى : حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام: الشاعر، الأديب (ت 231هـ) ، علق عليه وحققه: عبد العزيز الميمني الراجكوتي ، وزاد في حواشيه: محمود محمد شاكر ، دار المعارف، القاهرة ، ط3 .
173. وصف الحيوان في الشعر الأندلسي : د. حازم عبد الله خضر، دار الشؤون الثقافية العامة . بغداد، 1987م.
174. وقعة صفين : ابن مزاحم المنقري : تحقيق : عبد السلام محمد هارون ، مطبعة المدني ، مصر ، المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع – القاهرة ، ط2، 1382هـ .
175. اليات السرد بين الشفاهية والكتابية (دراسة في السيرة الهلالية ومراعي القتل) سيد إسماعيل ضيف الله ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، القاهرة ، ط1 /2008م.

ثانياً : الرسائل والأطاريح :

176. البحث الدلالي عند المعتزلة : علي حاتم ،(أطروحة دكتوراه) كلية التربية – الجامعة المستنصرية ،1999م .
177. البناء الفني في قصص ديزي الأمير : سهاد ساعد صاحب ،(أطروحة دكتوراه) كلية الآداب – الجامعة المستنصرية ،2002م .
178. البنية السردية في شعر العصر العباسي الثاني (300 – 656هـ) : إفتخار عناد إسماعيل الكبيسي : أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، كلية الآداب :2004م
179. بنية قصيدة الشخصية في الشعر العراقي الحديث من مرحلة الريادة حتى عام 2000م ، علي عز الدين مطر الخطيب (أطروحة دكتوراه) كلية التربية ، الجامعة المستنصرية / 2007م .
180. تجليات الرمز في رواية (من أنت أيها الملاك) لإبراهيم الكوني : خديجة تبينة ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر بسكرة ، كلية الآداب ، 2011م .
181. دلالة المكان الشعري– دراسة في شعر حسب شيخ جعفر : ناجي عباس مطر الركابي : رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة بغداد : 2005م.
182. الرمز ودلالته في القصيدة العربية المعاصرة – قراءة في الشكل خليل حياوي ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجيلالي اليابس – سيدي بلعباس ، 2018م .
183. الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي (دراسة تحليلية): حيدر لازم مطلك ، أطروحة دكتوراه ، جامعة بغداد، كلية الآداب ،1991م .
184. الزمان والمكان في شعر دعبل بن علي الخزاعي (148هـ – 246 هـ) : ليث حسين عباس الربيعي، رسالة ماجستير ، جامعة واسط – كلية التربية / 2015م .
185. سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت 1111هـ)، تحقيق : عادل أحمد عبد الموجود– علي محمد معوض ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1، الأولى، 1419 هـ – 1998 م.

186. شعر قريش في الجاهلية وصدر الإسلام (دراسة موضوعية فنية) أطروحة دكتوراه : محمد ساري عبد رشيد ، كلية الآداب ، جامعة الكوفة ، 2004 م.
187. الغربة والحنين في الشعر العربي الحديث : فوزي المعلوف انموذجاً (رسالة ماجستير) : حنان غميض ، جامعة محمد بو ضياف المسيلة ، كلية الآداب واللغات ، 2015 م.
188. المرجعيات الثقافية عند شعراء الشيعة في العصر الأموي : أطروحة دكتوراه، جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية ، عادل عبد مجيد الكركوشي ، 2022م
189. المظاهر السردية في الشعر الشيعي (132هـ – 447هـ) : بشار لطيف جواد : أطروحة دكتوراه ، جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية / 2018م.
190. المكان عند شعراء بني أيوب (دراسة فنية): نضال عبد الجبار حسوني ، رسالة ماجستير، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات / 2003م
191. المكان في الشعر الأموي : جميل بدوي حميد الزهيري ، أطروحة دكتوراه ، كلية التربية ، الجامعة المستنصرية ، 2004م .
192. المكان في الشعر العربي قبل الإسلام : حيدر لازم مطلك ، رسال ماجستير ، جامعة بغداد ،1987.
193. المكان في الشعر الفاطمي شعر تميم بن المعز لدين الله – انموذجاً – ضحى ثامر محمد الجبوري ، ط1 ، 2016م.
194. المكان في شعر الشريف الرضي (دراسة فنية) زينب عبد الكريم الخفاجي ، رسالة ماجستير ، جامعة بغداد ، كلية التربية للبنات ، 2002م.
195. المكان في شعر الطف في القرن الثاني للهجرة : لمى سلام كاظم ، رسالة ماجستير جامعة كربلاء ، كلية التربية للعلوم الإنسانية : 2015 .
196. المكان في شعر حسام الدين الحاجري (ت632هـ) – دراسة تحليلية : صادق جاسم محمد ، جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية ، 2022م.

197. المكان في شعر صدر الإسلام (دراسة فنية) : شروق حيدر فليح العبودي ، رسالة ماجستير ، جامعة القادسية ، 2002م .
198. المكان والزمان في شعر أبي دهبل الجمحي : هديل عبد الخالق ناصر الجبوري ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة كربلاء ، 2019
199. المكان ودلالاته في شعر السياب : محمد طالب غالب البجاري، رسالة ماجستير ، جامعة البصرة ، كلية التربية ، 1998م
200. المكان ودلالته في الرواية العراقية : رحيم علي جمعة الحربي، كلية الآداب ، جامعة بغداد ،2003م.
201. الهاشميون في شعر العصر الأموي (الرؤية والفن) : خالد زكي عقل أطروحة دكتوراه ، جامعة اليرموك / كلية الآداب ، 2007م .

ثالثاً: البحوث والدوريات :

202. أبو قطيفة شاعر الحنين الى الوطن : د. محمد عرفة المغربي ، مجلة الفرائد في البحوث الإسلامية والعربية / المجلد 2 /العدد /1 ، 1994 م .
203. اسلوبية البناء الشعري عند أبي طالب (عم الرسول محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : أ.د كريمة نوماس المدني ، بحث منشور ، مجلة العميد ،2021 م .

204. توظيف الرمز وأثره في تماسك النص في شعر صباح عنوز : د. كاظم عبد الله عبد النبي : كلية الإمام الكاظم (عليه السلام) ، مجلة ذي قار – المجلد 12/ العدد،3، أيلول ، 2017م:

205. جماليات المكان ، اعتدال عثمان ، مجلة الأقلام ، بغداد ، العدد2 ، 1986م.

206. دلالة المكان في الشعر الجاهلي: د. عمار بن لقريش ، أ. معمري فواز : جامعة محمد بوضياف.

207. رمزية الطلل والمرأة في القصيدة العربية قبل الإسلام (بحث) د. يحيى زكي عبد طه ، مجلة كلية التربية الأساسية – الجامعة المستنصرية ، العدد 70 ، 2011م .

208. سردية الحدث العجائبي في الشعر الشيعي (132هـ-447هـ): د. حربي نعيم محمد الشبلي ، بشار لطيف جواد : مجلة الباحث ، جامعة كربلاء – كلية التربية للعلوم الإنسانية ، العدد 33، 2019 م.

209. شعر ورقة بن نوفل : جمع ودراسة عمر عبد الله الفجّاوي ، وريم فرحان المايطة ، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل (للعلوم الإنسانية والإدارية) المجلد العاشر ، العدد / الأول ، 2009 م .

210. الصورة الفنية لحقول التراجيديا في الشعر الجاهلي : د. عبد الله خلف العساف ، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن ،2003م.

211. مشكلة المكان الفني : يوري لوتمان ، ترجمة وتقديم د. سيزا قاسم ، ألف مجلة البلاغة المقارنة ، الجامعة الأمريكية بالقاهرة /ع6، ربيع 1986م.

212. المكان والرؤية الإبداعية (قراءة في نصوص من الشعر العربي) د. نادية غازي العزاوي ، مجلة آفاق عربية ،ع4، السنة الثالثة والعشرون ، آذار – نيسان ،1998م.

213. ورقة بن نوفل حياته وشعره: أيهم عباس حمود القيسي ، مجلة المورد ، دار الشؤون الثقافية العامة وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، المجلد السابع عشر ، العدد الثاني ،1988م .

Abstract:

The importance of the topic' The Place and its References to Quraysh Poets until 132 Hijri' sheds the light on the place to Quraysh poets since it exceeds Hijaz tribe in abundance of poets in order to stop at the verse stations that was said in some of their places in which they lived in. Therefore, the place in the poem was not a form or words expressed it, rather it is a reflection for the life that Arab man lived in general and the Quraysh person in specific as well as a response for variable of every era and its conditions.

The study adopted the analytical descriptive method basically inducting and analyzing the poetic lines. The study traced Quraysh origin, naming, Quraysh settlements, branches, as well revealed the sovereignty and religious place references, and the social relations. We also tackled ' place pattrens in Quraysh verse' and the inclusion extent of the event and its influence in the personality role.

The study was divided into three sections due to its occurrence possibility ' the moral place, the open (absolute) place, and the closed (limited) place. The study focused on the place symbolism that is divided into (symbolism of ruins, symbolism woman, and symbolism of animals). Then, the Quraysh poets' stand towards the place was stated, which is classified into the shelter place, humanizing place, and strangeness and alienation) as well stating this effect on the poet's spirit.

Research

Kerbala University

College of Education for Human Sciences

Department of Arabic

The Place and its References to Quraysh Poets until 132 Hijri

by:

Nu'man Jeru Ali

A Dissertation submitted to the council of College of Education/

Kerbala University as a Partial Fulfillment for the Requirements

of Ph.D. Certification in the Philosophy of Arabic language/ Literature

The supervisor:

Asst. Prof. Dr. Ali Dheyab Muhyi Al Ibadi

2024 A.D. 1445 H.